The Islamic University of Gaza
Deanship of Research & Graduate Studies
Faculty of Religion basics
PhD of Interpretation & Sciences of Quran



الجامعـــــــــة الإســـلاميـــــــة بغـــــــزة
عمـــادة البحـــث العلمـــي والدراســـات العليـــا
كـــليـــــــــــة أصـــــــــول الديـــــــــــن
دكتــــــوراه التفســـــير وعلـــوم القــــــرآن

الآيات العلمية القرآنية ودلالتها على صدق الوحي والنبوة

- دراسة موضوعية-

Scientific Quranic Verses and their Significance for the Truthfulness of Revelation and Prophecy An Objective Study-

إعدَادُ البَاحِثَةِ
شيرين عيسى إبراهيم فسفوس

إشرَافُ
الأستاذ الدُكتُور
عبد السلام حمدان عودة اللوح

قُدمتَ هَذه الأُطْرُوحَة اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الدكتوراه
فِي التفسير وعلوم القرآن بِكُليةِ أصول الدين فِي الْجَامِعَةِ الإسلامِيةِ بِغَزة

شوال/ 1443هـ – مايو/ 2022م

الإقرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

الآيات العلمية القرآنية ودلالتها على صدق الوحي والنبوة

- دراسة موضوعية-

Scientific Quranic Verses and their Significance for the Truthfulness of Revelation and Prophecy An Objective Study-

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنَّما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزءٍ منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	**شيرين عيسى فسفوس**	اسم الطالبة
Signature:	**شيرين عيسى فسفوس**	التوقيع:
Date:		التاريخ:





الجامعة الإسلامية بغزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
Islamic University of Gaza

هاتف داخلي: 1150

ج س غ/35/

15/06/2022م

الرقم Ref. ....

التاريخ Date ....

نتيجة الحكم على أطروحة دكتوراة

بناء على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **شيرين عيسى ابراهيم فسفوس** لنيل درجة الدكتوراة في كلية **أصول الدين**/ قسم **أصول الدين/ التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

الآيات العلمية القرآنية ودلالتها على صدق الوحي والنبوة
- دراسة موضوعية-

The verses of the Quranic universe and its evidence of the truth of revelation and prophecy
" objective study "

وبعد المناقشة التي تمت اليوم **الاربعاء 15 ذو القعدة 1443**هـ الموافق **2022/06/15**م الساعة **الحادية عشرة صباحا**، في قاعة مبنى **قاعة مؤتمرات مبنى طيبة** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ. د. عبدالسلام حمدان اللوح	**مشرفا ورئيسا**	....
أ. د. رياض محمود قاسم	**مناقشا داخليا**	....
د. وليد محمد العمودي	**مناقشا داخليا**	....
أ. د. عبد السميع خميس العرابيد	**مناقشا خارجيا**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الدكتوراة في **كلية أصول الدين/قسم أصول الدين/ التفسير وعلوم القرآن.**

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

ملخص الرسالة باللغة العربية

تبحث هذه الدراسة في موضوع قرآني بعنوان: **الآيات العلمية القرآنية ودلالتها على صدق الوحي والنبوة – دراسة موضوعية–** ، وتتكون هذه الدراسة من مقدمة، وفصل تمهيدي، وثلاثة فصول وخاتمة، حيث تتحدث الدراسة في الفصل التمهيدي عن علم صدق الوحي والنبوة بين الأصالة والتجديد، وضوابط استنباط أدلة صدق الوحي والنبوة من خلال التفسير العلمي للآيات القرآنية.

وتحدثت الباحثة في الفصل الأول عن الآيات العلمية القرآنية العلوية ودلالتها على صدق الوحي والنبوة، وفي الفصل الثاني تحدثت عن الآيات العلمية القرآنية الأرضية ودلالتها على صدق الوحي والنبوة، وفي الفصل الثالث عن آيات علمية قرآنية في عالم المياه والنبات ودلالتها على صدق الوحي والنبوة، وكل ذلك في إطار الدراسة الموضوعية التطبيقية، وقد ختمت الباحثة دراستها بعدد من النتائج والتوصيات، **أما أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة فكانت:**

1- إنّ هذا الفهم لكتاب الله ليثبت قطعاً أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى خالق هذا الكون، وأن محمداً ﷺ هو رسول الله قطعاً مما يثبت صدق الوحي والنبوة، حيث نزل الوحي بهذه الآيات التي تتضمن حقائق يكشف عنها العلم الحديث وتواكب كل عصر وجيل.

2- قدمت الدراسة الكثير من الأدلة المتنوعة القاطعة بصدق الوحي والنبوة في حقائق الآيات القرآنية الكونية التي أشار إليها القرآن الكريم قبل أن يكتشفها العلم الحديث، من بينها آيات في السماء، والأرض وعالمي المياه والنبات، وبذلك تقام الحجة على أهل هذا الزمان، وكل الأجيال القادمة بصدق نبوة محمد ﷺ وأن ما جاء به هو وحي من عند الله تعالى.

أما أهم التوصيات:

1- مواصلة البحث العلمي لاكتشاف المزيد من الأدلة المتنوعة على صدق الوحي والنبوة، مع الالتزام بالضوابط العلمية المنهجية عند استنباط هذه الأدلة من كتاب الله تعالى.

2- ضرورة توظيف أبحاث أدلة صدق الوحي والنبوة في ميدان الدعوة الإسلامية المعاصرة، ومواجهة تيار الإلحاد، ونشر هذه الأبحاث بمختلف اللغات، وبشتى الوسائل الحديثة.

Abstract

This study examines a Quranic subject entitled: **Scientific Quranic Verses and Their Significance for the Truthfulness of Revelation and Prophecy - An objective study-** . This study consists of an introduction and four chapters; the first is an introductory chapter, three other chapters and conclusion, where the study explained in the introductory chapter the science of truthfulness of revelation and prophecy between originality and renewal as well as the controls for deriving evidence on the truthfulness of revelation and prophecy through the scientific interpretation of the Quranic verses.

In the second chapter explained the divine scientific Quranic verses and their evidence for the truthfulness of revelation and prophecy. In the third chapter the study explained the earthly scientific Quranic verses and their evidence for the truthfulness of revelation and prophecy, and in the fourth chapter was about cosmic verses in the world of water and plants and their evidence for the truthfulness of revelation and prophecy, all within the framework of the applied objective study. The researcher concluded her research with a number of findings and recommendations.

The most important findings of the study:

1- Understanding the Book of Allah definitely proves that the Noble Quran is the word of Allah Almighty, the Creator of this universe, and that Muhammad PBUH is definitely the Messenger of Allah, which proves the truthfulness of revelation and prophecy. The revelation was revealed with these verses that include facts approved by modern science and keep pace with every age and generation.

2- The study presented a number of diverse and conclusive evidences about the truthfulness of revelation and prophecy such as the facts of the universal Quranic facts that the Holy Quran referred to before it was discovered by modern science, including verses in the sky, earth and the worlds of water and plants. Therefore; the argument is established against the people of this time with the truthfulness of the prophecy of Muhammad and that what he brought is a revelation from Allah.

The most important recommendations of the study:

1- Continuing scientific research to discover more evidences in the science of the truth of revelation and prophecy, while adhering to the systematic scientific controls when deriving these evidences from the Book of Allah Almighty.

2- The necessity of employing research evidences on the truthfulness of revelation and prophecy in the field of contemporary Islamic Dawah, confronting the trend of atheism, and publishing these researches in various languages by various modern means.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ * ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾

[آل عمران: 190- 191]

صدق الله العظيم

الإهداء

- إلى صفوة الخلق، وإمام المرسلين، من أرسله الله بالحق، وأيده بالصدق، وجعله رحمة للعالمين، حبيبنا وشفيعنا، وقرة عيوننا، نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم..
- إلى مَنْ فضلهم علي بعد ربي سبحانه أبي وأمي الأحبة، رحمهم الله رحمة واسعة، وأسكنهم الفردوس الأعلى، وجعلهم من الآمنين يوم الفزع الأكبر..
- إلى زوجي وأبنائي الأحبة أحمد وعيسى وعبد الرحمن، والدر المصون بناتي نسرين ونور، أنار الله دروبهم، ووفقهم في كل وقت وحين..
- إلى إخوتي الأفاضل، وأخواتي الكريمات، وعائلتي، وكل الأقارب، جعل الله أيامهم عامرة بالطاعات والمسرات..
- إلى مَنْ يتفكرون في خلق السموات والأرض، إلى العلماء الذين يبحثون عن الحقيقة، وكل من أراد النجاة، والسير في ركب الفائزين..
- إلى الدعاة والمجاهدين في جميع أرجاء المعمورة، حفظهم الله وأيدهم بالنصر والتمكين..
- إلى شيوخي وأساتذتي، جزاهم الله عنا خير الجزاء، وإلى رفيقات الدرب، وأخواتي في العمل والدراسة...
- إلى طلابي الكرام، ومَنْ جمعتنا بهم مجالس العلم والدعوة، وكل الأحبة في الله...
- إلى مَنْ اشتاق إليه بكل جوارحي.. أقصانا الحبيب، وإلى أحرار العالم، وكل نفس تتوق إلى رحاب المسجد الأقصى المبارك..

أهدي ثمرة هذا البحث العلمي

شكر وتقدير

الحمد لله ذي الجلال والإكرام حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وبعد..

وفي المقدمة أتقدم بجزيل الشكر والعرفان، إلى صاحب بذرة هذه الأطروحة، والمشرف عليها أ. د عبد السلام اللوح الذي أولاها الجهد والاهتمام والنصح والإرشاد بتوجيهاته السديدة، ومتابعته الحثيثة، صاحب النفس الطويل بما آتاه الله من همة عالية، دون كلل أو ملل ليحقق الهدف والغاية، وينجز العمل على خير وجه، إنه مثال رائع للعالم المجد المجتهد المثابر، أسأل الله تعالى أن يجزيه عنا وعن الإسلام خير الجزاء..

والشكر موصول إلى لجنة المناقشة الكرام:

1- الأستاذ الدكتور/ رياض محمود قاسم (مناقشاً داخلياً) حفظه الله

2- الدكتور الفاضل/ وليد محمد العمودي (مناقشاً داخلياً) حفظه الله

3- الأستاذ الدكتور/ عبد السميع خميس العرابيد (مناقشاً خارجياً) حفظه الله

الذين تكرموا بمناقشة هذا البحث، وما أسدوه من ملاحظات قيمة، تثري موضوعه ليخرج في أبهى حلة، أجزل الله لهم العطاء، وجزاهم خير الجزاء.

والشكر موصول إلى منارة العلم والعلماء الجامعة الإسلامية، وأخص بالذكر كلية أصول الدين وأساتذتها الكرام، والطاقم العامل في مكتبتها المركزية.

كما أتقدم بشكري الخاص إلى ابني الحبيب أحمد- حفظه الله- على دوره الكبير في انجاز هذا العمل من خلال تواصله المستمر مع مشرفي فضيلة أ.د عبد السلام اللوح، والجامعة أثناء تواجدي في تركيا -إسطنبول- .

والشكر موصول إلى قرة عيني ابني الحبيب عيسى ورفيق دربي داخل تركيا، والذي لم يدخر جهداً في دعمي ومساندتي..

مع خالص دعائي وشكري إلى كل من كان له فضل أو أثر في إتمام هذا البحث، راجية من الله عز وجل القبول والسداد..

الباحثة/ شيرين فسفوس

قائمة المحتويات

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، وجعل كتابه المعجز دليلاً على صدق الوحي من الله وصدق رسوله ﷺ، وما زال نوراً يجلو كل ظلمة ويزيل كل شبهة، النظر فيه عبادة، وتحكيمه سيادة، من اشتغل به كان من أهل الله وخاصته، وحاز بتحكيمه خيري الدنيا والآخرة، والصلاة والسلام على رسولنا الكريم خير الأنام محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه، واستن بسنته، وحمل لواء دعوته إلى يوم الدين وبعد..

فإنَّ القرآن الكريم كلام الله تعالى، وهو معجزة بيانية إلهية، ومهما حاول البلغاء والعلماء الإحاطة بسر إعجازه وماهيته فلن يستطيعوا؛ فهو بيان من الله تعالى بلفظه ونظمه ومعناه، تتقاصر في معارضته جميع همم الخلق، تحدى به الخلق جميعاً قال تعالى: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [البقرة:23]، فعجزوا عن ذلك، وسيستمر هذا العجز إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ [الإسراء:88] .

وقد جمع من الدلائل والبراهين أدلة كثيرة ومتعددة ومتجددة تواكب العصور والأجيال وتثبت أن القرآن وحيٌ من الله جل وعلا، وأن محمداً ﷺ رسول الله تعالى.

وتشكل الآيات العلمية المبثوثة في ثنايا القرآن الكريم واحداً من هذه الأدلة الدالة على أن القرآن الكريم وحيٌ حقٌّ من عنده سبحانه إلى رسوله الكريم ﷺ، وبذلك يقدم البرهان على أن الإسلام هو الدين الحق قال الله تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [فصلت:53].

فما أحوجنا في هذا العصر للتفكر والتدبر في آيات الله الكونية لدلالتها على صدق الوحي والنبوة، حيث إن ذلك سيساهم في الدعوة إلى هذا الدين العظيم ببراهين وأدلة علمية قاطعة، مع استثمار خلاصة النتائج التي توصل إليها العلم التجريبي وأصبحت بمثابة حقائق علمية ثابتة، مع توافقها مع إشارات قرآنية سبقت العلم التجريبي بأكثر من ألف وأربعمائة عام.

ونظراً لأهمية هذا الموضوع كونه يعد من الموضوعات الدعوية المهمة في خطاب غير المسلمين إلى الإسلام، فقد اختارت الباحثة بحثها بعنوان: **(الآيات العلمية القرآنية ودلالتها على صدق الوحي والنبوة دراسة موضوعية).**

أولاً: أهمية الموضوع:

تظهر أهمية الموضوع من خلال عدة أمور أذكر أهمها فيما يأتي:

1- معلوم أن شرف العلم من شرف المعلوم، وهذا العلم يتعلق بكتاب الله سبحانه وتعالى.

2- الحاجة الماسة للمسلمين بمطالعة أدلة تثبِّت الإيمان في القلوب، من خلال إثبات صدق الوحي والنبوة.

3- يمثل الموضوع دليلاً دعوياً مقنعاً ومؤثراً في كسب أنصار جدد لدين الله عز وجل.

4- حداثة موضوع الدراسة؛ حيث تؤصل لقضية وقع فيها لبس كثير بين الماضي والحاضر؛ نظراً للتشابه بينها وبين الوجه المعجز لكونها خارقة لقدرات الناس زمن نزول القرآن.

5- تقديم نموذج تفسيري للآيات الكونية القرآنية، يجمع بين الأصالة والتجديد.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

توجد عدة أسباب لاختيار الموضوع أذكر أهمها:

1- امتثال أمر الله تعالى بالتفكر في الآيات الكونية، وتحصيل الأجر والثواب بالاشتغال بالقرآن الكريم فهماً وتدبراً.

2- خدمة القرآن الكريم دافع رئيس للكتابة في هذا الموضوع؛ لبيان الفرق بين الوجه المعجز والدليل على صدق الوحي والنبوة.

3- مواكبة هذا الموضوع لروح العصر ومتطلباته، مع الحاجة الماسة لاستثماره في الدعوة إلى الله تعالى.

4- دراستي لمساق (دراسات متقدمة في إعجاز القرآن) مع فضيلة أ. د. عبد السلام اللوح ولَّد عندي الرغبة الملحة لطرق هذا الموضوع بالبحث والدراسة بعد تناولنا لفكرته من خلال المادة العلمية والنقاشات البناءة أثناء دراستنا للمساق؛ ولما فيه من تميُّز وإبداع.

5- افتقار المكتبة الإسلامية لمثل هذا الموضوع، الذي يفرق بين المتشابهات في ظاهرها المختلفات في حقيقتها، مع استكمال جهود باحثين سابقين تناولوا دراسته بمسمى الإعجاز العلمي.

ثالثاً: أهداف الدراسة:

للدراسة عدة أهداف أذكر أهمها في النقاط التالية:

1- الاستدلال من خلال الآيات العلمية القرآنية على صدق الوحي والنبوة.

2- المساهمة في إمداد الدعوة الإسلامية بدراسة علمية محكمة تعد من وسائل الدعوة الحديثة والفعالة.

3- التأصيل لعلم أدلة صدق الوحي والنبوة، وأنه غاية يصب فيها الإعجاز القرآني دون العكس.

4- إثراء التفسير العلمي للآيات الكونية، ضمن الضوابط التفسيرية المنهجية المضبوطة، مع توجيه ذلك لخدمة موضوع الرسالة.

5- إثراء المكتبة الإسلامية بموضوع تأصيلي دعوي، مع أمثلة تطبيقية تجمع بين القرآن والعلم الحديث.

رابعاً: الدراسات السابقة:

بعد البحث الدؤوب في مكتبة الجامعة الإسلامية، والشبكة العنكبوتية تبين أن هذه الدراسة جديدة لم تسبق برسائل علمية ماجستير أو دكتوراه، أو بحثٍ علميٍ محكمٍ تناول هذه الدراسة من حيث استقراؤها للآيات الكونية في القرآن الكريم، وبيان الإشارات العلمية التي تضمنتها، ومن ثم استنباط دلالتها على صدق الوحي والنبوة.

ومع ذلك فقد وجدت رسالة تخدم نفس الغاية التي أردتها لكن من ميدان آخر غير ميدان رسالتي، وهي بعنوان: (الأخبار الغيبية القرآنية ودلالتها على صدق الوحي والنبوة دراسة موضوعية) رسالة ماجستير لأسامة عبد الرؤوف رضوان- كلية أصول الدين، إشراف: أ. د. عبد السلام حمدان اللوح، الجامعة الإسلامية بغزة- 2018م.

وكذلك رسالة أخرى، وهي بعنوان: (الآيات التشريعية القرآنية ودلالتها على صدق الوحي والنبوة دراسة موضوعية) رسالة دكتوراه لجملات عيد أبو ناصر- كلية أصول الدين،

إشراف أ. د. رياض محمود قاسم، الجامعة الإسلامية بغزة- 2020م.

ووجدت بعض الرسائل التي كان لها منهج آخر سواء كان بلاغياً أو أسلوبياً أو عقدياً أو علمياً محضاً أو إعجازياً إلى غيرها مما يختلف عن طبيعة دراستي التي تنحو إلى إثبات صدق الوحي والنبوة وهو هدف أساس ورئيس للدراسة.

ومن هذه الرسائل:

1- الإعجاز العلمي في آيات بداية الكون ونهايته دراسة موضوعية ،وهي رسالة ماجستير لهبة سعيد فارس –الجامعة الإسلامية بغزة- 2011م.

2- الخبر والإنشاء في مشاهد الآيات الكونية في القرآن الكريم –دراسة بلاغية- لمهند خزعل الرفيعي- جامعة تكريت- العراق- 2018م.

3- صورة السماء والأرض في القرآن الكريم (دراسة بلاغية)، وهي رسالة ماجستير لنوال علي خضر- جامعة النجاح- فلسطين- 2011م.

4- جملة الخاتمة في الآيات الكونية والإنسانية –دراسة أسلوبية- وهي رسالة ماجستير لنور هاني سمحان- جامعة النجاح- فلسطين- 2009م.

5- الآيات الكونية، دراسة عقدية رسالة ماجستير عبد المجيد بن محمد الوعلان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- السعودية- 1433هـ.

6- الأرض في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية ،وهي رسالة ماجستير لعبهرة سميح العامودي- الجامعة الإسلامية- 2006م.

7- السماوات والأرض بين الفهم الإسلامي والعلم الحديث، وهي رسالة ماجستير لمحمود فضل عياد- الجامعة الإسلامية- 2014م.

8- السماء بين الآيات القرآنية والحقائق العلمية دراسة موضوعية ، رسالة ماجستير لأمل حمدي الكحلوت، الجامعة الإسلامية،2010م.

9- الماء في القرآن الكريم دراسة موضوعية، رسالة ماجستير، فتحي عبد العزيز العبادسة، إشراف: د. مروان محمد أبو راس، الجامعة الاإسلامية، 2002م.

10- الإعجاز العلمي في عالم النبات في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، رسالة ماجستير، محمود محمد أبو شخيدم، إشراف: د. غسان عيسى هرماس، جامعة الخليل، 2016م.

خامساً: حدود الدراسة:

تتناول الداسة ثلاثة محاور أساسية كان الهدف منها استقراء أهم نماذج أدلة صدق الوحي والنبوة في كل من:

1- الآيات العلمية القرآنية في السماء، ودلالتها على صدق الوحي والنبوة.

2- الآيات العلمية القرآنية في الأرض، ودلالتها على صدق الوحي والنبوة.

3- الآيات العلمية القرآنية في عالم المياه والنبات، ودلالتها على صدق الوحي والنبوة.

سادساً: منهجية الباحثة:

1- انتهجت الباحثة المنهج الاستقرائي الموضوعي، في استقراء الآيات العلمية القرآنية وتفسير الإشارات العلمية الواردة فيها، ومن ثم استنباط الدلائل منها على صدق الوحي والنبوة، وذلك من خلال ما يأتي:

أ- **التمهيد للدراسة:** من خلال تقديم دراسة تضمنت إبراز نشأة التفسير العلمي للآيات الكونية، وبيان موقف العلماء منه، وماهي ضوابطه. ثم الانتقال إلى تعريفات ووقفات بين يدي الدراسة وضحت فيها معنى دليل صدق الوحي والنبوة، وإبراز دلالة إعجاز القرآن على صدق الوحي والنبوة، مع تعريف إعجاز القرآن، والوجه المعجز، وتوضيح الفرق بين الوجه المعجز ودليل صدق الوحي والنبوة ، ومن ثم تقديم تعريف للآيات الكونية.

ب- **الدراسة التطبيقية:** قامت الباحثة فيها باستقراء الآيات العلمية القرآنية، وبيان دلالتها على صدق الوحي والنبوة من خلال تقسيمها على ثلاثة فصول، يشتمل كل فصل منها عدة مباحث، وكل مبحث فيه عدة مطالب.

2- كتابة الآيات القرآنية موضوع البحث مشكَّلة برواية حفص عن عاصم، وبالرسم العثماني.

3- عزو الآيات القرآنية الواردة في البحث إلى سورها، وذكر رقم آياتها، وذلك في المتن تخفيفاً عن الحواشي.

4- الرجوع إلى مظان الأحاديث النبوية التي لها علاقة بموضوع البحث.

5- تخريج الأحاديث النبوية الواردة في البحث، وجعلها بين قوسين(...)، وإن كانت في الصحيحين _البخاري ومسلم_ أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما أو إلى أحدهما، وإن كان في غيرهما فيتم تخريج الحديث منها أو من بعضها مع نقل حكم العلماء عليه ما أمكن.

6- الرجوع إلى كتب التفسير؛ للاستعانة بأقوال المفسرين في توضيح المفاهيم، وتحقيق المعاني المستنبطة من الآيات الكريمة ذات الاختصاص، مع الموازنة والترجيح بين الأدلة عند الحاجة إلى ذلك.

7- الاستعانة بأقوال العلماء والمتخصصين في العلوم الكونية والبيئية لتدعيم بحث الدراسة.

8- الرجوع إلى معاجم اللغة، وكتب المصطلحات ، للتعرف على المصطلحات والمفاهيم الواردة في البحث.

9- عند نقل النص حرفياً أضعه بين علامتي تنصيص "..." وأوثق ذلك في الهامش باسم الشهرة للمؤلف أو الاسم الأخير له، واسم الكتاب، مع ذكر الجزء والصفحة إن كان ذا أجزاء.

10- وعند تلخيص مجمل النص، وتدوينه بأسلوب الباحثة، يتم الإشارة له في الهامش بكلمة (ينظر).

11- الترجمة للأعلام المغمورة بالرجوع إلى كتب التراجم والأعلام.

12- إرداف الدراسة بطائفة من أهم النتائج والتوصيات.

13- ثبت المصادر والمراجع.

14- تذييل الدراسة بالفهارس اللازمة، وهي كما يلي:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية والآثار.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.

- فهرس الموضوعات، وموضعه في بداية الدراسة بحسب توصيات البحث العلمي.

سابعاً: هيكلية الدراسة:

اقتضت طبيعة الدراسة أن تتكون من مقدمة، وفصل تمهيدي تأصيلي، وثلاثة فصول تطبيقية، وخاتمة، وذلك كما يأتي:

المقدمة: وتشتمل على:

1- أهمية الموضوع
2- أسباب اختيار الموضوع
3- أهداف الدراسة
4- الدراسات السابقة
5- حدود الدراسة
6- منهج الباحثة
7- هيكلية الدراسة.

الفصل التمهيدي

دراسة تأصيلية حول التفسير العلمي للآيات الكونية، ودلالته على صدق الوحي والنبوة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: علم أدلة صدق الوحي والنبوة بين الأصالة والتجديد

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: بيان معنى علم أدلة صدق الوحي والنبوة.

المطلب الثاني: إعجاز القرآن ودلالته على صدق الوحي والنبوة.

المطلب الثالث: تعريف الوجه المعجز، وأركانه، وشروطه.

المطلب الرابع: الفرق بين الوجه المعجز، ودليل صدق الوحي والنبوة.

المبحث الثاني: ضوابط استنباط أدلة صدق الوحي والنبوة من خلال التفسير العلمي للآيات القرآنية

المطلب الأول: بداية التفسير العلمي في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: التفسير العلمي نوع من أنواع التفسير بالرأي والاجتهاد.

المطلب الثالث: الضوابط المتعلقة بالباحث، والبحث العلمي.

المطلب الرابع: الضوابط المتعلقة بآلية استنباط أدلة صدق الوحي والنبوة من خلال التفسير العلمي للآيات القرآنية.

المطلب الخامس: ضوابط التفسير العلمي للآيات القرآنية المتعلقة بالتعامل مع المأثور والاسرائيليات والنظريات العلمية.

المبحث الثالث: أدلة صدق الوحي والنبوة في قوله تعالى : ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:8] **(نموذج تطبيقي للبحث في الأدلة العلمية لصدق الوحي والنبوة)**

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: مقدمات حول تفسير الآية الكريمة، وما يتعلق بها من حقائق علمية.

المطلب الثاني: بيان آلية توريث الصفات من الآباء إلى الأبناء عبر النطفة من خلال تفسير قوله تعالى: ﴿**فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ**﴾ [الانفطار:8].

المطلب الثالث: إثبات حديث القرآن والسنة عن الحمض النووي **(البصمة الوراثية)** في قوله تعالى:﴿**فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ**﴾[الانفطار:8] .

المطلب الرابع: سبق النبي ﷺ للعلم بأكثر من أربعة عشر قرناً بحديثه عن وصف بنية المادة الوراثية.

المطلب الخامس: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة من خلال التفسير العلمي لآية الانفطار.

الفصل الأول

الآيات العلمية القرآنية العلوية ودلالتها على صدق الوحي والنبوة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: آيات علمية قرآنية حول نشأة السماء وإحكام بنائها، وأوصافها ودلالتها على صدق الوحي والنبوة.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: أصل نشأة السماء.

المطلب الثاني: الخاصية الرجعية للسماء.

المطلب الثالث: إحكام بناء السماء.

المطلب الرابع: السقف المحفوظ.

المطلب الخامس: تناقص الضغط الجوي في طبقات الجو العليا.

المبحث الثاني: آيات علمية قرآنية حول الشمس والقمر، ودلالتها على صدق الوحي والنبوة.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تسخير الشمس والقمر.

المطلب الثاني: الفرق بين ضوء الشمس ونور القمر.

المطلب الثالث: الاختلاف في مطالع الشمس ومغاربها.

المبحث الثالث: آيات علمية قرآنية حول النجوم، ودلالتها على صدق الوحي والنبوة.

وفيه أربعة :

المطلب الأول :تسخير النجوم.

المطلب الثاني: سقوط النجم.

المطلب الثالث: المطارق الكونية.

المطلب الرابع: الجوار الكنس.

المبحث الرابع: آيات علمية قرآنية حول الرياح والسحاب، ودلالتها على صدق الوحي والنبوة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الرياح لواقح.

المطلب الثاني: السحاب الركامي.

الفصل الثاني

الآيات العلمية القرآنية الأرضية ودلالتها على صدق الوحي والنبوة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول:آيات علمية قرآنية في الأرض وحركتها، ونعمة إنزال الحديد، ودلالة ذلك على صدق الوحي والنبوة.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: دوران الأرض.

المطلب الثاني: صدوع الأرض

المطلب الثالث: أخفض منطقة على سطح الأرض.

المطلب الرابع: الجبال أوتاد الأرض.

المطلب الخامس: نعمة إنزال الحديد.

المبحث الثاني: آيات علمية قرآنية حول الليل والنهار، والظلمات والنور ودلالتها على صدق الوحي والنبوة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: سلخ النهار من الليل.

المطلب الثاني: النهار يجلي الشمس.

المطلب الثالث: الظلمات والنور.

الفصل الثالث

آيات علمية قرآنية في عالم المياه والنبات ودلالتها على صدق الوحي والنبوة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تكوين الماء على الارض، ودورة المطر في الطبيعة.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تكوين الماء على الأرض.

المطلب الثاني: تفجير المياه من الحجارة.

المطلب الثالث: دورة المطر في الطبيعة.

المطلب الرابع : تسكين المياه في الأرض.

المبحث الثاني: البرزخ الكائن بين البحرين، وبعض الظواهر البحرية.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: البرزخ بين البحرين، والحجر المحجور.

المطلب الثاني: ظلمات وأمواج ضخمة في أعماق المحيطات.

المطلب الثالث: البحر المسجور.

المبحث الثالث: آيات علمية قرآنية في عالم النبات ودلالتها على صدق الوحي والنبوة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: إحياء الأرض الهامدة بالماء.

المطلب الثاني: الزوجية في عالم النبات.

المطلب الثالث: الزراعة في الأماكن المرتفعة.

المطلب الرابع: من الشجر الأخضر ناراً.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس:

*فهرس الآيات القرآنية.

*فهرس الأحاديث النبوية والآثار.

*فهرس الأعلام المترجم لهم.

*ثبت المصادر والمراجع.

*فهرس الموضوعات

الفصل التمهيدي

دراسة تأصيلية حول التفسير العلمي للآيات الكونية، ودلالته على صدق الوحي والنبوة

المبحث الأول

علم أدلة صدق الوحي والنبوة بين الأصالة والتجديد

في هذا المبحث سنركز على بيان المراد بأدلة صدق الوحي والنبوة، والفرق بينها وبين الوجه المعجز للقرآن الكريم، وذلك من خلال المطالب الأربعة الآتية:

المطلب الأول:

بيان معنى علم أدلة صدق الوحي والنبوة

هذا التعريف مركب من عدة مفردات:

1- **علم:** الأصل اللغوي للكلمة يدل على أثر بالشيء يميزه عن غيره[1]، والعلم: نقيض الجهل[2].

اصطلاحاً: العلم: "هو ما تم اكتسابه من الملاحظات الجادة والتجارب الموضوعية والحقائق"[3].

2- أدلة: لغة: "الدَّلِيلُ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ"[4] الدليل: "الأمارة في الشيء"[5].

اصطلاحاً: "ما يلزم من العلم به العلم بشيء آخر"[6].

3- صدق: الصدق: خلاف الكذب، سمي لقوته في نفسه، ولأن الكذب لا قوة له، هو باطل [7].

4- **الوحي: لغة:** الإشارة والكتاب والرسالة، وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى يعلمه[8]، والوحي كما ورد في حق الأنبياء ورد أيضا في حق الأولياء، ولسائر الناس بمعنى الإلهام، وفي

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج109/4.

(2) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج417/12، مجمل اللغة، ابن فارس، ص624، جمهرة اللغة، ابن دريد ج948/2.

(3) تعريف العلم لغة واصطلاحاً، موقع مصادر lhttps://mssader.com

(4) مختار الصحاح، زين الدين الرازي، ص106.

(5) مقاييس اللغة، ابن فارس، ج259/2.

(6) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي، ص210.

(7) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج339/3، الصحاح، الجوهري، ج1505/4،شمس العلوم، نشوان الحميري، ج3701/6.

(8) ينظر: مجمل اللغة، ابن فارس، ص919،الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج2519/6-2520.

الحيوانات بمعنى خاص، ثمَّ غلب فيما يُلقيه اللهُ عز وجل إلى أنبيائه [1].

أما في الاصطلاح الشرعي: فوحي الله تعالى للأنبياء هو:"ما يلقيه الله تعالى على قلب نبي من الأنبياء بواسطة ملك، أو بغير واسطة ملك"[2].

5- **النبوة لغة:** العلم من أعلام الأرض التي يهتدى بها كالجبل[3]، من نبا ينبو أو من النبأ فنبا الشيىء أي: ارتفع، وهو الأرض المرتفعة. و [نبا]: النبوة: الارتفاع في الشيء عن غيره أو تنح عنه [4].. ويقال إن ﷺ اسمه من النبوة، وهو الارتفاع، كأنه مفضل على سائر الناس برفع منزلته. ويقولون: النبي: الطريق [5].

اصطلاحاً: صفة ثبوتية في النبي، وصفة إضافية هي مجرد تعلق الخطاب الإلهي به.

والنبوّة قد قال طائفة من الناس: إنّها صفة في النبي[6].

دلائل نبوة محمد ﷺ اصطلاحاً: "هي ما أكرم الله عز وجل به نبيه محمداً ﷺ مما يدل على صدق نبوته" [7].

أدلة صدق الوحي والنبوة اصطلاحاً:

تعريف أ. د. عبد السلام اللوح: (الأدلة الدالة على أن القرآن كلام الله حقاً، وأن محمداً ﷺ هو رسول الله حقاً) [8].

---

(1) ينظر: الكليات، أبو البقاء الكفوي، ص918، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج2415/3.

(2) معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي، ص500.

(3) دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني، من أول (الفصل الثلاثون...)إلى نهاية الكتاب دراسة وتحقيق، د. جعفر الشيبي، ص72. أصل الكتاب رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه في الحديث وعلومه، من كلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القرى.

(4) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج384/5، شمس العلوم، نشوان الحميري، ج6468/10.

(5) مقاييس اللغة ، ابن فارس، ج385/5.

(6) ينظر: النبوات، ابن تيمية، ج989/2، دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني... دراسة وتحقيق، د. جعفر الشيبي، ص73.

(7) دلائل النبوة ... دراسة وتحقيق، د. جعفر الشيبي، ص72.

(8) بناء آيات التحدي بين التحليل والدلالة على وجه الإعجاز البياني، ص27.

وبناءً على ما سبق يمكن للباحثة تعريف علم أدلة صدق الوحي والنبوة بأنه: **العلم الذي يبحث فيما أكرم الله به نبيه محمداً ﷺ من حقائق وأخبار الوحي الصادق، مما يدل على صحة مصدره الرباني، ويثبت صدق نبوته ﷺ .**

"مرادفات دلائل النبوة:

1- علامات النبوة.

2- أمارات النبوة.

3- آيات النبيﷺ .

4- البراهين على نبوة محمدﷺ .

5- أحيانا يطلق على المعجزات والخصائص، ولكن بينهما عموم وخصوص، فالدلائل أعم من المعجزات"[1].

بعض من مؤلفات المتقدمين في هذا العلم:

1- أمارات النبوة، لأبي إسحاق الجوزجاني، المتوفى: 259هـ.

2- دلائل النبوة، لجعفر بن محمد الفِرْيابِي، المتوفى عام301هـ.

3- تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، أبو الحسين المعتزلي، المتوفى عام415هـ.

4- دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني، المتوفى عام 430هـ.

5- أعلام النبوة، للماوردي ،المتوفى عام 450هـ.

6- دلائل النبوة، للبيهقي، المتوفى عام 458هـ.

7- كتاب دلائل النبوة، لإسماعيل بن محمد، المتوفى عام 535هـ.

8- إثبات نبوة محمد ﷺ، لابن المزين الأندلسي، المتوفى عام 656هـ.

---

(1) دلائل النبوة...دراسة وتحقيق، د. جعفر الشيبي، 73

ومن المؤلفات المعاصرة في هذا العلم:

1- الأدلة الجلية على صدق خير البرية ، للدكتور عبد المحسن المطيري.

2- الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، سعود العريفي، الكتاب أصله رسالة ماجستير من قسم العقيدة جامعة أم القرى مكة المكرمة. الفصل الخامس بعنوان: دلائل النبوة.

3- الأخبار الغيبية القرآنية ودلالتها على صدق الوحي والنبوة "دراسة موضوعية"، لأسامة رضوان، رسالة علمية لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن بإشراف الأستاذ الدكتور: عبد السلام اللوح، منشورة عام 1439هـ- 2018م.

4- الآيات التشريعية القرآنية ودلالتها على صدق الوحي والنبوة "دراسة موضوعية" رسالة دكتوراه لجملات عيد أبو ناصر، كلية أصول الدين، إشراف أ. د. رياض محمود قاسم، الجامعة الإسلامية بغزة- 2020م.

المطلب الثاني:

إعجاز القرآن ودلالته على صدق الوحي والنبوة

إعجاز القرآن كما يدل عليه لفظه وتاريخه، دليل النبي ﷺ على صدق نبوته، وأن القرآن الكريم من عند الله تعالى[(1)]، يقول الإمام الطبري: "الله جل ذكره أرادَ أن يجمعَ - برَصْفه العجيب ونظْمِه الغريب، المنعدِلِ عن أوزان الأشعار، وسجْع الكُهَّان وخطب الخطباء ورَسائل البلغاء، العاجز عن رَصْف مثله جميع الأنام، وعن نظم نظيره كل العباد - الدلالةَ على نبوة نبينا محمد ﷺ "[(2)].

وقد أورد الله التصريح بإعجاز القرآن كدليل على صحة رسالة محمدﷺ في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 23] ؛ ووجه دلالة القرآن على صدق النبي ﷺ هو أنه ليس في مقدور أحد كائناً من كان أن يأتي بهذا القرآن من عند نفسه إلا رب العالمين؛ فإن كان الإتيان بمثل القرآن ممتنعاً على هؤلاء حال اجتماعهم، فهو على محمد ﷺ وحده أشد امتناعاً، ولم يخص محمداً ﷺ بتنزيله عليه من سائر الناس إلا تدليلاً على أنه رسوله الصادق الذي أرسله إلى خلقه [(3)].

وإعجاز القرآن: "كونه أمراً خارقاً للعادة، لم يستطع أحد معارضته رغم تصدي الناس له"[(4)]، وقد ثبت الإعجاز للقرآن الكريم بعجز العرب عن معارضته فامتناعهم من المعارضة مع شدة دواعيهم إلى توهين أمره دليل ثبوت إعجازه؛ فقد تحدّوا بسورة منه مجتمعين أو منفردين فلم يأتوا بها مع أنهم كانوا متهالكين في إبطال أمره حتى بذلوا النفوس والأموال، وارتكبوا المخاوف والمحن، وكانوا في الحمية والأنفة إلى حد لا يقبلون الحق فكيف الباطل؟ فقد بلغت كل سورة متحداً بها في الفصاحة إلى حد الإعجاز وقد بقي ﷺ يطالبهم به مدة عشرين سنة، حتى نابذوه

---

(1) ينظر: الظاهرة القرآنية لمالك بن نبي، تقديم د. محمود شاكر، ص24.

(2) جامع البيان، الطبري، ج199/1.

(3) ينظر: المعجزة الخالدة، د. حسن عتر، ص157، الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، سعود العريفي، ص522-523.

(4) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، د. عبد السلام اللوح، ص7.

الحرب التي ذهبت فيها النفوس والأموال وقطعت الأرحام، ولو كان بمقدورهم معارضته، لم يتكلفوا هذه الأمور الوعرة [1] .

هل تقام الحجة بإعجاز القرآن على الأعجمي، أو من هو متوسط اللسان؟

وعجز العرب وهم أهل الفصاحة والبيان عن معارضة القرآن دليل على عجز الخلق جميعاً عن معارضته [2]؛ لأنهم دونهم في الفصاحة [3].

والأعجمي لا يعلم أنه معجز إلا بأن يعلم عجز العرب عنه؛ فإذا عرف عجز أهل الصنعة حل محلهم، وجرى مجراهم في توجه الحجة عليه، وكذلك متوسط اللسان، لا يعرف ما يعرفه العالي فيه، فربما حل في ذلك محل الأعجمي، في أن لا تتوجه عليه الحجة حتى يعرف عجز المتناهي في الصنعة عنه[4].

وعلينا التركيز في فهم طبيعة القرآن فهو كتاب (إعجاز وهداية) حيث تقام الحجة على صدق نبوته ﷺ بإعجاز القرآن، فمن لم يذعن بالإيمان وادّعى أنه من قول البشر طالبه القرآن بتحدي معجزة القرآن بمعارضة ولو سورة منه مهما كانت قصيرة، فإن لم يفعل ذلك فبعجزه عن المعارضة يظهر صدق النبي ﷺ والميدان لا زال أمامه مفتوحاً لتعلم لغة القرآن ولمن يستهجن هذا الرأي فعليه أن يطالع دراسات المستشرقين في ميدان العلوم الإسلامية، أما كون القرآن الكريم كتاب هداية فهو مشتمل على عشرات الأدلة العقلية التي يمكن للأعجمي وغيره الوقوف عليها، للتحقق من صدق مصدره الرباني، وبالتالي صدق نبوة محمد ﷺ .

---

(1) ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، كتاب: بيان إعجاز القرآن، الخطابي، ص21، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، ج1/ 193.

(2) ينظر: جامع البيان، الطبري، ج1/ 373، إعجاز القرآن، الباقلاني، ص259.

(3) يقول الإمام الطبري: "وإذا عَجزتم عن ذلك –وأنتم أهل البراعة في الفصاحة والبلاغة والدِّراية فقد علمتم أن غيركم عما عَجزتم عنه من ذلك أعْجزُ" جامع البيان، الطبري، ج373/1.

(4) ينظر: إعجاز القرآن، الباقلاني، ص25.

ودلائل النبوة من جنس دلائل الربوبية، فيها الظاهر البين لكل أحد؛ وفيها ما يختص به من عرفه مثل دقائق التشريح، ومقادير الكواكب وحركاتها، وغير ذلك، والخلق كلهم محتاجون إلى الإقرار بالخالق والإقرار برسله، وما اشتدت الحاجة إليه في الدين والدنيا فإن الله يجود به على عباده جوداً عاماً ميسراً، ودلائل الربوبية، حاجة الخلق إليها في دينهم أشد الحاجات، ثم دلائل النبوة، فلهذا يسرها الله وسهلها أكثر مما لا يحتاج إليه العامة، مما يتكلم فيه بعض العلماء [1].

(1) ينظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، ج5/ 435- 436.

المطلب الثالث:

تعريف الوجه المعجز وأركانه وشروطه:

إن عدم وجود تعريف للوجه المعجز قد ساعد على الاختلاف المتجدد في تحديد أوجه الإعجاز إلى زماننا هذا، وكثير من الأوجه التي ذكرها العلماء، تغدو غير مسلم بها لدى جميع العلماء، وتلحق خصائص القرآن وفضائله[1]؛ ولذلك كان من الواجب العناية بضبط هذا التعريف توضيحاً لحدوده، ومنعاً من دخول غيره فيه.

أولاً: تعريف الوجه المعجز لغة واصطلاحاً:

1- الوجه المعجز لغة:

هذا التعريف مركب تركيباً وصفياً من مفردتين هما الوجه، والمعجز، **ولا بد من تعريف لغوي لكل منهما حتى يتسنى لنا تعريف هذا المصطلح، وذلك فيما يأتي:**

أ- **الوجه لغة:** مستقبل كل شيء، يقال وجه الرجل وغيره، كما يأتي الوجه لعدة معانٍ في اللغة من أهمها: الجهة والناحية، النوع والقسم، وأحياناً يعبر عن الذات بالوجه، يقال: هذا وجه الرأي أي: هو الرأي نفسه [2].

ب- **المعجز لغة:** فهو من عجز، الذي يدل أصلها على أحد معنيين هما: الضعف، ومؤخر الشيء[3].

2- تعريف الوجه المعجز اصطلاحاً:

بعد الاطلاع في المؤلفات التي كتبت في إعجاز القرآن قديماً وحديثاً، لم تقف الباحثة إلا على تعريفين أحدهما للدكتور حسن عتر، والآخر للدكتور عبد السلام اللوح، وأشار كل منهما أنه أول من عرف هذا الفن فيما يعلم، مما يؤكد أن المتقدمين فيما وصل إلينا لم يضعوا تعريفاً له.

---

(1) ينظر: المعجزة الخالدة، د. حسن عتر، ص192.

(2) تاج العروس، الزبيدي، ج36/535-543، مقاييس اللغة، ابن فارس، ج6/88، الصحاح، الجوهري، ج6/2254. بتصرف.

(3) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج4/232.

1- تعريف د. حسن عتر: حيث قال بأنه أول من عرف الوجه المعجز، وعرفه بما يأتي: **(كل مزية في نظم القرآن، أو معانيه، خارجة عن طوق المخلوق).**

وشرح هذا التعريف بقوله: ونريد بذلك كل وصف امتاز به القرآن عن غيره حتى أعجز المخلوقات عن معارضته، فيكون كل وجه شاملاً عدداً من المعجزات الكثيرة وتندرج في موضوع واحد[1]، ويلاحظ على هذا التعريف أنه غير مكتمل الحدود والأركان والشروط[2]، ويظهر ذلك من خلال:

أ- أن خصائص القرآن ومزاياه تدخل في تعريف الوجه المعجز؛ حيث إن تعريف الوجه بأنه (كل مزية...) يفتح الباب أمام خلط خصائص القرآن، بوجه إعجازه، وهذا ما نبه عليه د. حسن عتر قبل تعريفه للوجه المعجز اصطلاحاً.

ب- في شرحه للتعريف قال بأن القرآن يحتوي على العديد من المعجزات التي تندرج في موضوع واحد، وهو قول يفتقد إلى الدقة لأن هنالك شروطاً للمعجزة نابعة من تعريفها لا بد من توافرها حتى يصح اطلاق هذا المصطلح عليها ولا تلتبس بغيرها فهي: **(أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة[3]).**

ج- التعريف يفتقد لشرط التحدي، لأن المعجزة القرآنية متحدىً بها، كما لم يتطرق التعريف للحديث عن المثلية المتحدى بها، والمنصوص عليها في كل آيات التحدي.

د- في قوله: (نظمه أو معانيه) يفهم من التعريف أن المعاني وحدها يمكن أن تكون معجزة، وهذا مردود؛ فمعاني القرآن غير معجزة إذا استقلت عن النظم واللفظ[4]، لأنها لا تمثل

---

(1) المعجزة الخالدة، د. حسن عتر، ص192.

(2) للوقوف على شروط وأركان الوجه المعجز يراجع كتاب الفتح الرباني في وجه الإعجاز القرآني،أ.د. عبد السلام اللوح، البحث ص36-39 .

(3) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج3/4.

(4) يقول الإمام الخطابي: "إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل ، ومعنىً به قائم، ورباط بينهما ناظم...إلى قوله : وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام، فأما أن توجد مجموعة في نوع واحد منه فلم توجد إلا في كلام العليم القدير...القرآن صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمناً أصح المعاني".(ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، الرسالة الأولى: بيان إعجاز القرآن، الإمام الخطابي، 27.

المثلية الكاملة المتحدى بها الممثلة للمعجزة القرآنية، سواء أكان ذلك في القرآن كله، أم في عشر سور، أم في سورة منه مهما قصرت في عدد آياتها وكلماتها.

2- تعريف أ. د. عبد السلام اللوح للوجه المعجز:**(ذلك الأمر الذي وقف سداً منيعاً أمام الخلق جميعاً عن معارضة القرآن بمثله، وقد وقع من جهته التحدي، وقد حقق المثلية الكاملة المتحدى بها، وهو موجود في كل سور القرآن بلا استثناء)** [1].

وتري الباحثة أن هذا التعريف يُعدُّ جامعاً؛ لأنه يجمع شروطا وأركاناً في طياته مما أدى لمزيد من الضبط، لكنه ليس مانعاً من دخول الصرفة فيه.

3- تعريف الباحثة: ومن خلال ما سبق يمكن تعريف الوجه المعجز في القرآن الكريم بما يأتي : **(هو ذلك الأمر المتمثل في القرآن ذاته، والذي وقع به التحدي، ومن جهته كانت معارضة القرآن بمثله أمراً معجزاً خارجاً عن طوق المخلوق).**

ملاحظة: في قولنا المتمثل في القرآن، ضبط للوجه المعجز بأن يكون في القرآن نفسه، وليس خارجاً عنه، كالقول بالصرفة.

ثانياً: شروط وأركان الوجه المعجز والفرق بينهما:

قبل أن نذكر الفرق بين شروط وأركان الوجه المعجز، لا بد من التعرف على معنى كل منهما لغة واصطلاحاً، ومن ثم يتبين لنا الفرق بينهما، مما يترتب عليه ضبط وتحديد شروط وأركان الوجه المعجز بمنتهى الدقة والموضوعية.

1_ تعريف شروط الوجه المعجز لغة واصطلاحاً:

أولاً: الشرط لغة:

الشرط مصدر (شرَطَ)، والأصل اللغوي للكلمة يدل على علم وعلامة، والشرط صفة لازمة مطلوبة، وهو ما يوضع ليُلتزم به؛ حيث يدل على إلزام الشيء والتزامه في البيع ونحوه، وهو ما لا يتمّ الشَّيء إلاّ به بدون أن يكون داخلاً في حقيقته[2].

---

(1) الفتح الرباني في وجه الإعجاز القرآني، للأستاذ الدكتور: عبد السلام اللوح، البحث الأول: حوار مع الرماني في وجوه الإعجاز القرآني، ص39.

(2) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج260/3، لسان العرب، ابن منظور، ج329/7، معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار، ج1187/2.

ثانياً: شروط الوجه المعجز اصطلاحاً:

بعد الاطلاع على المعنى اللغوي يمكن للباحثة تعريف شروط الوجه المعجز بأنها: **(الأمور الخارجة عن حقيقة وماهية الوجه المعجز المتحدى به، ويتوقَّفُ على وجودها تحقق الإعجاز في ذلك الوجه).**

الشرط الأول: وقوع التحدي به:

لقد علم بالتواتر أن محمدا ﷺ ادعى النبوة وجاء بهذا القرآن، وأن في القرآن آيات التحدي والتعجيز كقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كانُوا صادِقِينَ ﴾فتحداهم هنا أن يأتوا بمثله.

وقال في موضع آخر: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ .. ﴾ [هود: 13]، وقال تعالى:﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: 23] وأخبر أنهم لن يفعلوا فقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ﴾ [البقرة: 23-24].

بل أخبر أن جميع الإنس والجن لا يأتون بمثله ولو اجتمعوا لذلك فقال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ [الإسراء: 88] [1]، ولم ينقل عن النبي ﷺ التحدي إلا في القرآن خاصّة [2].

الشرط الثاني: عجز الخلق عن معارضته بعد وقوع التحدي به:

معلوم بالتواتر أن النبي ﷺ دعا قريشاً خاصة والعرب عامة، وأنه تحداهم بالقرآن فلم يأتوا بسورة من مثله وذلك يدل على عجزهم عن معارضته لأن الإرادة الجازمة لا يتخلف عنها الفعل مع القدرة، ومعلوم أن إرادتهم كانت من أشد الإرادات على تكذيبه وإبطال حجته، ثم انتشرت دعوته في أرض العرب، ثم في سائر الأرض إلى هذا الوقت، وآيات التحدي قائمة متلوة وما قدر أحد أن يعارضه بما يظن أنه مثل [3].

---

(1) ينظر: شرح العقيدة الأصفهانية، ابن تيمية، ص220.

(2) ينظر: النبوات، ابن تيمية، ج541/1.

(3) ينظر: شرح العقيدة الأصفهانية، ابن تيمية، ص221- 222.

"وهكذا أنبأنا التاريخ بهذا العجز في عصر القرآن، حيث لم يسجل لأحد فيه قدرة على ذلك، وكلما تطاول الزمان بين عصر المبعث والعصور التالية له، كان أهلها أشد عجزاً، وأقل طمعاً في هذا المطلب العزيز، لانحراف ألسنتهم وفساد سلائقهم، وكانت شهادة على إعجاز القرآن إلى أن تطوى صفحة هذا الوجود، ويرث الله – تعالى – الأرض ومن عليها"[1].

الشرط الثالث: أن يتوفر فيه القدر المعجز المتحدى به:

العلماء في القدر المعجز من القرآن على ثلاثة أقوال:

الأول: الإعجاز متعلق بجميعه لا ببعضه، وهذا رأي المعتزلة، ورد هذا القول بأن آيات التحدي مثل قوله تعالى: ﴿..**فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ**..﴾ [البقرة: 23] تخالف هذا القول.

القول الثاني: القليل والكثير منه معجز، ولا يتقيد بسورة تامة؛ لقوله تعالى: ﴿**فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ**﴾ [الطور: 34]والحديث يصدق على القليل والكثير، ورد هذا القول بأن الحديث التام لا يتأتى إلا بأقصر سورة أو مثلها، كما بين ذلك قول الله تعالى: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [البقرة: 23].

القول الثالث: أن الإعجاز يتعلق بسورة تامة ولو قصيرة، ودليلهم على ذلك قول الله تعالى: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [البقرة: 23]، وهذا هو القول المشهور لدى العلماء[2].

"والقدر المعجز من القرآن ما جمع الجهتين: اطراد النظم والسرد، وتحصيل المعاني وتركيب الكثير منها في اللفظ القليل: فأما مثل قوله تعالى: ﴿**مُدْهامَّتانِ**﴾ [الرحمن: 64] وقوله ﴿**ثُمَّ نَظَرَ**﴾ [المدثر: 21] فلا يصح التحدي بالإتيان بمثله لكن بانتظامه واتصاله يقع العجز عنه"[3].

وبالتالي يمكننا القول إن الوجه المعجز له ثلاثة شروط هي:

---

(1) الإعجاز البياني واللغوي في القرآن الكريم ،عمر حمزة ، ص6 .

(2) ينظر: روائع البيان في إعجاز القرآن، أ. د محمد محيسن، ص16.

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ج3/ 120- 121.

1- وقوع التحدي به.

2- العجز عن معارضته بعد وقوع التحدي به.

3- أن يتوفر فيه القدر المعجز المتحدى به.

ثالثا: أركان الوجه المعجز في القرآن الكريم:

1- تعريف أركان الوجه المعجز لغة واصطلاحاً:

أولاً: الركن لغة:

الركن مفرد أَركان، وهو جزء من أجزاء حقيقة الشَّيء، وأَحدُ جوانب الشَّيء، أو الجانب الأقوى الذي يستند إليه، وركن الدِّين: عمادُه، والركن ما يتقوَّى به من عشيرة وأنصار وأجناد، قال تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[هود: 80]: أي إلى عِزٍّ ومَنَعة، وركن إلى الشيء مال إليه وسكن[1].

ثانياً: الركن المعجز اصطلاحاً:

يمكن للباحثة تعريف أركان الوجه المعجز بأنه: **الأجزاء التي تكون حقيقة وماهية الوجه المعجز المتحدى به، ويتوقف على وجودها مجتمعة تحقق الإعجاز في ذلك الوجه.**

ثالثاً: أركان الوجه المعجز في القرآن الكريم:

بين الإمام الخطابي أن الكلام يقوم بأشياء ثلاثة: "لفظ حامل، ومعنىً به قائم، ورباط بينهما ناظم . وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضل حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلائماً وتشاكلاً من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها.

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج430/2، لسان العرب، ابن منظور، ج185/13، معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار، ج939/2.بتصرف.

وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام، فأما أن توجد مجموعة في نوع واحد منه، فلم توجد إلا في كلام العليم القدير، الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً"[1].

مما سبق نستطيع القول إن الإمام الخطابي- رحمه الله- قد وفق إلى إضاءة الطريق الموصل إلى تحديد أركان المثلية المتحدى بها في القدر المعجز من القرآن وهي ثلاثة أركان متلازمة :

الركن الأول: اللفظ القرآني.

الركن الثاني: المعنى القرآني.

الركن الثالث: النظم القرآني.

والتي بمجموعها تشكل الوجه المعجز في سورة من القرآن مهما كانت قصيرة، أو عشر سور، أو في القرآن كله، وهذه الأركان المتكاملة لا يمكن تجزئتها بفصل بعضها عن بعض، حيث تمثل بمجموعها وجه إعجاز القرآن الكريم.

وهذا التحدي والتعجيز قائم في لفظ القرآن ونظمه ومعناه [2]، وقد قال سبحانه وتعالى: **﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾** [الإسراء: 88].

وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله، لأمور:

1- لا يستطيعون الإحاطة بجميع أسماء اللغة العربية، وبأوضاعها التى هي ظروف المعاني، والحوامل لها.

2- ولا يمكن لعقولهم إدراك جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ.

3- ولا يملكون المعرفة الكاملة بجميع وجوه النظوم، التى بها يكون ائتلافها، وارتباط بعضها ببعض، فيتوصلوا باختيار الأفضل عن الأحسن من وجوهها، إلى أن يأتوا بكلام مثله[3].

(1) ثلاث رسائل في إعجاز القران للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ص27.

(2) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج33/ 42-43.

(3) ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ص26-27.

الركن الأول: اللفظ القرآني:

يقول الجاحظ: "القرآن ينتقى من الألفاظ جوامعها وأغناها بالدلالة، ويختار من أدوات التعبير ما يعطيك من المعنى ما هو دائماً – متجدد متدفق، بحيث يسع وجهات النظر المختلفة... حتى ترى للفظة الواحدة أو الكلمة الواحدة وجوهاً عدة، كلها صحيح أو محتمل للصحة "(1).

ويصف الإمام الخطابي عمود بلاغة القرآن بأنه وضع كل نوع من الألفاظ موضعه الأخص الأشكل به الذى إذا أبدل مكانه غيره جاء منه: إما تبدل المعنى الذى يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذى يكون معه سقوط البلاغة(2).

الركن الثاني: المعنى القرآني:

"القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمناً أصح المعاني: من توحيد له – عزت قدرته – وتنزيه له في صفاته، ودعاء إلى طاعته، وبيان بمنهاج عبادته: من تحليل وتحريم، وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق، وزجر عن مساويها.

واضعاً كل شيء منها موضعه الذى لا يرى شئ أولى منه، ولا يرى في صورة العقل أمر أليق منه، مودعاً أخبار القرون الماضية، وما نزل من مثلات الله بمن عصى وعاند منهم، منبئا عن الكوائن المستقبلة في الأعصار الباقية من الزمان، جامعاً في ذلك بين الحجة والمحتج له، والدليل والمدلول عليه، ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه، وإنباء عن وجوب ما أمر به ونهى عنه"(3).

ويرى ابن تيمية– رحمه الله– "أنّ الإعجاز القرآني في معناه أعظم وأكثر من الإعجاز في لفظه، وجميع عقلاء الأمم عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه، وهذه الأمور من ظهرت له من أهل العلم والمعرفة، ظهر له إعجازه من هذا الوجه، ومن لم يظهر له ذلك اكتفى بالأمر وهو عجز جميع الخلق عن الإتيان بمثله مع تحدي النبيﷺ لهم، وإخباره بعجزهم، فإن هذا أمر ظاهر لكل أحد"(4).

---

(1) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، المطعني، ج367/1.

(2) ينظر: ثلاث رسائل في إعجاز القران للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ص29.بتصرف.

(3) ثلاث رسائل في إعجاز القران للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ص27–28.

(4) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، ج434/5– 435.

فإن قيل كيف يتحد العرب بما لم يعلموه؟

يرد عليهم أن القرآن ليس خطاباً للعرب وحدهم؟ ومعانيه غير مقصورة على أفهامهم؟ وبالتالي يمكننا القول القرآن أنزله الله بلسان عربيّ، فألفاظ القرآن لها مثلٌ في معنى العربية، فهمه العرب بسليقتهم اللغوية السليمة. ولكننا لا يمكننا قصر معاني ألفاظه وحجر دلالتها على علوم العرب؛ فهو معجزة خالدة على مر الأجيال، وفي كل عصر تتكشف جوانب من معاني بيانه المعجز بما يتناسب مع علوم كل عصر. وذلك راجع إلى خصائصه البلاغية.

وما نحن بصدد مناقشته من أركان هذه المثلية هو **(المعنى)** حيث يوجد في القرآن معان مثل الإخبار عن قصص الأمم الغابرة لم يكن في نطاق العلم البشري الإحاطة بها وقت نزول القرآن، كما يوجد معان أخرى في القرآن تكشفت بعدما تطور العلم البشري في شتى المجالات كالعلوم الكونية، والتشريعية ، والاجتماعية وغيرها.

ومعاني القرآن نوعان:

"**المعاني الأولية:** أو المعاني الأصلية فالمعنى الأوّلي لأيّ كلام بليغ هو ما يستفاد من هذا الكلام ومن أي صيغة تؤديه سواه، ولو بلغة أخرى كمجرد إسناد محكوم به إلى محكوم عليه. وسمّي معنى أوّلياً؛ لأنه أول ما يفهم من اللفظ. وسمّي أصليًا؛ لأنه ثابت ثبات الأصول، لا يختلف باختلاف المتكلمين ولا المخاطبين ولا لغات التخاطب، بل هو مما يستوي فيه العربي والعجمي والحضري والبدوي والذكي والغبي.

المعاني الثانوية: أو المعاني التابعة، أما المعنى الثانوي فهو ما يستفاد من الكلام زائداً عن معناه الأوّلي، وسمّي ثانويًا؛ لأنه متأخر في فهمه عن ذلك. والكلام البليغ يتفاوت تفاوتا بعيد المدى، تبعا لدرجة توافر هذه الزوائد فيه كلّا أو بعضا، ولم تعرف الدنيا ولن تعرف كلاما بلغ الطرف الأعلى والنهاية العظمى في الإحاطة بكل الخواص البلاغية، سوى القرآن الكريم، الذي انقطعت دونه أعناق الفحول من البلغاء، وانبهرت في حلبته أنفاس الموهوبين من الفصحاء، حتى شهدوا على أنفسهم بالعجز حين شاهدوا روائع الإعجاز، ورأوا أن كلامهم وإن علا فهو من الخلق أما القرآن فهو من الخلّاق"[1]!.

---

(1) الحديث في علوم القرآن والحديث، حسن أيوب، ص94.

و" الدقة في الأداء القرآني الذي يتفق مع ما اكتشفه ويكتشفه العلم من حقائق بحيث لا يوجد تناقض بينهما هو منهج اتبعه القرآن في التعبير عنها في تناسق تام لا نفرة فيه. وهو راجع إلى الإعجاز البلاغي الذي تحدى به القرآن العرب، كما لا يزال يتحدى به الأجيال المتعاقبة، ولا شك أن الأعجمي حين يجد هذا التوافق والانسجام بين التعبير القرآني وبين الاكتشاف العلمي يتحقق من إعجاز القرآن في بلاغته"[1]؛ لأن الخطاب القرآني لم يكن للعرب وحدهم، وفهم دلالة معانيه لا تقتصر على زمانهم؟

وترى الباحثة أن التفسير العلمي، ما هو إلا توسيع لدلالة معاني الألفاظ القرآنية، وبالتالي فإن ما يستنتج من توافق دلالة هذه الألفاظ وما أثبته البحث العلمي التجريبي، لا يخرج عن خصائص الأسلوب القرآني، والبلاغة القرآنية.

الركن الثالث: النظم القرآني:

لم يأت أحد بنظير نظم القرآن وأسلوبه فهو مختلف عن أساليب الكلام المعروفة، فليس من جنس الشعر ولا الرجز ولا الخطابة ولا الرسائل، ولا نظمه نظم شيء من كلام الناس عربهم وعجمهم [2].

3- الفرق بين الشرط والركن في الوجه المعجز:

وترى الباحثة أنه من المهم التفريق بين أركان الوجه المعجز و شروطه، فكل من شروط الوجه المعجز، وأركانه يتوقف عليها وجود الإعجاز، لكن الركن جزء من حقيقة الإعجاز القرآني، أما الشرط فيتوقف عليه وجود الإعجاز لكنه ليس داخلاً في حقيقته بل هو خارج عنها. وما فقد شرط أو ركن منهما، فلا يصح أن يطلق عليه وجه معجز بالمعنى الاصطلاحي لإعجاز القرآن، بل قد يلحق بأحد خصائص القرآن أو مزاياه، أو يكون دليلاً وبرهاناً على صدق الوحي والنبوة للنبي محمدٍ ﷺ.

4- وجه الإعجاز في القرآن الكريم:

لقد اختلف العلماء في تعليل وجه إعجاز القرآن، والذي عليه جمهرة أهل العلم والتحقيق، هو بلوغ القرآن في درجات البلاغة والفصاحة مبلغاً تعجز قدرة بلغاء العرب عن الإتيان بمثله[3].

---

(1) التفسير العلمي للقرآن، د. أحمد أبو حجر، ص138.

(2) ينظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، ج5/433.

(3) ينظر: الإعجاز البياني واللغوي في القرآن الكريم، عمر حمزة، ص10.

لقد طلب أهل النظر للإعجاز وجهاً أو وجوهاً تشمل القرآن كله من الفاتحة حتى الخاتمة؛ ورفضوا الصرفة مطلقاً حين لم يَرْوا فيها معنى للإعجاز، ورفضوا غيرها كذلك. حتى ولو كان في نفسه مُعجِزاً، مثل الإشارات العلمية الصادقة التي طابقها العلم الحديث بعد قرون، ومثل الإخبار الغيبى عما سيكون وقد كان، ومثل الإخبار عن الماضي الذي ليس لمعرفته سبيل عند البَشر، ومثل التوجيه التشريعي الذي لم ينقض ولن ينقض لأنه تشريع حكيم عليم، ولم يرتضوا أن يكون واحد مما سبق وجهاً من وجوه الإعجاز المقصود بالتحدي ولم يكن بدٌّ عند هؤلاء المحققين إلا أن يكون الإعجاز القرآني إعجازاً بيانياً أدبياً كامناً في أسلوبه ونظمه، وبلاغته وفصاحته[1].

- فالتحدي بالقرآن كان في حدود ما نزل من سوره في بداية الدعوة.
- أدنى مراتب التحدي أقصر سورة من القرآن.
- التحدي بالقرآن كان بوجه مما برع القوم فيه [2].

الرأي المختار في تحديد الوجه المعجز في القرآن الكريم:

القرآن الكريم معجز بلفظه ونظمه ومعناه[3]، وإعجاز القرآن هو إعجاز بياني، قائم بنظمه وتأليفه بكل ما تحتمل هذه العبارة من مزايا النظم والتأليف؛ فيدخل فيه اختيار اللفظ للدلالة على معنى معيَّن، ثم موضعه من الجملة، ثم أثره الصوتي الذي يمثل إيقاعاً ينتظم مع غيره فتتكون بذلك ظاهرة الإيقاع الصوتي الذي يمتاز القرآن بها عن سواه؛ فالإعجاز راجع إلى النظم والتأليف، والفصاحة والبلاغة من أهم سمات النظم البليغ والتأليف المحكم[4].

---

(1) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ج1/137.

(2) ينظر: الإعجاز البياني واللغوي في القرآن الكريم، عمر حمزة ، ص10.

(3) ينظر: شرح العقيدة الأصفهانية، ابن تيمية، ص220.

(4) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، المطعني، ج1/184-178.

المطلب الرابع:

الفرق بين أدلة صدق الوحي والنبوة، والوجه المعجز للقرآن الكريم:

يوجد فرق واضح بين المعجزة والأدلة، فكل سورة من القرآن هي معجزة مستقلة قائمة بذاتها، ووجه الإعجاز فيها هو الوجه البياني البلاغي لأنه ينتظم في جميع القرآن، أما تلك الأدلة فلا ينطبق عليها ذلك. فإن بعض الباحثين المحققين الذين يتحفظون على مصطلح الإعجاز العلمي، ويرون استبداله بمصطلح: دلائل صدق القرآن، منعًا للخلط واللبس [1].

ومن يبحث عن الحق ويتلمس الهداية فسيجد في القرآن الكريم أدلتها الكثيرة التي تفتح آفاق العقل للتفكر وتحرره من قيود التبعية الجاهلية، فآياته إن قرأها العربي الفصيح وجد بها حلاوة البيان، وروعة الفصاحة والبلاغة، فيحكم بداهة أنه ليس من قول البشر فيكون دليل صدقه ذلك الكتاب، وإن قرأ معاني هذه الآيات الأعجمي وجد بها أدلة صدقه ﷺ ، فتحصل له الهداية بذلك وتقام عليه الحجة لأن هذه المعارف لم تكن في نطاق العلم البشري وقت نزول القرآن الكريم.

ومن أراد الهداية فميدان الآيات والبراهين أقرب فيمكن أن يكون الدليل في كلمة ويمكن أن يكون في آية وممكن أن يكون في قدر غير ذلك. خاصة في هذا العصر فيصعب تذوق إعجازه البلاغي وهذا بالإضافة إلى أن القرآن الكريم كتاب إعجاز فهو أيضاً كتاب هداية ورشد، ويمكن القول بأن آيات وأدلة الهداية في القرآن الكريم جاءت بخصيصة بلاغية تتناسب مع التدرج المعرفي للإنسان، بحيث يظهر في كل عصر أدلة ما من مثلها آمن الناس عليها.

وكل ما تطورت علوم العصر ثبت مزيد من إعجاز القرآن البلاغي المكنون في هذه الألفاظ القرآنية، مما يجعل من إمكانية معارضته أمراً مستحيلاً فمن أراد المباراة، فليدخل ميدان الإعجاز (وهو الميدان الأصعب) ، وإن كان أعجمياً فليتعلم لغة القرآن فالعلم بالتعلم ونحن نرى جهود المستشرقين التى تبذل في الدراسات العربية والإسلامية.

إنّ التوافق الكائن بين **معاني القرآن**، وما أثبته العلم من حقائق في شتى المجالات العلمية التجريبية؛ أو التشريعية، أو التربوية، أو الإخبارية، يعدُّ من الآيات والأدلة على صدق

(1) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، ج1/ 382.

مصدره الرباني، وإقامة الحجة على نبوة خير الأنام محمد ﷺ وفي كل عصر يبرز جانب من جوانب هذه الأدلة.

فالهدف الأساس للقرآن الكريم هو تبصير الإنسان بطريق الهداية ودعوته لسلوكها، ﴿إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾ [الإسراء: 9]، ولما كان المخاطبون هم جملة الناس بمختلف طبقاتهم وفئاتهم وعلى اختلاف مستوياتهم الفكرية والثقافية، جاء في القرآن الكريم من البراهين والأدلة والأمثال ما يعم الشرائح الاجتماعية على مختلف العصور والبيئات لأن المنطلقات الإنسانية محكومة بالفطرة والعقل والتجارب، وكل ذلك في دائرة المحدود الممكن، لذا كانت قواعد المخاطبات وأسسها العامة تعمّ كل من كان في عصر نزول الوحي ومن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة. ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: 54].

وإذا أدركنا هدف القرآن ومنهجه في الخطاب أدركنا أن ورود الآيات الكونية سواء ما يتعلق منها بالآفاق وما يتعلق منها بالأنفس البشرية شيء بدهي أيضا، لأن من فئات الناس المكلفين المخاطبين بالقرآن الكريم من ينصبّ جلّ اهتمامه على هذه الجوانب من مخلوقات الله، ولا بد من إقامة الحجة عليهم وإظهار أن القرآن كلام الله المنزل على محمد ﷺ ليبشر به المؤمنين وينذر به قوما لدّا، ومن **العسير** أن تتذوق هذه الطوائف الجمال البياني وتدرك فصاحته وبلاغته لتعترف بالتالي أنه كلام الله المعجز [(1)].

ولكنهم يدركون أن هذه المعارف الإنسانية وهذه الحقائق الكونية لا يتصوّر أن يدركها بشر من ذاته، لأن كثيرا منها لم تكتشف إلا في عصور متأخرة جدا بعد التقدم العلمي في العلوم الكونية وبعد اختراع آلات دقيقة لم يكن للسابقين عهد بها، وإن ورود هذه الحقائق الضخمة والدقيقة في نفس الوقت على لسان رجل لم يكن له إلمام بمثل هذه العلوم دليل على أنه تلقّاها ممن يعلم السرّ في السماوات والأرض ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [الفرقان: 6]. [(2)]

---

(1) مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ص157- 158.

(2) المرجع السابق، ص157- 158.

ولا بد من التنبه إلى أن إثبات النبوة بالقرآن وإثبات تنزيله من عند الله لا يتوقف على كونه معجزا في بيانه، بدليل أن التوراة والإنجيل والزبور مع كونها ليست معجزة بألفاظها كإعجاز القرآن متضمنة لكثير من الوجوه الدالة على نبوة من أوحيت إليهم، وأنها من كلام الله؛ إذ يمكن أن يوحي الله هذه المعاني إلى نبيه فيبينها للناس بكلامه هو وبلفظه هو أو أنها تكون من كلام الله لكن دونما **إعجاز بياني،** كما هو شأن الأحاديث القدسية ، وكما هو شأن التوراة والإنجيل، وحينئذ تكون دلالتها على النبوة من جهة الهداية [1].

أولاً: أوجه الافتراق بين الوجه المعجز وأدلة صدق الوحي والنبوة:

1- "إن هناك فرقا بين الدلائل والمعجزات، فالمعجزات خارقة للعادة وقد تكون مقرونة بالتحدي، وأما الدلائل فلا يشترط فيها التحدي، فلا تسمى معجزة في اصطلاح المتكلمين إلا ما تحدى به الخلق فعجزوا عن معارضته"[2].

وترى الباحثة أن ما يصح الاصطلاح عليه من مفهوم وجه الإعجاز القرآني هو ما وقع به التحدي، وأقله سورة من القرآن الكريم، فإن كان التحدي غير مقترن ببعض المعجزات الأخرى، فهو من خصائص المعجزة القرآنية.

2- المعجزة أخص من الدليل، حيث إنّ بين الدلائل والمعجزات عموماً وخصوصاً، فالدلائل أعم و المعجزات أخص، فكل معجزة دلالة، وليس كل دلالة معجزة[3].

3- الوجه المعجز هو الذي يحقق المثلية الكاملة، وأما أدلة صدق الوحي والنبوة فهي تتعلق بجانب دون آخر كتحقيق المعنى دون اللفظ والنظم مثلاً[4].

4- الوجه المعجز هو الذي يمثل العلة في عجز الخلق جميعاً عن معارضة القرآن بمثله ، ولولا هذه العلة لجاءوا بمثله وما استحال عليهم معارضته، أما أدلة صدق الوحي والنبوة فهي لا تمثل العلة في هذا العجز للخلق جميعا، بل قد يكتشفون من سنن الله في الكون ما يتوافق مع معنى الآيات القرآنية، مما يؤكد أن الذي خلق الكون وأودع فيه هذه السنن هو الذي أنزل القرآن على نبيه .

---

(1) الادلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، سعود العريفي، ص531-532.

(2) دلائل النبوة.. دراسة وتحقيق، د. جعفر الشيبي، ص74.

(3) ينظر: دلائل النبوة.. دراسة وتحقيق، د. جعفر الشيبي، ص74.

(4) بناء آيات التحدي بين التحليل والدلالة على وجه الإعجاز البياني، ص3.

5- الوجه المعجز متحقق في كل سورة من سور القرآن الكريم بلا استثناء، مهما كانت هذه السورة قصيرة في عدد آياتها وكلماتها وحروفها، أما أدلة صدق الوحي والنبوة فهي غير متحققة في كل سورة، وقد جعل الله كل سورة معجزة قائمة مستقلة بذاتها عن غيرها من السور، فقد تجد سوراً كثيرة ليس فيها حقائق علمية، ولا أخبار غيبية، ولا قواعد شرعية، ومع ذلك فلم تخل هذه السور من الإعجاز، مما يدل على أن الوجه المعجز شيء، والأدلة على صدق الوحي والنبوة شيء آخر[1].

ويجب التفريق بين أمرين: **الأول:** ما وقع به التحدي، فالتحدي لم يقع على أقل من سورة، والسورة تطلق على القصيرة والطويلة، والسورة بشخصيتها المستقلة هي المقصودة في آيات التحدي والإتيان بمثلها خارج عن طوق الإنس والجن وإن قصرت كسورة الكوثر.

الأمر الثاني: القدر الدال على كون القرآن كلام الله، أي معرفة مصدر القرآن وكونه وحياً منزلاً من الله وهذا لا يتقيد فيه بمقدار معين، فقد يدرك ذلك من خلال سورة أو من خلال آية واحدة أو بعض آية أو كلمة واحدة" [2].

ثانياً: وجه الاتفاق:

فهو متحقق في أن الوجه المعجز يصب في ميدان الأدلة على صدق الوحي والنبوة، إذ ثمرته هي إثبات صدق الوحي والنبوة[3].

---

(1) بناء آيات التحدي بين التحليل والدلالة على وجه الإعجاز البياني، ص 3.

(2) مباحث في إعجاز القرآن، د مصطفى مسلم، ج42/1.

(3) بناء آيات التحدي بين التحليل والدلالة على وجه الإعجاز البياني، ص3.

المبحث الثاني

ضوابط استنباط أدلة صدق الوحي والنبوة من خلال التفسير العلمي للآيات القرآنية

سنؤصل في هذا المبحث لنشأة التفسير العلمي في القرآن الكريم، وأنه نوع من أنواع التفسير بالرأي والاجتهاد، وسنفصل القول في الضوابط العلمية المنهجية للبحث في استنباط أدلة صدق الوحي والنبوة، وذلك من خلال المطالب الخمسة الآتية:

المطلب الأول:

بداية التفسير العلمي في القرآن الكريم

لم يبرع العرب إبان نزول القرآن الكريم إلا في ثلاثة أنواع من العلوم وهي: (علم الأنساب- علم الرؤيا- علم الأنواء)[1]، وقد تسرب إليهم الكثير من المعتقدات الجاهلية، والمفاهيم الخرافية، خاصة عن خلق الإنسان، ونشأه الكون، من خلال احتكاكهم بالفرس والروم وغيرهما؛ فنزل القرآن الكريم مصححاً تلك المفاهيم والتصورات؛ بأسلوب يحرر العقل من التبعية الجاهلية[2].

وقد تحدث القرآن الكريم عن بعض الظواهر الجوية كالرياح والرعد والبرق والصواعق، وآفاق السماوات السبع، كما أشار إلى قضايا تتعلق بالأرض والجبال، والدراسات الحديثة لتلك النصوص صرحت بأنها تضمنت قضايا علمية بأسلوب تميزت فيه الآيات الكونية بخصوصية

---

(1) علم الأنساب: هو علم عظيم النفع، له قواعده، تعرف منه أنساب الناس، غرضه الاحتراز عن الخطأ في نسب الشخص. (ينظر: كشف الظنون، حاجي خليفة، ج178/1).

وعلم تعبير الرؤيا: "هو علم يتعرف منه المناسبة، بين التخيلات النفسانية، والأمور الغيبية، لينتقل من الأولى إلى الثانية، وليستدل على الأحوال النفسانية في الخارج، أو على الأحوال الخارجية في الآفاق. ومنفعته: البشرى، أو الإنذار، لما يرونه". (المرجع السابق، ج416/1).

النّوء: سقوط نجم في المغرب، وطلوع آخر يقابله من ساعته في المشرق. وكان عند العرب أنه لا بدّ لكل كوكب من مطر، أو ريح، أو برد، أو حرّ، وينسبون ذلك إلى النجم. (ينظر: الأنواء في مواسم العرب، ابن قتيبة الدينوري، ص6- 7).

(2) ينظر: التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، أصل الكتاب رسالة دكتوراه للدكتور مرهف سقا، بإشراف أ. د. نور الدين عتر، من كلية أصول الدين بجامعة أم درمان الإسلامية، ص105-106.

في صيغ الخطاب، وهي صلاحية التعبير لأن يفهم منه كل مستمع شيئاً ما[1].

فالخطاب القرآني يجمع بين: إقناع العقل وإمتاع العاطفة ببيان تام يوفّي تلك الحاجتين، فيؤتيها حظّها من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معاً[2]؛ حيث "يقرأ فيه العامي فيشعر بجلاله، ويذوق حلاوته، ولا يلتوي عليه فهمه، فتدركه هيمنته، ويستولي عليه بيانه، وتغشاه هدايته، فيخشع قلبه، وتدمع عيناه، فينقاد له، ويذعن، ويقرأ فيه العالم فيدرك فصاحته، وتهيمن عليه بلاغته، ويملكه بيانه، وتنجلي له علومه ومعارفه، وتدهشه أخباره وأنباؤه، فيجد فيه زمام فكره، وقيادة عقله، ومنهج علمه، ومحار فكره، ورفعة شأنه"[3].

أولاً: مميزات تفسير النبي ﷺ للآيات الكونية:

نجد في سنة النبي ﷺ أحاديثَ عن الكون، وما أخبر به النبي ﷺ عن الحقائق الكونية يضعنا في أدق التصورات لها لأنَّ كلامه ﷺ لا يصدر عن هوى، وإنما هو وحيٌّ من الله قال تعالى: **﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾** [النجم: 3، 4]، فالسنة وحي من الله لرسوله ﷺ، وهو معصوم فيما يخبر به عن الله تعالى وعن شرعه، وسنته ﷺ كالوحي المنزل في العمل؛ قال تعالى: **﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾** [النساء: 113] [4] .

وقد أخبرنا ﷺ بحقائقٍ لا يمكن لبشر أن يطّلع عليها إلا بوحي ممن خلق الأرض والسموات العلا، ومن ذلك إخباره ﷺ عن الأيام التي خلق الله فيها التربة والجبال وغيرهما: فعن أبي هريرة – رضي الله عنه– قَالَ: **أَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي فَقَالَ: "خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ**[5] **يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ**

---

(1) ينظر: التفسير العلمي للآيات الكونية تاريخه – مواقف العلماء منه، د. زكي بكر عوض، ص471.

(2) ينظر: النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، ج148/1.

(3) دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي، ص61.

(4) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج17/ 85، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص81.

(5) الْمَكْرُوه: مأْخُوذ من الْكَرَاهَة، وهو ضد المحبوب، يقال: كرهت الشيء أكرهه كرهاً، والكره: المشقة، وأن تكلف الشيء فتعمله كارهاً. (ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج172/5، الكليات، أبو البقاء الكفوي، ص871).

عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فِي آخِرِ الْخَلْقِ، فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ، فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ" [1].

وبنزول القرآن الكريم بدأ التفسير؛ حيث نشأ ببيان النبي ﷺ ما أشكل فهمه على الصحابة، أو موضحاً لبعض أسرار الإنسان والكون والحياة، أو بعض ما كان متعلقاً بالغيبيات[2]، وتعدُّ سنة النبي ﷺ للآيات المتحدثة عن مظاهر الكون والإنسان المصدر الأول للصحابة في فهم القران الكريم، ويدخل التفسير العلمي على اصطلاح بيان الأمور الكونية في القرآن في هذا القسم [3].

ويمكن إجمال مميزات تفسير النبي ﷺ للآيات الكونية فيما يأتي:

1- لا نرى توجهاً من الصحابة في سؤال النبي ﷺ عن معاني الآيات الكونية وغايه ما ذكر القرآن في هذا الميدان أنهم كانوا يسألون عن الحكمة من بعض الظواهر كما في قوله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ** ﴾ [البقرة: 189]

2- ورد في السنة بعض الأحاديث في تفسير الآيات الكونية، وقد كان ذلك في غاية الندرة، **ومن الحكمة التي تجلت في ندرة ذلك التفسير:**

أ- أن النصوص في ظاهرها لا تصادم العقل، بل إنها فهمت على المألوف اعتماداً على الهيئة الظاهرة.

ب- أن البحث العلمي في ذلك الزمان لم يرق إلى ما انتهى إليه اليوم.

---

(1) صحيح مسلم، الإمام مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم/ باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام، 4/ 2149: رقم الحديث 2789.

(2) **مثاله:** قول النَّبي ﷺ: لِأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ: "**أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ، فَلاَ يُقْبَلَ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلاَ يُؤْذَنَ لَهَا يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾** [يس: 38] " . صحيح البخاري، البخاري، كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ/ بَابُ صِفَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ بِحُسْبَانٍ، 4/ 107: رقم الحديث 3199. هذا الحديث فيه إشارة إلى أن الأسرار الكامنة وراء الظواهر الكونية هي من الغيب الذي اختص الله تعالى بعلمه، وأطلع على شيء منه نبيه، وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن رجوع الشمس وطلوعها من مغربها هو من العلامات الكبرى لقيام الساعة. (ينظر: تعليق مصطفى البغا على الحديث في الحاشية في المرجع نفسه).

(3) ينظر: التفسير والإعجاز العلمي، د. مرهف سقا، ص107-108 باختصار.

ج- "مراعاةً لمستوى العقول، ومقتضى الأحوال"[1]؛ قَالَ عَلِيٌّ: "**حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ**[2]".

3- أن مصدر تفسير النبي ﷺ للآيات الكونية هو الوحي من الله ﷻ.

وبعد وفاة النبي ﷺ تمكن الصحابة من توسيع رقعة الديار الإسلامية، وكان لدخول غير العرب في الإسلام سبب لتوارد أسئلة حول بعض الآيات، أو الكلمات في القرآن، منها ما يتعلق بالكونيات، وقد نسب إلى كثير من الصحابة والتابعين بعض البيان المتعلق بالآيات الكونية [3].

وقد خرج سلفنا الصالح أثناء شرحهم لمعانٍ آيات كونية باستدلالاتٍ موفقة، نقف أمام بعضها في زماننا معجبين ومندهشين؛ لأن حقائقها الكونية كانت محتجبة، و**كان من أهم أسباب هذا التوفيق:**

1- إخلاصهم في البحث عن مراد الله تعالى.

2- حرصهم على سلامة المنهج في دراسة القرآن الكريم، وتدبر آياته.

3- معرفتهم باللغة العربية، وأساليب العرب في الكلام، وتقليب أوجه الدلالات اللغوية.

3- سعة مداركهم الإيمانية، ومعرفتهم لسنن الله في الكون والقرآن[4].

ومن أمثلة ذلك :

تفسير ابن عباس ﷺ، ومجاهد [5] - رحمه الله- لقوله تعالى:﴿ **وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا** ﴾ [الفرقان: 53]،

---

(1) التفسير العلمي للآيات الكونية تاريخه ومواقف العلماء منه، د. بكر زكي عوض، ص474.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب العلم /باب من خص بالعلم قوما دون قوم، كراهية أن لا يفهموا، ج37/1: رقم الحديث: 127.

(3) ينظر: التفسير العلمي للآيات الكونية تاريخه ومواقف العلماء منه، د. بكر زكي عوض، ص474 .

(4) ينظر: التفسير والإعجاز العلمي، د. مرهف سقا، ص110. بتصرف يسير.

(5) مجاهد بن جبر، يكنى بأبي الحجاج، مولى قيس بن السائب المخزومي، ولد في خلافة عمر بن الخطابﷺ سنة 21هـ، كان عالماً ثقة كثير الحديث، من العباد والمتجردين في الزهد مع الفقه والورع، مات بمكة وهو ساجد سنة أربع ومائة وهو ابن ثلاث وثمانين سنة. (ينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج20/6-19، مشاهير علماء الأمصار، ابن حِبَّان، ص133، رجال صحيح مسلم، ابن مَنْجُويَه، ج243/2، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، الربعي، ج247/1).

"أنه خلع أحدهما على الآخر، فليس يفسد العذب المالح، وليس يفسد المالح العذب، وقوله: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ البرزخ: الأرض بينهما ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ حجر أحدهما على الآخر بأمره وقضائه.

– وعن مجاهد ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ قال: محبساً﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ قال: لا يختلط البحر بالعذب[1] "[2].

وفي القرنين الثالث والرابع الهجريين، نشطت حركة الترجمة إلى العربية، وظهر على أيدي العلماء المسلمين العديد من الأبحاث العلمية المترجمة والمقومة والمزيدة، وتطورت لدى المسلمين المعارف التجريبية في الفيزياء، والكيمياء، والبصريات، والطب، والتشريح، وواكب ذلك استقلال علم التفسير عن علم الحديث، والتوسع فيه؛ فامتد تأثير هذه العلوم إلى التفسير، لا سيما تفاسير المعتزلة، وبذلك دخل التفسير في طور استخدام الاجتهاد العقلي، وتسخير العلوم التجريبية، وأخذ عندها التفسير مجالاً واسعاً في الدلالة وتسارعاً في التطور؛ وبذلك يكون التفسير قد دخل طوراً تاريخياً حساساً في التفسير بالرأي فظهر من علماء المسلمين –خاصة في القرن الخامس وما بعده– من يدعوا إلى استنباط مختلف العلوم من القرآن الكريم [3].

القرن الخامس الهجري شهد بداية التفسير العلمي للآيات الكونية:

ظهر التفسير العلمي على وجه التقريب في أواخر القرن الخامس الهجري، حيث اتفق العلماء على أن الإمام الغزالي[4]، من أوائل المتكلمين في هذا النوع من التفسير من حيث التدوين؛ فالغزالي نفسه أكثر مَن استوفى بيان هذا القول في تفسير القرآن، وأهم مَن عمل على

(1) وهذا مقارب لما أثبته العلم حديثاً. وللوقوف على تفصيل ذلك، يراجع كتاب: تفسير الآيات الكونية، د. زغلول النجار، ج343/2.

(2) جامع البيان ،الإمام الطبري، ج19/ 283.

(3) ينظر: التفسير والإعجاز العلمي، د. مرهف سقا، ص113–115.

(4) الإمام، الفقيه، المتكلم، النظار، صاحب التصانيف، الصوفي، محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، الشافعي، الملقب حجة الإسلام، ولد سنة 450هـ، له كتبه كثيرة و نافعة، أشهرها كتاب " الوسيط " و " البسيط " و " الوجيز " و " الخلاصة " في الفقه، إحياء علوم الدين، المستصفى في أصول الفقه، المنحول والمنتحل في علم الجدل، تهافت الفلاسفة، توفي سنة 505هـ.(ينظر: طبقات الفقهاء الشافعية، ابن الصلاح، ج249/1، وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج216/4–218، سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج322/19–323).

ترويج التفسير العلمي في الأوساط الإسلامية[1].

وقد ذكر الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين قولاً لبعض العلماء، وهو أن "القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم، إذ كل كلمة علم، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف، إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع"[2] ، "كما عقد الفصل الخامس من كتابه جواهر القرآن لكيفية انشعاب سائر العلوم من القرآن، فيذكر علم الطب والنجوم، وهيئة العالَم، وهيئة بدن الحيوان، وتشريح أعضائه، وعلم السحر، وعلم الطلسمات" [3]، فكان الغزالي من الداعين للتفسير العلمي من حيث تسخير المعارف في زمانهم في تفسيره، واستنباط العلوم من القرآن الكريم [4].

ويعدُّ الغزالي واضع الأسس النظرية للتفسير العلمي للقرآن الكريم، وقد جاء بعده الفخر الرازي[5]،

وطبق الرازي كل ما استحدثته البيئة الإسلامية من ثقافة فكرية وعلمية على تفسير القرآن الكريم[6]، حتى وصفه بعض العلماء بأن فيه كل شيء إلا التفسير[7].

---

(1) ينظر: الذهبي، ج349/2، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، أ. د. فهد الرومي،ج550/2، اتجاهات التفسير في العصر الراهن، د. عبد المجيد المحتسب، ص247.

(2) إحياء علوم الدين، الغزالي، ج1/ 289.

(3) التفسير والمفسرون، الذهبي، ج350/2.

(4) ينظر: التفسير والإعجاز العلمي، د. مرهف سقا، ص145.

(5) محمد بن عمر بن الحسين ، الإمام فخر الدين الرازي الشافعي المفسر المتكلم، ولد سنة 544هـ، له تصانيف في علم الكلام والمعقولات، وله التفسير الكبير، والمحصول في أصول الفقه.(ينظر: طبقات المفسرين، السيوطي، ص15).

(6) ينظر: اتجاهات التفسير، المحتسب، ص251.

(7) ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، ج547/1.

المطلب الثاني:

التفسير العلمي نوع من أنواع التفسير بالرأي والاجتهاد

تعريف التفسير العلمي: وما يهمنا في هذه الدراسة تعريف التفسير العلمي كمصطلح معاصر، يمثل أحد فروع أو ألوان التفسير المعاصر، وقد تعددت تعريفات العلماء المؤيدين لهذا النوع من التفسير ومنها:

- **د. أحمد أبو حجر:** هو التفسير الذي يحاول فيه المفسر فهم عبارات القرآن في ضوء ما أثبته العلم، والكشف عن سر من أسرار إعجازه، من حيث أنه تضمن هذه المعلومات العلمية الدقيقة التي لم يكن يعرفها البشر وقت نزول القرآن فدل ذلك على أنه ليس من كلام البشر، ولكنه من عند الله خالق القوى والقدر[1]".
- **الخالدي:** تفسير الآيات تفسيراً علمياً وفق قواعد العلم الحديث ببيان المضامين العلمية للآيات وفق مقررات وتحليلات العلم الحديث[2].

التفسير العلمي نوع من أنواع التفسير بالرأي:

والتفسير العلمي نوع من أنواع التفسير بالرأي الذي يُراد به الكشف عن معاني القرآن بالاجتهاد[3].

وينقسم التفسير بالرأي إلى قسمين: "**القسم الأول: التفسير المحمود المقبول:**

هو التفسير بالاجتهاد البعيد عن الجهالة والضلالة المبني على المعرفة الكافية بالعلوم اللغوية، والقواعد الشرعية، والأصولية، وعلم السنن والأحاديث، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسِّر، مع بذل غاية الوسع في تحري الحق والصواب، والبعد عن الهوى [4].

"**القسم الثاني: التفسير المذموم المردود:** وهو التفسير من غير تأهل له بالعلوم التي لا بد منها للمفسر، أو التفسير بالهوى والاستحسان، أو التفسير المقصود به تأييد المذهب الفاسد، والرأي

---

(1) التفسير العلمي في الميزان، أحمد أبو حجر، ص66

(2) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح الخالدي، ص566

(3) ينظر: التفسير العلمي في الميزان، د. أحمد أبو حجر، ص50، التفسير العلمي للقرآن الكريم بين الرفض والقبول، أ. د. عادل الشدِّي، ص4.

(4) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ج49/2، التفسير والمفسرون، الذهبي، ج183/1.

الباطل، أو تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله، وهذا اللون من التفسير كثيرا ما يشتمل على المرويات الواهية، والباطلة"[1].

وقد انقسم العلماء إزاء التفسير بالرأي إلى فريقين: فريق يجيز هذا النوع من التفسير، وفريق آخر أخذ موقف المنع، وسنذكر أدلة المجيزين للتفسير بالرأي وهم الجمهور [2].

أدلة المجيزين للتفسير بالرأي:

الدليل الأول: ورود نصوص كثيرة تدعو إلى تدبر القرآن، منها: قوله تعالى: **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾** [محمد: 24]، وقوله تعالى: **﴿...وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ...﴾** [النساء: 83]، ولا يعقل أن يأمر العلماء، وأولو الألباب أن يتدبروه، ويستنبطونه بدون اجتهادٍ، وإعمالٍ للعقول.

الدليل الثاني: اختلاف الصحابة ﷺ في التفسير على وجوه، فدل على أنه من اجتهادهم؛ إذ لم يفسر لهم النبي ﷺ كل معاني القرآن، فلو كان التفسير بالرأي محرماً لما فعلوه[3].

الدليل الثالث: معلوم أن باب الاجتهاد مفتوح لمن كان مستوفياً لشروطه، ولو كان التفسير بالرأي محرماً لوجب أن يكون الاجتهاد محرماً، ولترتب على ذلك فوات بيان الكثير من الأحكام، وألوان المعارف التي اشتمل عليها القرآن [4].

الدليل الرابع: لو كان التفسير مقصوراً على المأثور ولا يجوز الاجتهاد فيه لما كانت هناك فائدة لتخصيص رسول الله ﷺ ابن عباس بالدعاء: **(اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل[5])**[6].

الدليل الخامس: كثرة أقوال وآراء واستنباطات السلف من الصحابة ومن بعدهم برأيهم وعلمهم في تفسير آيات القرآن، فلو كان التفسير مقصوراً على بيان معاني مفردات القرآن من جهة العربية، لكان التفسير نزراً[7].

---

(1) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، أبو شهبة، ص82.

(2) ينظر: علوم القرآن الكريم، نور الدين عتر، ص86.

(3) ينظر: دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي، ص160.

(4) ينظر: التفسير والمفسرون، الذهبي،ج1/183-184.

(5) مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن العباس، ج5/ 215: حديث رقم: 3102. حكم الشيخ شعيب الأرنؤوط على الحديث: صحيح(انظر: المرجع نفسه، في حاشية الصفحة).

(6) ينظر: التفسير والمفسرون، الذهبي،ج1/183-184، دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي، ص160.

(7) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج1/28.

الخلاصة:

إن الأصل هو جواز التفسير العلمي بضوابط؛ لأنه من أنواع التفسير بالرأي، فهو محمودٌ وجائزٌ، حين يصدر عن علم أو غلبة ظن، ولا يتعارض مع الكتاب والسنة، ويكون صاحبه عالمًا باللغة العربية، وأصول الشريعة الإسلامية، عاملًا بضوابط قبول التفسير العلمي. ومنه ما هو مذموم محرم، حين يصدر عن جهلٍ أو هوًى أو عنهما معًا، ولا يلتزم صاحبه بضوابط قبول التفسير العلمي [1].

(1) ينظر: التفسير العلمي للقرآن الكريم بين الرفض والقبول، أ. د. عادل الشدِّي، ص24.

المطلب الثالث:

ضوابط التفسير العلمي المتعلقة بالباحث، والبحث العلمي

تعريف ضوابط التفسير العلمي: هي شروط وأركان التفسير العلمي التي تمثل القواعد العلمية التي يجب على المفسر الالتزام بها في التفسير العلمي [1].

أولاً: الضوابط المتعلقة بالباحث:

1- أن يكون المفسر عالمًا باللغة العربية وأساليبها، وبقواعد الشريعة وأصولها، مع قدر كاف من المعرفة بالعلم التجريبي أو الكوني الذي يفسِّر القرآن على أساسه[2].

2- صحّة الاعتقاد وسلامة المنهج، لأنّ فساد الاعتقاد والمنهج يؤدي بصاحبه إلى تحريف دلالة القرآن إلى ما يعتقد وينهج[3].

3- أن يكون الباحث على قناعة بالبحث الذي يقوم به، مع الهمة والمتابعة العلمية لمستجدات الأمور [4].

4- الإخلاص والصّدق، وصحّة المقصد، مع التجرّد للحق ومجانبة الهوى، فذلك أعظم أسباب التوفيق؛ [5] لأنه "لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة، ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة، أو إصرار على ذنب، أو في قلبه كبر أو هوى، أو حب الدنيا، أو يكون غير متحقق الإيمان، .. وهذه كلها حجب وموانع، وبعضها آكد من بعض" [6].

ثانياً: الضوابط المتعلقة بالأدوات التي يحتاج إليها المفسر:

وقد بين العلماء أنواع العلوم التي يجب توافرها في المفسر، وجعلوا هذه العلوم بمثابة أدوات تعصم المفسِّر من الوقوع في الخطأ، وتحميه من القول على الله بدون علم وهي العلوم التي يعدُّ التمكن منها شرط أساس للباحث في التفسير، وهي:

---

(1) ينظر: التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، د. مرهف سقا، ص 181-182

(2) ينظر: دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي، 160، التفسير والمفسرون، الذهبي، ج196/1، التفسير العلمي للقرآن الكريم بين الرفض والقبول، أ. د. عادل الشدِّي، ص29.

(3) ينظر: المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله العنزي، ص293.

(4) ينظر: التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، د. مرهف سقا، ص187.

(5) ينظر: المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله العنزي، ص293.

(6) البرهان، الزركشي، ج180/2-181.

1- **علم اللغة:** لأن به يمكن شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع.

2- **علم النحو:** لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب، فلا بد من اعتباره.

3- **علم الصرف:** وبواسطته تُعرف الأبنية والصيغ، و**علم الاشتقاق**: لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين، اختلف باختلافهما، كالمسيح مثلاً، هل هو من السياحة أو من المسح؟.

4- **علوم البلاغة الثلاثة: (المعاني، والبيان، والبديع):** فعلم المعاني، يُعرف به خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وعلم البيان، يُعرف به خواص التراكيب من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وعلم البديع، يُعرف به وجوه تحسين الكلام.

5- **علم القراءات:** إذ إن بمعرفة القراءة يمكن بها ترجيح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

6- **علم أصول الدين:** وبه يستطيع المفسر أن يستدل على ما يجب فى حقه تعالى، وما يجوز، وما يُستحَل، وأن ينظر في الآيات المتعلقة بالنبوات، والمعاد، وما إلى ذلك نظرة صائبة.

7 – **علم أصول الفقه:** إذ به يعرف كيف يستنبط الأحكام من الآيات ويستدل عليها، ويعرف الإجمال والتبيين، والعموم، والخصوص، .. وما سوى ذلك من ذلك العلم.

8 – **الأحاديث المبينة للتفسير:** مثل أسباب النزول إذ إن معرفة سبب النزول يعين على فهم المراد من الآية، والناسخ والمنسوخ، ومَن فقد هذه الناحية ربما أفتى بحكم منسوخ، أو ما فيه بيان لتفسير المجمل أو المبهم، فيستعين بها على توضيح ما يشكل عليه.

9- **علم الموهبة:** ولا يناله من في قلبه بدعة أو كبر أو حب دنيا أو ميل إلى المعاصي، قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ...﴾ [الأعراف: 146] [1].

10 – مع الإلمام بمسلّمات العلوم الحديثة لمن يبحث في التفسير العلمي[2].

---

(1) ينظر: التفسير والمفسرون، الذهبي، ج1/ 189- 191، مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ج51/2.

(2) ينظر: علوم القرآن الكريم ، نور الدين عتر، ص88.

ثالثاً: الضوابط المتعلقة بالبحث العلمي في التفسير

وهي مجموعه شروط يجب على الباحث مراعاتها، وأخذها بعين الاعتبار، عند كتابة البحث العلمي **أهمها:**

1- **بيان خطة التفسير:** ينبغي أن يقدم البحث بخطة التفسير، ومنهج العمل الذي يسير عليه الباحث، فوجود منهجية علمية في البحث دأب المحققين والجادين في البحوث، ولكل بحث متطلباته وخطته .

2- **التثبت والتحقيق في كل خطوة من خطوات البحث:** فيجب على الباحث أن يلتزم الدقة في بحثه، ويتأكد من المعاني المستنبطة، ويتثبت من المعلومات المطروحة؛ عملاً بقاعدة البحث العلمي:(**إن كنت ناقلاً فالصحة، أو مدعياً فالدليل).**

3- **وجوب ملاحظة المنهجية في المعلومات:** فمن واجبات الباحث في التفسير العلمي المهمة أن يلاحظ المنهجية في كلامه في التفسير[1] بحيث " يتحرى في التفسير مطابقة المفسر، وأن يتحرز في ذلك من نقص المفسر عما يحتاج إليه من إيضاح المعنى المفسر، أو أن يكون في ذلك المعنى زيادة لا تليق بالغرض، أو أن يكون في المفسر زيغ عن المعنى المفسر، وعدول عن طريقه حتى يكون غير مناسب له، ولو من بعض أنحائه، بل يجتهد في أن يكون وفقه من جميع الأنحاء، وعليه مراعاة الوضع الحقيقي والمجازي، ومراعاة التأليف، وأن يوافي بين المفردات وتلميح الوقائع، فعند ذلك تتفجر له ينابيع الفوائد"[2].

4- **التّحرّي والتّثبّت في الفهم:** يجب على المشتغل في التفسير العلمي أن يحسن التعامل مع نصوص التفسير وأقوال العلماء و أن ينزلها مكانها من حيث السبك والفهم، وأن لا يحملها ما لا تحتمل، أو يجعلها في موضوع لا تدل عليه [3].

5- **اتباع المنهج القرآني في طلب المعرفة،** بسلوك الأسباب الموصلة إلى حقائق المعرفة على وفق سنن الله التي أرشدنا إلى معرفتها [4].

---

(1) ينظر: التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، د. مرهف سقا، ص193-194.

(2) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج176/2.

(3) ينظر: المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله العنزي، ص296، التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، د. مرهف سقا، ص 194.

(4) انظر: مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، ص164.

المطلب الرابع:

ضوابط تتعلق بآلية استنباط أدلة صدق الوحي والنبوة من خلال التفسير العلمي للآيات القرآنية:

إن عملية استنباط أدلة صدق الوحي والنبوة من خلال التفسير العلمي للآيات القرآنية، لا بد لها من ضوابط منهجية، يلتزم بها الباحث؛ لضبط الآلية التي من خلالها يتم التفسير العلمي؛ للخروج بنتائج وأدلة صحيحة.

ومن هذه الضوابط ما يتعلق باللغة والإعراب، ومنها ما يختص بالدلالة والمعاني، وضوابط أخرى تتعلق بقواعد أصول الفقه والتفسير، وعلوم القرآن، واتباع أحسن طرق التفسير، وضوابط متفرقة لا بد للباحث من مراعاتها أثناء عملية التفسير [1].

الفرع الأول: ضوابط اللغة والإعراب

يجب خضوع التفسير العلمي للقرآن الكريم لدلالات اللغة العربية، وقواعدها الإعرابية والصرفية التي لا تستند إلى قول مهجور غير معمول به في اللغة والنحو[2]، بحيث يوافق المعنى المفسر اللغة العربية موافقة تامة[3]، مع الاحتراز عن صرف الآيات إلا ما لا تحتمله في اللغة العربية ليوافق التفسير العلمي المراد [4].

الفرع الثاني: ضوابط الدلالة والمعاني

أثناء التفسير العلمي للقرآن الكريم لا بد للمفسر من الأخذ بقواعد علم المعاني، وأساليب البيان كالتقديم والتأخير والخبر والاستعارات والتشبيهات بأنواعها[5].

---

(1) ينظر: التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، د. مرهف سقا، ص201.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص 201

(3) ينظر: إعجاز القرآن الكريم، د. فضل حسن عباس،ص:268.

(4) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ج49/2، التفسير العلمي للقرآن الكريم بين الرفض والقبول،أ. د. عادل الشدِّي، ص29.

(5) ينظر: التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، د. مرهف سقا، ص 208-209.

1- مراعاة مرونة أساليب القرآن وأنها تقبل وجوهاً متعددة من التأويل ، وبالتالي عدم حصر دلالة الآية على الحقيقة الواحدة، بل يبقى دلالة الآية مفتوحة؛ فكل معنى تحتمله الكلمة أو الآية لغوياً، يمكن الانتفاع به في تفسير الآية، ولا يجوز لنا أن نسارع فنحكم على الدلالات الأخرى – المخالفة لما توصل إليها المفسر- بالبطلان مع أن احتمالات تلك الدلالات قائمة وصحيحة [1].

2- يجب التحقق من وجود الإشارة في الآية إلى العلم أو الشيء المتكلم فيه دون تأويل، أو تكلف، أو تعسف، أو إفراط أو تفريط، أو تحميل النصوص ما لا تحتمل بإخضاع الآيات القرآنية وإرغامها لتوافق حقيقة علمية ما؛ لأنه لا يشترط أن يكون لكل حقيقة ما يوافقها من الآيات[2].

3- ويجب ألّا يجزم المفسر أن مراد الله من آياته هو هذه النظرية، أو تلك الحقيقة قطعاً ، وأن التفسير العلمي الذي يذكره هو وحده التفسير المقبول للآية، فإن ترجح له تفسير بدليل يبين أنه من الأوجه المرادة في تفسير الآية، ويستأنس به[3].

4- كما يجدر به الانتباه إلى نوع الدلالة في الآية على القضية التي يتحدث بها. "**ودلالة القرآن على مختلف العلوم على أقسام وهي:**

أ- **دلالة مفتوحة:** وهي من باب أعم العمومات، كقوله تعالى ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر: 49]، حيث تشمل هذه الدلالة المفتوحة كل الموجودات، والمخلوقات، منذ بدء الخليقة إلى يوم القيامة.

ب- **دلاله أعم العام:** كالدلالة التي تعم الكون كله، كما في قوله: ﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**﴾ [لقمان: 20].

---

(1) ينظر: المرجع السابق، ص247، مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، ص160، التفسير العلمي للآيات الكونية تاريخه ومواقف العلماء منه، د. بكر زكي عوض، ص503.

(2) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن للدكتور مصطفى مسلم، ص160، التفسير العلمي بين القبول والرد ، أ. د. عبد السلام اللوح، ص128، التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، د. مرهف سقا، ص 247.

(3) ينظر: التفسير والمفسرون، الذهبي، ج1/ 196، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، أ. د. فهد الرومي، ج604/2. التفسير العلمي بين القبول والرد ، أ. د. عبد السلام اللوح، ص 126..

ج- **دلالة عامة:** وهي الدلالة على ما يصلح دخوله في وصف الآية من أفرادها، وذلك كعموم ما ترجع به السماء من الأبخرة والغازات، وغير ذلك في قوله تعالى ﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ**﴾ [الطارق: 11].

د- **دلالة خاصة على القضية العلمية المتكلم عنها:** سواء أكانت هذه الدلالة المباشرة من ظاهر النص، أم من إشارة النص، ونحوهما، كالدلالة بالمفهوم، أو الفحوى، أو غيره مما هو معروف في أصول الاستنباط بأنواع الدلالات" [1].

مسائل تتعلق بضوابط الدلالة والمعاني

أولاً: مسألة معاني الأدوات:

وهي الحروف، وما شاكلها من الأسماء والأفعال والظروف، حيث تخلف مواقعها؛ فيختلف الاستنباط بحسبها، فيلزم المفسر أن لا يحمل أداة من أدوات المعاني على غير ما توافقه العربية وأساليبها، كما لا يجوز له أن يصرف دلالتها إلى أمر بعيد لا تقتضيه[2].

ثانياً: مسألة دلالة الألفاظ والصيغ:

يجب على المفسر أن يراعي أقسام الدلالة - كصيغ العموم والخصوص والمطلق والمقيد واسم الجنس..، ونحو ذلك من مباحث الدلالات، وأن يبين درجتها بالنسبة للمسألة العلمية التي يراد استنباطها من الآية، ووجه استنباطها، ويستثمر المعارف في بيان دلالة اللفظ وتوسيعه، مبرزاً وجه الترابط والعلاقة بين ما تدل عليه الآية والمعلومات الكونية الموظفة في تفسيرها[3].

ثالثاً: مسألة اللفظ الدال على عدة معاني:

إن مسالة المشترك[4]، وغيره من الألفاظ المحتملة لأكثر من معنى، من المسائل المهمة في التفسير العلمي، **فهل يحمل المشترك على معنى واحد أم يحمل على معانيه؟**

---

(1) التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، د. مرهف سقا، ص 208-211.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص220.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص223.

(4) المشترك اللفظي: "اللفظ الواحد الدالّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السّواء عند أهل تلك اللغة"، (المشترك اللفظي في الحقل القرآني، عبد العال مكرم، ص9).

يجوز حمل معاني المشترك على اختلاف الاعتبارات والأحوال، ما لم تكن قرينة ترجح أحد هذه المعاني فإنه يقدم المعنى الراجح ؛ ومع ذلك تبقى المعاني الأخرى محتملة، إذا لم يكن قرينة قوية تبين خطأها؛ وذلك يوسع في دلالات الألفاظ والمعاني، ويعطي استنباطات علمية أكثر يحتملها النص القرآني، ويدخل في هذه المسألة أيضاً معاني الأدوات، إذ الأداة الواحدة لها أكثر من معنى، وقد تحتمل عدة معانٍ في سياق النص القرآني [1].

رابعاً: مسالة دلالة السياق:

إنّ السياق من القرائن المعتبرة في التفسير؛ فلا بد من موافقة التفسير العلمي لسياق الآية. ولا يجوز للمفسر في التفسير العلمي أن يقطع نصاً عما قبله وبعده ويتجاوز سياق الآية ودلالتها على ترجيح معنى، أو تخصيص لفظ بدلالة، أو ما شابه ذلك بحيث لا يفصل بين الآية وبين الآيات وثيقة الصلة بها في موضوعها[2].

وعلى الباحث الحذر من:

1- الخوض فيما استأثر الله بعلمه، كالمتشابه الذى لا يعلمه إلا الله، فليس للمفسِّر الخوض في الغيبيات التي لم يرد شيءٌ صحيح بخصوصها في السنة النبوية.

2 أن يُفسِّر القرآن الكريم بالهوى ، ويُرَجِّح بالاستحسان.

3- التفسير المقرر للمذهب الفاسد، بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً، فيحتال في التأويل حتى يصرفه إلى عقيدته [3].

الفرع الثالث: ضوابط تتعلق بقواعد أصول الفقه والتفسير، وعلوم القرآن

إنّ أصول الفقه هو قواعد الاستنباط والفهم؛ فلا بد للمفسر من الإحاطة الإجمالية بقواعد أصول الفقه، وطرق الاستنباط المعتبرة عند العلماء، والمدونة في مظانها المعتمدة، كالتعارض والترجيح، وتقديم المعنى الشرعي على المعنى اللغوي.. الخ، **ولكن هل يجوز تخصيص العام بدليل الحس أو العقل؟** من أدله تخصيص العموم عند علماء الأصول: دليل الحس أو الواقع،

---

(1) ينظر: التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، د. مرهف سقا، ص 227-229

(2) ينظر: المرجع السابق ص227-229، إعجاز القرآن الكريم، د. فضل عباس، ص268، التفسير العلمي للآيات الكونية تاريخه ومواقف العلماء منه، د. بكر زكي عوض، ص503.

(3) ينظر: التفسير والمفسرون، الذهبي، ج1/ 196.

وكذلك يجوز في التفسير العلمي تخصيص الدلالة إذا كان المخصص من الواقع والمسائل العلمية الصحيحة بشرط انسجامه مع دلالة اللفظ ونظم الآية [1] .

الفرع الرابع: ضوابط تتعلق بعلوم القرآن

يلزم على المفسر أن يحيط بما يتعلق بالآية والآيات التي يفسرها من سبب نزول، أو نسخ إن كانت من آيات الاحكام، ومن كونها مكية أو مدنية؛ فهذا يضفي أثراً فكرياً وعلمياً، يفيد في دارسة الآيات.

وهل يلزم على المفسر معرفة ما ورد في الآية من قراءة صحيحة؟ معرفه القراءات تفيد الباحث في ترجيح معنى على معنى آخر، والتوسع في دلالة الآية، وتعدد القراءات يعني تعدد دلالات المفردات القرآنية، وتعدد معانيها وعلومها أيضاً، وقراءة تفسير قراءة من باب تفسير القرآن بالقرآن، ولكن هذا لا يعني أن يكون ذلك قاعدة عامة في التفسير العلمي، فلكل باحث حاجته، وقد اشترط بعضهم معرفة القراءات في التفسير العلمي؛ فينبغي أن يؤخذ بالاعتبار [2] .

الفرع الخامس: ضوابط متعلقة بالطرق التي يتبعها المفسر

من الأسباب المعينة على فهم القرآن على أحسن وجه، **اتباع أحسن طرق التفسير وهي:**

أن يفسّر القرآن بالقرآن وذلك بأن يستكشف معنى الآية من نفس القرآن؛ فالبحث عن معنى الآية أو الآيات من خلال جمعها والمقارنة بينها وبين مواضع تكرارها طريق عظيم الأثر في فهم القرآن، حيث إن أصح طرق التفسير تفسير القرآن بالقرآن؛ فما أجمل منه فسر في موضع آخر، وما اختصر من مكان فقد بسط في موضع آخر، ثم بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له؛ كتفسيرها لمجمل القرآن، وتخصيص عامه، وتقييد مطلقه، وتبيين الناسخ والمنسوخ[3].

---

(1) ينظر: التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، د. مرهف سقا، ص 241-243

(2) ينظر: المرجع السابق، ص244-245.

(3) ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج363/13-364، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله العنزي، ص297-300.

و"إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها؛ ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح؛ لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين ..، وإذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين"[1].

مع ملاحظة أن ثمة مناهج مختلفة في طريقة التفسير العلمي:

1- **من يسير على طريقة التفسير الموضوعي:** يلزم في حقه أن يجمع كل الآيات التي تتعلق بالمسالة العلمية التي يبحث فيها، ويرتبها حسب تسلسل مواضيعها، وفي أثناء تفسيره لها يراعي أحسن طرق التفسير بحسب ما يقتضيه بحثه.

2- **أما من يسير على طريقه التفسير التحليلي:** فيكفي في حقه أن يفسر الآية ببعض شبيهاتها التي توضح معناها وتساعد في بيان المراد منها حسب الحاجه[2].

وينبغي أن يلاحظ الباحث في تفسيره:

1- ألّا يتعارض التفسير مع منطوق، أو مفهوم، أو مدلول آية أخرى، معارضة لا يمكن الجمع بينهما والتوفيق وإلا كان ذلك من قرائن بطلان هذا التفسير[3].

2- ألا يتعارض التفسير العلمي معارضة حقيقية مع صحيح السنة المرفوعة، أو ما له حكم المرفوع إلى النبي ﷺ، بحيث لا تترك هذه المعارضة سبيلاً سائغاً للتوافق بينهما، وهو شرط لازم يجب مراعاته في التفسير العلمي[4].

---

(1) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج13/ 364- 368.

(2) ينظر: التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، د. مرهف سقا، ص246.

(3) ينظر: المرجع السابق، ص246.

(4) ينظر: المرجع نفسه ، ص246، إعجاز القرآن الكريم، د. فضل حسن عباس، ص268.

المطلب الخامس:

ضوابط التفسير العلمي المتعلقة بالتعامل مع المأثور والإسرائيليات والنظريات العلمية

إن طبيعة عمل الباحث في التفسير العلمي، يتطلب منه التعامل مع النقول المختلفة من المأثور وقد تكون من الإسرائيليات، وكذلك من المعلومات الكونية بدرجاتها ؛ لذلك فلا بد من توضيح الضوابط التي تحكم عملية الاحتجاج بكل من المأثور والإسرائيليات، والنظريات العلمية ؛ حتى نصل إلى تفسير علمي بعيد عن الانحراف.

الفرع الأول: ضوابط التفسير العلمي للآيات القرآنية المتعلقة بالتعامل مع المأثور

التفسير بالمأثور: هو التفسير الذي يعتمد تفسير القرآن بالقرآن، أو بصحيح المنقول من السنة؛ أو ما نُقِل عن الصحابة، أو كبار التابعين[1].

حكم الاحتجاج بالتفسير بالمأثور:

أولاً: حكم ما ورد النقل فيه عن النبي ﷺ:

ينظر في صحة النقل عن رسول الله ﷺ ، مع الابتعاد عن الضعيف والموضوع[2]، والحديث المقبول الذي يحتج به في التفسير العلمي يشمل أنواع الحديث المقبول عند المحدثين ويشمل:

1- الحديث الصحيح.

2- الحديث الصحيح لغيره.

3- الحديث الحديث الحسن.

4- الحديث الحسن لغيره[3].

ثانياً: تفسير السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم:

ينبغي تحري "الدّقّة في النّقل، واعتماد القوي الثّابت، وذلك في نقل اللّغة، وفي كلّ ما يعتمد على الإسناد من الحديث في القراءات والتّفسير وأسباب النّزول والنّاسخ والمنسوخ، والآثار

---

(1) ينظر: التفسير والمفسرون، الذهبي، ج112/1، مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص358.

(2) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ج49/2.

(3) ينظر: منهج النقد في علوم الحديث، نور الدين عتر، ص 241.

عن الصّحابة ومن بعدهم، وفي الكلام المعزوّ للعلماء، خاصّة علماء السّلف، فإنّ الحكايات الواهية، وما لا أصل له كثير في ذلك"[1].

وينقسم تفسير السلف من حيث الاحتجاج به إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما له حكم الرفع: وهو ما نقل عنهم- السلف- في تفسير القرآن مما لا يدخل في الاجتهاد والاستنباط، كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ، والكلام في العبادات، وتفسير الغيبيات، ونحو ذلك.

حكم الاحتجاج بالقسم الأول:

أ. **تفسير الصحابة:** ما كان مروياً عن الصحابة فهو مقبول بشرط ثبوته.

موضع الاستدلال به: ويكون حجة في اللغة والمعاني فهم أهل اللسان، والذي لا مجال للرأي فيه فما يفسره الصحابي بما شاهد من الأسباب والقرائن فلا شك فيه[2].

ب. **تفسير التابعين:** فترى الباحثة أن هذا ما **يقبل في الاستدلال بشرط** :

1- أن يكون ثابتاً من حيث النقل.

2- وأن يكون قائله في عصر الاحتجاج اللغوي، إن كان من التفسير اللغوي.

3- ولكن لا يكون مانعاً من معنى آخر تحتمله اللغة، ويؤيده نظم القرآن

ج. **تفسير تابعي التابعين ومن بعدهم من السلف:** فإنه لا يقبل قولهم في التفسير، إلا أن يوافق قواعد اللغة والعربية، وأصول الاستنباط.

القسم الثاني: ما كان باجتهادهم ورأيهم.

حكم الاحتجاج بالقسم الثاني:

إذا كان التفسير من الصحابة، أو التابعين، وتابعيهم مبنياً على معارف عصرهم أو كان من اجتهاداتهم، أو من قبيل التمثيل على معنى من المعاني المحتملة، مع احتمال معان

---

(1) المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله العنزي، ص296.

(2) البرهان، الزركشي، ص، مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ج49/2، التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، د. مرهف سقا، 264-266.

أخرى قد تكون أقوى من اجتهاداتهم وما ذهبوا إليه، فهو نوع من الاجتهاد يحتمل الصواب والخطأ ويناقش حسب القواعد المقررة في علم التفسير [1].

مع ملاحظة: انتفاء الرهبة من تراث المسلمين في هذا المجال، إذا ما صادم نتائج البحث العلمي لأنه ليس بمقدس بل هو فكر قابل للقبول والرد[2]، مع الابتعاد عن تسفيه آراء السلف من علماء التفسير والحديث ورميهم بالجهل [3].

القسم الثالث: ما كان مجمعاً عليه من معاني القرآن الكريم، سواء كان الإجماع في عهد الصحابة، أو التابعين، أو تابعيهم.

حكمه: حجة لازمة؛ لأن هذا الإجماع إنما قام على دليل توقيفي[4].

الفرع الثاني: ضوابط التفسير العلمي للآيات القرآنية المتعلقة بالتعامل مع الإسرائيليات

الإسرائيليات: الأخبار المنقولة عن بني إسرائيل من اليهود وهو الأكثر، أو من النصارى. **وتنقسم هذه الأخبار إلى ثلاثة أنواع:**

الأول: ما أقره الإسلام، وشهد بصدقه فهو حق.

الثاني: ما أنكره الإسلام، وشهد بكذبه فهو باطل .

الثالث: ما لم يقره الإسلام، ولم ينكره، فيجب التوقف فيه[5].

حكم رواية الإسرائيليات:

1- **القسم الأول:** وهو الموافق لشرعنا: تجوز روايته، وعليه يحمل حديث: **(وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج [6])** وسائر النصوص المشابهة.

2- **القسم الثاني:** فلا تجوز روايته، إلا إذا اقترنت ببيان كذبها.

---

(1) ينظر: التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، د. مرهف سقا، ص264-266.

(2) التفسير العلمي للآيات الكونية تاريخه ومواقف العلماء منه، د. بكر زكي عوض، ص504

(3) ينظر: التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، د. مرهف سقا،264-266.

(4) المرجع السابق ، 264-266.

(5) ينظر: أصول في التفسير، محمد بن صالح العثيمين، ص53. الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من العلماء، ج296/1.

(6) صحيح البخاري، البخاري، أحاديث الأنبياء/ باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ج170/4: حديث رقم3461.

3- **القسم الثالث:** من العلماء من يرى جواز روايته، استناداً لما فهموه من الإباحة في حديث (حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج)، ولكن بعضاً من العلماء رفضوا رواية هذا القسم، وقالوا كما توقفنا في تصديقه نتوقف في روايته، فأي تصديق لرواياته أقوى من أن نقرنها بالقرآن الكريم، فيتوهم القارئ أن فيها تفصيلاً لما أجمل، وتبيينا لما أبهم؟ وهو رأى في غاية القوة، سداً للذريعة، وصيانة للقرآن الكريم(1).

موقف المفسر إزاء الإسرائيليات:

ما يذكر من الإسرائيليات للاستشهاد، لا للاعتضاد(2)، ومن الأفضل للمفسر الإعراض عن هذه الإسرائيليات(3)، كما أنها غير مفيدة في اتجاه التفسير العلمي للقرآن؛ إذ غالبها من القصص، والتاريخ، والمواعظ، ونحو ذلك(4).

الفرع الثالث: ضوابط التفسير العلمي للآيات القرآنية المتعلقة بالتعامل مع النظريات العلمية

الحقيقة العلمية: هي الوصف الصادق الأمين لأية ظاهرة، أو حتى لأي جانب منها(5).

تعريف النظرية: النظرية "قائمة على فرض يفسر ظاهرة كونية أو عدة ظواهر، وهي قابلة للتغيير والتبديل والانقلاب"(6).

انقسمت الآراء حول درجة ثبوت المعلومة التي يرى توظيفها في تفسير القرآن إلى رأيين أساسيين: الأول: الاقتصار في مجال التفسير العلمي على الحقائق العلمية دون النظريات والفرضيات مع ثبوت الحقيقة العلمية ثبوتًا قاطعًا (7):

---

(1) ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، ج1/ 296- 297.

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج31/1.

(3) ينظر: علوم القرآن الكريم، نور الدين عتر، ص76.

(4) التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، د. مرهف سقا، ص 283

(5) التفسير العلمي بين القبول والرد ، أ. د. عبد السلام اللوح، ص111.

(6) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج4/ 1858.

(7) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، ص160 ، إعجاز القرآن الكريم، للدكتور فضل حسن عباس،ص268، التفسير العلمي للقرآن في الميزان، د. أحمد أبو حجر، ص113، التفسير العلمي للآيات الكونية تاريخه ومواقف العلماء منه، د. بكر زكي عوض، ص503-504.

والحجة التي اعتمد عليها أصحاب هذا الرأي هي أن تفسير القرآن بالنظريات :

1- إنما هو تفسير بالراي المحض وقصره على رأي بالذات افتراء للكذب على الله في ذلك خطورة كبيرة؛ لأنها تخضع آيات القرآن للآراء الخاصة، وينبغي تحري الدقة والاحتياط في تفسير القرآن.

2- تعرض القرآن للطعن والتكذيب إن جاء ما يثبت خطأ الرأي الذي فسره به لأن هذه النظريات العلمية لا تثبت على قرار بين جيل وجيل[1].

ويرد على هذه الأسباب بما يأتي:

1- "إن محل بحث التفسير في الدلالات وهي ظنية قابلة للخطأ والصواب، والترجيح والتفسير العلمي لا يخرج عن هذا؛ فحين نبحث في التفاسير بحثاً مقارناً ونوازن بين أقوال المفسرين في تفسير آية نقوم بترجيح رأي على رأي وبتخطئة قول وتصويب آخر وفقا لأصول التفسير واللغة والقرائن العلمية ولا نقول بإثم صاحب القول المخطئ او المرجوح.

2- لا يكون خطأ المفسر مدخلاً للطعن في كتاب الله تعالى؛ لأن التفسير اجتهاد بشرى قابل للخطأ والصواب، والاستعانة في تفسير آية قرآنية بالنظريات الراجحة، للتوسع في مدلول الآية مع احتمال الآية لها هو من هذا القبيل"[2] .

الرأي الثاني: جواز استخدام النظرية العلمية في التفسير العلمي، وحجتهم:

1- وجوب استخدام الحقائق العلمية في التفسير العلمي للقرآن لا يتوافق مع عمل المفسر، وهو قيد يلتزم به مقيده، ولا يلزم به المفسر، لأن التفسير أوسع من الإعجاز[3].

2- النظريات العلمية يدعم اللاحق منها السابق، ولا يلغي بعضها بعضاً.

3- ان ثبت خطأ نظرية سبق أن استأنسنا بها في تفسير آية قرآنية فهذا يدعو إلى إعادة النظر في فهم الآية، ولا ينقص ذلك من قدر القرآن، فهو أصل ثابت[4].

---

(1) إعجاز القرآن الكريم، للدكتور فضل حسن عباس، ص 290.

(2) التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، د. مرهف سقا، ص 290

(3) المرجع السابق، ص 295

(4) التفسير العلمي بين القبول والرد ، أ. د. عبد السلام اللوح، ص128.

الرأي الراجح: "جواز تفسير القران بالنظريات الصحيحة المتاحة وأردت بهذا القيد (الصحيحة المتاحة) أن أخرج النظريات التي هي دون الظن الراجح، كالنظريات الأولية التي بحاجه الى متابعة مشاهدة وتجربة، حتى يغلب على الظن صحتها، وكالفرضيات التي مازالت براهينها قلقة ومضطربة، ولم يستقر لها برهان، أو مشكوك في صحتها، وأن أدخل في (الصحيحة) كل نظرية غلب على الظن العلمي ثبوتها، وقبولها لتراكم التجارب وقوه المدرك لها، أو كان لها برهان معتبر عند المختصين أو لها من الواقع ما يرجحها، ومع كل ذلك لابد أن تحتملها دلالة الآية، ونظم القرآن، بإحدى مراتب الدلالة المعتبرة، ويدخل في (الصحيحة) الحقائق العلمية الثابتة من باب أولى"[1] .

ضوابط للتعامل مع الحقائق والنظريات العلمية:

أولاً: "اذا ثبتت حقيقة علمية بأدوات ووسائل البحث العلمي الانساني ثبوتاً قطعياً: وقد تعرض لها القرآن ببيان ما وجب فهم النص أو النصوص القرآنية بمقتضاها، ولكن لا يعني هذا اقتصار معنى الآية على ذلك وعدم احتمالها لغير ذلك من المعاني فإنه حجر في الدلالة.

ثانياً: إذا قدم علماء البحث العلمي بأدواتهم ووسائلهم الإنسانية نظرية من النظريات ذات رجحان ظني، وتقع في مجال التطبيقات العملية ولم يقل العلماء حولها الكلمة الأخيرة القطعية بالأدلة والبراهين القطعية وقد تعرض لها القرآن ببيان ما **فالمنهج كما يلي:**

1- اذا كان النص القرآني يحتمل التفسير ضمن ضوابط فهم النصوص العربية بما يتفق مع هذه النظرية، فلا مانع من جعل تفسيره بما يتفق معها أحد الاحتمالات التي يمكن أن يفهم النص بمقتضاها، ولكن دون جزم أو قطع، وتظل الاحتمالات الأخرى التي يحتملها النص مفتوحة ومطروحة، حتى يأتي اليقين العلمي الذي تقرره أدوات وسائل البحث العلمي الإنسانية.

2- إذا قدم علماء البحث العلمي، أو بعضهم فرضية من الفرضيات حول موضوع من الموضوعات التي تعرض لها القرآن ببيان ما فليس على متدبر النص القرآني أن ينظر إلى هذه الفرضية بأكثر مما ينظر إلى أي احتمال آخر يمكن أن يفهم النص بمقتضاه.

---

(1) التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، د. مرهف سقا، ص 294

ثالثاً: في حال كانت النظرية التي لم ترتق للفرضية بعد.. تدخل في دلالة الآية فالعبرة بدلالة الآية؛ ولا ينظر لهذه النظرية ولا ونعتبرها من القرائن المقبولة؛ لأن الدلالة اللغوية أقوى من القرائن المشكوك فيها.

رابعاً: أما إذا تعارضت فرضية علمية مع الدلالة القرآنية تعارضاً حقيقياً؛ فان العبرة من الدلالة اللغوية، وليس من حق متدبر كلام الله تعالى أن يطوعه بهواه ليقبل الدلالة على ذلك أو يكرهه إكراها بتأويلات متعسفة"[1].

الفرع الرابع: الفرق بين ضوابط استنباط أدلة صدق الوحي والنبوة، والتفسير العلمي للآيات القرآنية

"إن توافق ظاهر آية قرآنية مع حقيقة علمية مع تمام المطابقة بينهما فهذا دليل علمي يثبت أن القرآن كلام الله تعالى قطعاً، ولا يمكن أن يكون من كلام البشر مهما كان [2]"؛ "لأنه لا يمكن لعاقل أن يتخيل لهذا الكم الهائل من الحقائق العلمية في القرآن الكريم مصدراً غير الله الخالق، والقرآن الكريم كتاب قد أنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة على نبي أمي ﷺ، وفي أمة غالبيتها الساحقة من الأميين، وفي فترة زمنية لم يكن لأحد من الخلق إلمام بشيء من بهذه الحقائق العلمية التي لم تكتشف إلا من بعد عشرة قرون كاملة من تنزل الوحي، وما تزال تكتشف اليوم وإلى يوم الدين[3]".

إن مما يترتب على التفسير العلمي المنضبط بالقواعد العلمية التي سبق تفصيلها في هذه الدراسة، هو استنباط أدلة وبراهين تثبت صدق الوحي والنبوة يشترط فيها استخدام الحقائق اليقينية".

"باستثناء آيات الخلق، والإفناء، والبعث بأبعادها الثلاثة، خلق الكون، خلق الحياة، خلق الإنسان وإفناء ذلك كله ثم بعثه، وذلك لأن هذه القضايا لا يمكن أن تخضع مباشرة لإدراك الإنسان، ومن ثم فإن العلوم المكتسبة لا يمكن أن تتجاوز فيها مرحلة التنظير، وتتعدد النظريات في مجال الخلق بتعدد خلفيات واضعيها، ويبقى للمسلم نور من الله في آية قرآنية كريمة، أو في حديث نبوي صحيح منسوب إلى رسول الله ﷺ، يمكن أن يعينه على الارتقاء بإحدى هذه

(1) التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، د. مرهف سقا، ص 296-297.

(2) التفسير العلمي بين القبول والرد ، أ. د. عبد السلام اللوح، ص 128.

(3) الأرض في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، ص 16-17.

النظريات إلى مقام الحقيقة؛ لا لأن العلوم المكتسبة قد وصلت فيها إلى الحقيقة، ولكن لمجرد وجود إشارة لها في كتاب الله، أو في سنة رسوله ﷺ "[1].

وبهذا يتضح الفرق بين التفسير العلمي، وأدلة صدق الوحي والنبوة من حيث الضوابط - والله تعالى أعلى وأعلم- .

الفرع الخامس: أركان متفرقة ينبغي على المفسر الحرص عليها في التفسير العلمي

1- اليقين باستحالة مخالفة الوحي لحقائق العلم، فإذا ظهر تناقض أو تعارض فهو نتاج قصور البحث العلمي، أو تضييق معنى النص .

2- عند تفسير الآيات القرآنية يجب عدم الخوض في جزئيات العلوم ومسائلها، بحيث يطغى التفسير العلمي على بقية مباحث التفسير، لأن بحثه إنما هو في تفسير القرآن، وأن لا يتوسع في تفسير الآية إلى الحد الذي يخرجه عن كونه تفسيراً إلى كونه بحثاً علمياً في موضوع ما إلا إذا أفرد المؤلف كتابًا خاصًّا بالتفسير العلمي، وإن احتاج إلى ذكر مقدمة في العلم الذي يبحثه في القرآن الكريم كالتمهيد، أو المدخل لبحثه فلا بأس مقتصراً على الضروري من المعلومات؛ ليحسن القارئ فهم دلالة الآية، وإن أراد التوسع فليكن في التعليقات، أو الملحقات التي ليست من أصل بحثه [2].

3- إن العلم الحديث لم يأت بهذه الحقائق بعد أن لم تكن، ولكنها سنن إلهية، كانت خفية عن عقول البشر تم اكتشافها لتوافق آيات قرآنية متلوة، فيستدل بذلك على أن القرآن كلام الله ومن عنده قطعاً.

4- إن التفسير لعلمي ليس مصاحباً لزمن النزول، وإنما هو حديث النشأة ليخاطب الذين لا يتكلمون العربية بلغة العلم التي يعرفونها ولا يؤمنون بغيرها وسيلة للتخاطب.

5- القرآن كتاب هداية وإعجاز معاً لا ينفصلان إلى قيام الساعة فالبحث عن تفسيره في أي عصر بما يتلاءم مع ثقافة ذلك العصر لا يعد خروجاً عن هدفه.

---

(1) الأرض في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، ص 21-22.

(2) ينظر: التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات، د. مرهف سقا، ص297-298، مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، ص160، التفسير العلمي للآيات الكونية تاريخه ومواقف العلماء منه، د. بكر زكي عوض، ص503.

6- يجب على المسلمين في كل عصر أن يفهموا النص القرآني حسب قدرتهم وثقافتهم العلمية.

7- إن القرآن الكريم لم ينزل للعرب وحدهم، وإنما لكل العصور والأجيال فلا بد أن يجد فيه أهل كل عصر أدلة على صدق الوحي والنبوة.

8- في الغالب على الرغم من أن الحقيقة العلمية هي نهاية ما وصل إليه العلم إلا أنها مع ذلك قد يعتريها شيء من التطور حسب إمكانات العصر وما يجد من معارف وعلوم[1].

9- أن تذكر تلك الأبحاث على وجه يدفع المسلمين إلى النهضة ويلفتهم إلى جلال القرآن ويحركهم إلى الانتفاع بقوى الكون بما يعيد للأمة مجدها[2].

---

(1) التفسير العلمي بين القبول والرد ، أ. د. عبد السلام اللوح، ص128-129.

(2) ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، أ. د. فهد الرومي، ج604/2.

المبحث الثالث

أدلة صدق الوحي والنبوة في قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[الانفطار:8]

(نموذج تطبيقي للبحث في استنباط الأدلة العلمية لصدق الوحي والنبوة)

قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:6- 8].

المطلب الأول:

مقدمات حول تفسير الآيات الكريمة، وما يتعلق بها من حقائق علمية

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿صُورَةٍ﴾: من خلال الرجوع لمعاجم اللغة العربية نجد أن **المعنى اللغوي للصورة هو:** التمثال[1]المجسم، الشكل[2].

يقال صوره: إذا جعل له صورة وشكلاً أو نقشاً معيناً[3]، وكل ما أخذ عن الأصل مطابقاً له، كصورة الكتاب[4]، وصورة كل مخلوق هيئة خلقته[5].

﴿ رَكَّبَكَ﴾: رَكَّبَ الشيء: وضع بعضه على بعض كالفَصِّ يُرَكَّب فِي الخاتم والنَّصْل في السهم، والمركب ما تكوَّن من عدة أجزاء متفرقة فركبت[6]، و"الصورة هيئة حاصلة للشيء عند إيقاع التأليف بين أجزائه "[7].

---

(1) التّمثال: اسْم للشَّيْء المَصْنوع مُشَبَّهاً بِخَلْقٍ مِن خَلْق الله؛ أَصله من: مَثَّلت الشيءَ بالشَّيْء وَيكون تَمثيل الشَّيْء بالشَّيء تَشْبِيهاً لَهُ. ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، ج72/15.

(2) والشَّكْل: المثل، يقال: شَكْله أي: مثله. ينظر: جمهرة اللغة، ابن دريد الأزدي، ج877/2.

(3) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج320/3.

(4) ينظر: معجم لغة الفقهاء، محمد قلعجي، حامد قنيبي، ص277- 278، معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، ج1334/2.

(5) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج320/3.

(6) ينظر: لسان العرب، ابن منظور،ج432/1، معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، ج2/ 934، درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج402/3.

(7) مفاتيح الغيب، للرازي، ج137/7.

ثانياً: التفسير الإجمالي للآيات:

جاءت الآيات الكريمة في سياق العتاب المبطن بالوعيد، فالإنسان شملته نعم الله تعالى ومنها ما هو كائن في نفسه وخلقته كالخلق والتسوية والتعديل وتحسين الصورة، وفي ذكرها تعريض بالتوبيخ للإنسان الذي كفر نعمة الله بعبادة غيره، حيث قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾** [(1)].

﴿الَّذِى خَلَقَكَ﴾ أي أوجدك من العدم مهيئاً لتقدير الأعضاء، وقَدَّر خلقك من نطفة **﴿فَسَوَّاكَ﴾** فِي بطن أُمِّك، وجعل لك يدين ورجلين وعينين وسائر أَعضائك[(2)] قال النبيﷺ: **(إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يا رب ذكر أم أنثى فيقضي ربك ما يشاء ويكتب الملك)** [(3)].

﴿فَعَدَلَكَ﴾ فيها قراءتان:

1- قراءة **بتشديد الدال**، والتعديل جعل البنية متناسبة الخلقة، فَعَدَلَكَ فصيرك معتدلاً متناسب الخلق من غير تفاوت فيه، فلم يجعل إحدى اليدين أطول، ولا إحدى العينين أوسع، ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود، أو جعلك معتدل الخلق تمشى قائماً لا كالبهائم.

2- وقرأ بتخفيفها فَعَدَلَكَ، وتتضمن معنى قراءة التشديد، وكذلك تحمل معنى صرفك. أي: فعدلك عن خلقة غيرك وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق، أو فعدلك إلى بعض الأشكال والهيئات ، وهما قراءتان معروفتان في قراءة الأمصار، صحيحتا المعنى [(4)].

﴿فِى أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ أنها الصورة التي رتب الإنسان عليها، أي ركبك في أي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلقة في الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والأنوثة، والشبه ببعض الأقارب وخلاف الشبه[(5)]، "والله عز وجل، قادر على خلق النطفة على

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج175/30، في ظلال القرآن، سيد قطب، ج6/ 3845.

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج246/19، نظم الدرر، البقاعي، ج303/21.

(3) صحيح مسلم، الإمام مسلم، كتاب القدر/ باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، ج4/ 2037:رقم الحديث 2645.

(4) ينظر: جامع البيان، الطبري، ج269/24 ، الكشاف، الزمخشري، ج716/4، نظم الدرر، البقاعي، ج21/ 303.

(5) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الظاهري، ج77/1، الكشاف، الزمخشري، ج4/ 716.

شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق، ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلقه على شكل حسن مستقيم معتدل تام، حسن المنظر والهيئة"[1].

ثالثاً: تفسير النبي ﷺ لمعانى الآيات الكريمة:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ النَّسَمَةَ، فَجَامَعَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ، طَارَ مَاؤُهُ فِي كُلِّ عِرْقٍ وَعَصَبٍ مِنْهَا، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ السَّابِعِ أَحْضَرَ اللَّهُ لَهُ كُلَّ عِرْقٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ آدَمَ)** . ثُمَّ قَرَأَ: ﴿**فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ**﴾ [2] [الانفطار: 8].

أولاً: غريب المفردات:

(النَّسَمَةُ): النفس، الإنسان، وذو الرُّوح، وتَنَسَّمَ، أي تنفَّس؛ سميت نسمة؛ لتنسمها الريح [3].

(طار): أصل الكلمة يدل على خفة الشيء في الهواء. من ذلك الطير، و يقال لكل من خف: قد طار ثم يستعار ذلك في غيره وفي كل سرعة، وتطاير الشيء: تفرق. واستطار الفجر: انتشر. وكذلك كل منتشر [4].

يستنتج من ذلك أن المعنى اللغوي للكلمة يستعار في التعبير عن:

1- الخفة والسرعة.

2- التفرق والانتشار.

(ماؤه): "ماء الرّجل الذى يكون منه الولد "[5].

(في): بمعنى إلى[6].

---

(1) تفسير القرآن العظيم، للإمام ابن كثير، ج344/8.

(2) المعجم الأوسط، الطبراني ، باب الألف، 170/2: رقم الحديث 1613 . حكم الشيخ الألباني على الحديث: حسن. ينظر: الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني، ج7/ 986.

(3) ينظر: مختار الصحاح، الرازي، ص310، غريب الحديث، للخطابي، ج706/1، طلبة الطلبة، النسفي، ص37.

(4) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج435/3-436.

(5) العين، الخليل الفراهيدي، ج39/8.

(6) تتعدّد المعاني التي تتضمّنها (في)، حيث تأتي (في) بمعناها الحقيقي: مثل الماء في الإبريق. وتأتي لعدة معانٍ ومنها: بمعنى إلى، نحو قوله تعالى: (فردوا أيديهم في أفواههم)، ينظر: جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، ج181/3.

(عرق): بالرجوع إلى معاجم اللغة العربية تبين أن الكلمة تأتي لعدة أصول من المعاني وهي:

الأول: الشيء يتولد من شيء كالندى والرشح وما أشبهه .

والثاني: الشيء ذو السنخ[1]،وفي الحديث: **(ولعل هذا عرق نَزعه)** أصل النزع الجذب، والمراد بالعرق الأصل من النسب شبهه بعرق الشجرة[2]. " يقال: نزع إليه في الشبه: إذا أشبهه. والعرق: الأصل، كأنه نزع في الشبه إلى أجداده من جهة الأب أو الأم "[3].

والثالث: كشط شيء عن شيء.

والرابع: اصطفاف وتتابع في أشياء من ذلك العرقة، والجمع عرقات، وذلك كل شيء مضفور أو مصطف. وإذا اصطفت الطير في الهواء فهي عرقة، وكذلك الخيل[4].

يتلخص المعنى اللغوي للعرق بدلاته على: الأصل، تولد شيء عن شيء، كشط شيء عن شيء، ويأتي بمعنى الاصطفاف والتتابع.

(عصب): يقول بن فارس: "العين والصاد والباء أصل صحيح واحد يدل على ربط شيء بشيء، مستطيلاً أو مستديراً"[5] والعَصَبُ: أطناب المفاصل الّذي يلائم بينها، ولحم عِصبٌ: صُلْب كثيرُ العَصَب، والعصب: الطي الشديد. ومنه سميت العصبة، وهم قرابة الرجل لأبيه وبني عمه سمُّوا عصبةً؛ لأنَّهم عَصَبوا به أي أحاطوا به [6].

ويفسر النبي ﷺ كيفية تركيب صورة الإنسان في النطفة التي يخلق الله عز وجل منها الإنسان، والتي فيها تقدير صفاته الوراثية[7] قال تعالى:﴿ **مِنْ نُطْفَة خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ** ﴾ [عبس:19][8] وذلك من ماء الرجل الذى يطير إلى كل عرق وعصب من أمشاج المرأة. **(إذا**

(1) السنخ: معناه الأَصْل، فأصل كل شيء سنخه. ينظر: جمهرة اللغة، محمد بن الحسن الأزدي، ج1/ 600.

(2) ينظر: فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، ج9/ 444.

(3) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، ج3/ 344.

(4) ينظر: العين، الخليل الفراهيدي ،ج1/ 152، مقاييس اللغة، ابن فارس، ج288/4.

(5) مقاييس اللغة، ابن فارس، ج4/ 285.

(6) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج4/ 336، العين، الخليل الفراهيدي، ج308/1، الصحاح، الجوهري، ج182/1.

(7) ينظر: الأسس العلمية للبصمة الوراثية والقيافة في القرآن والسنة، إبراهيم نجا، ص10-11.

(8) **﴿مِنْ نُطْفَة خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾:** "عَلَقَة ثُمَّ مُضْغَة إلَى آخِر خَلْقه"، تفسير الجلالين، السيوطي والمحلي، ص 792.

أراد الله تبارك تعالى أن يخلق النسمة فجامع الرجل المرأة) وفي هذا إشارة صريحة إلى أن خلق الإنسان من جزء من الذكر "وهو الحيوان المنوي" وجزء آخر من الأنثى "وهو البويضة الأنثوية"[1]؛ فالطريق العادي لوجود الإنسان اتصال الذكر بالأنثى، يقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى**﴾ [الحجرات: 13].

فإذا تكونت النطفة، وكان اليوم السابع الذي تستقر فيه النطفة في الرحم، أحضر الله تعالى لها كل عرق بينها وبين آدم عليه السلام؛ حيث تكون قد تحددت الوراثة للنسمة، وذلك بتزويد النطفة التي علقت في الرحم بالسجل الوراثي لها من لدن الأب والأم، ومروراً بالأجداد إلى آدم عليه السلام.

ويشهد لهذا المعنى ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: **(أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلاَمًا أَسْوَدَ، وَإِنِّي أَنْكَرْتُهُ، فَقَالَ لَهُ ﷺ: هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا أَلْوَانُهَا؟ قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ[2]؟ قَالَ: إِنَّ فِيهَا لَوُرْقًا، قَالَ: فَأَنَّى تُرَى ذَلِكَ جَاءَهَا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عِرْقٌ نَزَعَهَا، قَالَ: وَلَعَلَّ هَذَا عِرْقٌ نَزَعَهُ[3]، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُ فِي الِانْتِفَاءِ مِنْهُ)** [4]. وقد ذكر ابن حجر [5] –رحمه الله– أن للمولود جدةً لأمه كانت سوداء[6].

---

(1) ينظر: نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، آمال صادق، فؤاد أبو حطب، ص36.

(2) **الأَوْرَقُ من الإبل:** ما في لونه بياض إلى سواد. أي ما كان بلون الرَّماد، **والأَوْرَقُ من النَّاس:** الأسمر. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج3/ 2426.

(3) معنى(**نزعه)**: أشبهه، وأصل النزع الجذب فكأنه جذبه إليه لشبهه، يقال منه نزع الولد لأبيه. ينظر: تعليق فؤاد محمد عبد الباقي على الحديث في: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ج10/ 133.

(4) صحيح البخاري، الإمام البخاري، كِتَابُ الدِّيَاتِ/ بَابُ مَنْ شَبَّهَ أَصْلًا مَعْلُومًا بِأَصْلٍ مُبَيَّنٍ، ج9/102: رقم الحديث 7314.

(5) الْحَافِظ الشهاب أحمد بن علي العسقلاني الشافعي، المعروف بابن حجر؛ وهو لقب لبعض آبائه. أصله من عسقلان (بفلسطين) ، ولد سنة 773هـ بمصر ونشأ بها يتيما، حفظ القرآن وهو ابن تسع، زادت تصانيفه على مائة وخمسين مصنفاً معظمها في الحديث، والتاريخ، والأدب، والفقه، منها: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإصابة في تمييز الصحابة، رحل الطلبة إليه من الأقطار وطارت مؤلفاته فِي حياته وانتشرت في البلاد توفي عام 852هـ. ينظر: الضوء اللامع، السخاوي، ج2/36، البدر الطالع، الشوكاني، ج1/88، الأعلام، للزركلي، ج1/ 178.

(6) ينظر: فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، 1/ 325.

رابعاً: الحقائق العلمية المرتبطة بالتفسير العلمي للآية الكريمة:

1- لقد كشف العلم الحديث أن خلق الانسان كله مقدر في نطفة الرجل (الحيوان المنوي)، ونطفة المرأة (البويضة) عندما اكتشف دور الكروموسومات والجينات[1] في تكوين الجنين، حيث يوجد داخل نواة الخلية 46 من الصبغيات أو الكروموسومات، وهذه الكروموسومات تتكون أساساً من الماد ة الوراثية، أو ما يطلق عليه مصطلح الحمض النووي[2] ويرمز له (DNA) [3].

2- داخل كل خلية في جسم الإنسان صورة جينية تعرف باسم الحمض النووي (DNA) ،تحمل الشفرة الوراثية لكل صفات الكائن الحي، حيث تمثل صورة متناهية في الصغر للإنسان بداخل نواة الخلية، وكأن الله قد جعل للكائن الحي تمثالًا في حيز لا يزيد عن واحد على المليون من المليمتر المكعب، ولكنه إذا فُرِدَ يزيد طوله على المترين[4].

3- عندما تتلاقى الأمشاج الذكرية والأنثوية يتكون الحمض النووي المركب(البصمة الوراثية [5])، وتتحد الكروموسومات لتكوين بويضة مخصبة تحتوي على 46 كروموسوماً، وهو العدد اللازم لإنشاء كائن بشري جديد [6].

4- يتألف الفرد الجديد من الخلايا الجنسية(الأمشاج الذكرية، والأنثوية)، أما الخلايا التي تنتج الخلايا الجنسية تحتوي على مجموعتين من 23 كروموسوماً، مثل باقي خلايا الجسم، ونتيجة نوع خاص من انقسام الخلية اسمه الانتصاف تنشطر هذه الخلايا.

---

(1) الكروموسومات: "هي أبنية بيولوجية على هيئة شريط أو خيط، وتسمى الوحدات الوظيفية التي تتألف منها الكروموسومات الجينات أو المورثات، والجينات مسئولة عن تكوين بروتين الجسم الذي يؤثر في نشاط الخلية، بالإضافة إلى أنها هي المسئولة عن توجيه التغيرات التي تطرأ على الجسم ونموه" . (نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، آمال صادق، فؤاد أبو حطب، ص141- 142).

(2) "(DNA) : (حمض نووي ريبي منقوص الأكسيجين): المادة الكيميائية الموجودة في نواة خلية تؤلف الكروموسومات والجينات"(الجينات والـ(DNA)، ريتشارد ووكر، ص59).

(3) ينظر: مسائل شرعية في الجينات البشرية، عارف علي القرة داغي، ص124، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، ص149.

(4) ينظر: الأسس العلمية للبصمة الوراثية والقيافة في القرآن والسنة، د. إبراهيم نجا، ص5.

(5) **البصمة الوراثية:** هي البنية الجينية التي تدل على هوية كل إنسان بعينه. (ينظر: مسائل شرعية في الجينات البشرية، عارف علي القرة داغي، ص124).

(6) ينظر: الأسس العلمية للبصمة الوراثية والقيافة في القرآن والسنة، د. إبراهيم نجا، ص25.

وينتج عن ذلك:

أ- كل حيوان منوي أو بويضة يحتوي على مجموعة واحدة فقط من 23 كروموسوماً، هي خليط فريد من المجموعتين الأصليتين.

ب- تقايض العديد من الكروموسومات الجينات ببعضها خلال عملية تعرف بالعبور التبادلي، مما يؤدي إلى خلط التركيبة الأصلية للجينات، وإنتاج تركيبات جديدة إلى خلايا المني أو البويضات الناجمة[1].

5- "كل شخص جديد يتلقى واحدة من ملايين التركيبات المحتملة لكروموسومات أمه وأبيه في مجموعات التعليمات الوراثية الشخصية؛ ولهذا السبب كل واحد منا فريداً؛ فكل خلية جنسية تحتوي على واحدة من 8.388.608 تركيبة ممكنة للكروموسومات الأصلية للشخص"[2].

6- "بسبب هذا الاختلاف البين بين الجينومات البشرية[3]، والتفرد التام لدى كل شخص أطلق العلماء مصطلح **(البصمة الوراثية)** للدلالة على هوية الشخص، وذلك عن طريق تحليل الحمض النووي الخاص به، والذي يتكون من 46 كروموسوماً يرث نصفها عن أبيه، والنصف الباقي عن أمه، فتتكون بصمة وراثية خاصة به، تحتك فيها صفات الأب بصفات الأم؛ لتخرج صفات خاصة بالابن تجعله مستقلاً عنهما تماماً، وإن تشابه معهما في عدد منهما" [4].

7- أظهر **مشروع الجينيوم البشري**[5] عدة حقائق علمية من أهمها:

---

(1) ينظر: الجينات والـ(DNA)، ريتشارد ووكر، ص 16 بتصرف يسير.

(2) الجينات والـ(DNA)، ريتشارد ووكر، ص17.

(3) "**الجينيوم**: المجموعة الكاملة للجينات الموجودة في كائن حي، ويتألف الجينيوم البشري من كل الجينات الموجودة في واحدة من مجموعتي الكروموزوم في كل خلية جسم" المرجع نفسه، ص60.

(4) مسائل شرعية في الجينات البشرية، عارف علي القرة داغي، ص124.

(5) مشروع الجينيوم البشري بدأ عام 1990م حقق مشروع الجينيوم البشري المهمة العملاقة المتمثلة في قراءة الأحرف التي تؤلف التعليمات الموجودة في الـ(DNA)، خاصتنا تم نشر مسودة للجينيوم عام 2000م، وكانت نتائجه ثمرة الجهود المشتركة لآلاف العلماء في ستة عشر مركزاً للأبحاث في ست دول. (ينظر: الجينات و(DNA) ريتشارد ووكر، ص37،27).

أ. الجينيوم البشري يحتوي على 3200 مليون زوج قاعدة [1] ، وبين 30- 40 ألف جينة.

ب. تبين أن التسلسلات الأساسية لأي جينيومين متشابهة بنسبة 99.9% لهذا نبدو متشابهين، وأظهر المشروع أن التغيرات التي تحصل في الجينات هي التي تجعلنا أفراداً، 0.1% من 3.2 مليار زوج قاعدة(أي قاعدة واحدة من كل ألف تقريباً) مختلف؛ فهي تغيرات قاعدة أحادية تحدث في حثالة (DNA) [2] .

ج. الجينات تشكل فقط 3% من (DNA) ، أما الباقي المعروف بـ(حثالة DNA) فلا ترمز البروتينات، أو تتحكم في الجينات الأخرى، إنها تعمل بمثابة سجل لما حدث خلال النشوء البشري بما في في ذلك اجتياح الجراثيم والفيروسات[3].

8- "الأساس العلمي للبصمة الجينية هو الاختلاف بين الأشخاص في تكرار تسلسل أو تتابع مناطق من القواعد النيتروجينية المكونة لجزيء الحمض النووي (DNA) ، وتسلسل القواعد لا يرى بالعين لأن طوله واحد على المليون من المتر أو أقل منه"[4].

9- ويتألف البناء الأساس لجزيء (DNA) من حوالي **3000** جزيء من سكر الكربون، لكلٍّ منها أساس بروتيني، وتوجد أربعة أنواع من هذه الأسس البروتينية تؤلف الجزيئات الفرعية لهذه المادة، وتتشكل هذه العناصر على هيئة سلالم لولبية حلزونية مزدوجة (**double helix**)، يبلغ عددها بضعة مئات في المورث الواحد، ويرى علماء الوراثة أن الأسس البروتينية الأربعة السابقة هي المادة الخام لأبجدية الوراثة المعقدة [5].

---

(1) " **قاعدة:** واحدة من أربع مواد كيميائية أدنين(A)، سيتوسين (C)، غوانين (G)، وثيمين(T)، تشكل الأحرف في الـ(DNA) " (المرجع السابق، ص59).

(2) (حثالة دنا):"أقسام طويلة متكررة من دنا موجودة بين الجينات وضمنها لا تكشف عن أي دور". (الجينات و(DNA) ريتشارد ووكر ، ص60).

(3) ينظر: الجينات و(DNA) ريتشارد ووكر ، ص37 بتصرف يسير.

(4) مسائل شرعية في الجينات البشرية، عارف علي القرة داغي، ص50.

(5) ينظر: نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين، آمال صادق، فؤاد أبو حطب، ج142-143. باختصار .

10- ويتحكم الـ(DNA) في نشاط الخلايا من خلال صنع الرسول الذي يحمل الرسائل والأوامر من الـ(DNA) إلى مصنع الخلية (الريبوزوم[1])، فيقوم الأخير بصنع مختلف البروتينات والأنزيمات حسب الأوامر والشفرات التي يحملها إليه الرسول، وتكون كل ثلاثة قواعد نيتروجينية (ثلاث أحرف) كلمة، وكل كلمة تتحكم في أحد الأحماض الأمينية، وتتحكم الكلمات في عشرين حامضاً أمينياً، تصوغ بها مئات بل آلاف المركبات البروتينية المعقدة، فهذه الأحرف الكيمائية قد وسعت كل المركبات المعقدة، مثلما وسعت الحروف الأبجدية لغة الانسان على مدى تاريخه الطويل[2].

(1) "ريبوزوم: بنية داخل الخلية تنتج فيها البروتينات" (الجينات و(DNA) ريتشارد ووكر، ص61).

(2) ينظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، ص 129-130.

المطلب الثاني:

بيان آلية توريث الصفات من الآباء إلى الأبناء عبر النطفة من خلال تفسير قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:8]

ويبرز ذلك من خلال النقاط الآتية:

أولاً: إشارة النبي ﷺ أن خلق الإنسان من ماء الرجل والمرأة :

حيث قال ﷺ **(إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ النَّسَمَةَ، فَجَامَعَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ، طَارَ مَاؤُهُ فِي كُلِّ عِرْقٍ وَعَصَبٍ مِنْهَا)**: وقد اشتمل النص على دلالات علمية هامة منها:

1- دلالة التعبير بلفظ **(طار)** : ناسب التعبير بلفظ طار الذي يستعار للخفة والسرعة وصف حركة الحيوان المنوي في اتجاهه لتلقيح البويضة فالأسرع من بين المئات التي نجحت في الوصول إلى غشاء البويضة يقوم بثقبها، ومن ثم تندمج نواته فيها، حيث إنه يسير بسرعة تقارب ميليمترين في الثانية الواحدة، وهي مسافة تبلغ أضعاف أضعاف حجمه[1] .

2- دلالة (طار ماؤه **في كل)**: إن الأولية للذكر في دخول البويضة، وتكوين النطفة الأمشاج، وكذلك له الأولية في حدوث أول انقسام في النطفة الأمشاج، حيث يقوم مريكيز الحيوان المنوي بعد دخول البويضة بتكوين أشعة مغزلية في قطبي الخلية الأمشاج، وعندئذ يحصل أول انقسام عادي في الخلية الأمشاج، وتنتقل نصف الكروموسومات (الجسيمات الملونة) في كل من الذكر والأنثى[2].

وهنا يبرز أيضاً المعنى اللغوي لـ(طار) الذي يفيد التفرق والانتشار متناسباً مع وصف حركة الكروموسومات أثناء انتقالها في كل من الذكر والأنثى وأولية الذكر في ذلك.

3- **دلالة (منها)**: من هنا للتبعيض، والضمير يعود على ماء المرأة المفهوم من السياق[3]؛

---

(1) ينظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، ص160

(2) ينظر: المرجع السابق، ص196.

(3) إن كان الضمير للغَيبة فلا بد له من مرجعٍ يُرجع إليه؛ فهو: إما أن يعودَ إلى اسم سبقه في اللَّفظ ، وإما أن يعود إلى متأخرٍ عنه لفظًا متقدّمٍ عليه رُتبةً، وإما أن يعود إلى مذكور قبله معنىً لا لفظًا، وإما أن يعود إلى غير مذكور لا لفظًا ولا معنىً إن كان سياقُ الكلام يُعيّنُهُ. ينظر: جامع الدروس العربية، مصطفى الغلايينى، ج1/ 124-125.

فالنص يتحدث عن ماء الرجل بالتصريح، وضمناً ماء المرأة بالتلميح؛ فالذي يكون من المرأة هو أمشاجها(البويضة) .

والبويضة أكبر خلية في جسم الانسان؛ فهي تبلغ في قطرها 200 ميكرون بينما الحيوان المنوي لا يزيد عن خمسة ميكرونات، وفي حين يساهم كل من الحيوان المنوي والبويضة بنصيب مماثل في تكوين نواة الخلية الأمشاج، تساهم البويضة أكثر من ذلك بجبلة النطفة الأمشاج (**CYTOPLASM**)، والحبيبات الغذائية وأجسام جولجي، حيث تتكفل بتغذية هذه النطفة الأمشاج أثناء تكاثرها وانقسامها ولمدة **أسبوع كامل** حتى يحين موعد علوقها بالرحم وتغذيتها منه[1]، والتعبير بحرف الجر (من) الذي يفيد التبعيض، يتوافق مع هذه الحقيقة العلمية التي تظهر أن مشاركة المرأة في النطفة الأمشاج أكبر من مشاركة الرجل ولذلك قال ﷺ **(طار ماؤه في كل عرق وعصب منها)** ثم أتبع ذلك بقوله:(فإذا كان اليوم السابع) وربط بين العبارتين بحرف العطف الفاء الذي يفيد الترتيب والتعقيب.

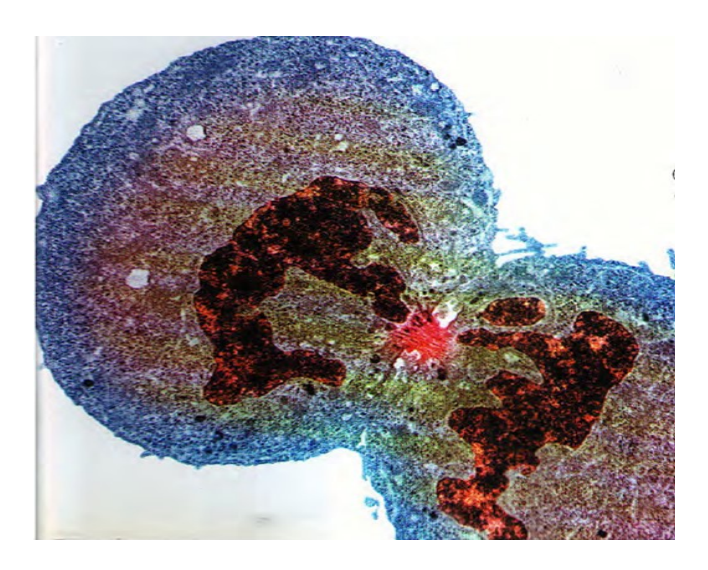
ثانياً: سبق النبي ﷺ للعلم بأكثر من أربعة عشر قرناً بحديثه عن وظيفة المادة الوراثية في النطفة الأمشاج:

"العلم حين يفسر آلية انتقال الصفات الوراثية من الآباء إلى الأبناء عبر النطفة يقول بأنه يحدث نسخ للحمض النووي في الخلايا الجنسية للخصية والمبيض لتتكون الأمشاج الذكرية والأنثوية التي تتحد في الأرحام لتعطى النطفة الأمشاج، ثم يحدث نسخ للحمض النووي الموجود في النطفة الأمشاج لتتكون منه أعضاء الجنين في الرحم"[2].

والـ(DNA) هي الجزيئة الوحيدة الموجدة في الكائنات الحية التي تستطيع التضاعف، أو توليد نسخة مطابقة عنها، ويحدث ذلك مباشرة قبل انقسام الخلية بفعل الانقسام الفتيلي[3].

---

(1) ينظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، ص 198،164.
(2) الأسس العلمية للبصمة الوراثية والقيافة في القرآن والسنة، إبراهيم نجا، ص9.
(3) الجينات و(DNA)، ريتشارد ووكر، ص31



صورة : الانقسام الفتيلي في الخلية البشرية[1]

"فهذه الصورة المجهرية الإلكترونية تظهر عملية انقسام فتيلي في كلية بشرية، والانقسام الفتيلي هو نوع من انقسام الخلية يتيح لخلايا الجسم توليد نسخ مطابقة عنها، خلال الانقسام الفتيلي تنسخ المعلومات الوراثية نفسها بصورة دقيقة وتتوزع الجينات المتطابقة على كل خلية وليدة جديدة"[2].

أما آلية نسخ وتركيب الـ(DNA) الذي تنتقل من خلاله الصفات الوراثية فلا توجد عبارة تصف آلية نسخ الحمض النووي ككلمتي (عرق وعصب) اللتان تأخذان عدة معانٍ في اللغة يكمل بعضها بعضاً من أجل وصف آلية نسخ الحمض النووي .

والعلم يقول إن النسخ(التصوير) يحدث خلال الخطوات المتتابعة التالية:

1- فعند انقسام الخلية تنفك شرائط وخيوط DNA، حيث ينفصل[3]خيطا اللفة الحلزونية المزدوجة في الـ(DNA) تماماً مثلما يفتح السحاب. انظر الصورة2- تعمل كل قطعة منفصلة من دنا مثل قالب[4].

(1) الجينات و(DNA)، ريتشارد ووكر، ص5.

(2) ينظر: الجينات و(DNA)، ريتشارد ووكر، ص5.

(3) كشط شيىء عن شيىء، وهذا أحد المعاني اللغوية للعرق.

(4) (صورة) تتولد عنه نسخة متطابقة ، وهو أحد المعاني اللغوية للعرق.

2- تصطف [1] النكليوتيدات الحرة غير المرتبطة في الخلية والتي تحتوي على واحدة من أربع قواعد هي A أو C أو G أو T – في جهة المقابلة لقواعدها الشريكة في القالب هكذا يصطف النكليوتيد الذي يحتوي علىA مع T في القالب ، فيما يصطف النكليوتيد الذي يحتوي على C مع G .

4- تتصل القواعد بكل خيط قالب ويتكون عمود فقري جديد ويبدأ الخطان التوأمان بالالتفاف .

5- تتصل ملايين النكليوتيدات مع بعضها البعض لتكوين كل جزيء الـ(DNA) دنا وتبدو الجزيئة مثل السلم الملتف [2] .

6- تستمر عملية الفصل[3]، والنسخ[4] ،على طول (DNA) . إلى حين إنتاج خيطين جديدين ومتطابقين من الحامض النووي الريبي منقوص الأكسجين الـ(DNA) .

وهذا يعني أن الخليتين الجديدتين اللتين تكونتا بفعل انقسام الخلية تتلقيان مجموعات مزدوجة من جينات متشابهة [5].

وجسم الإنسان بناء خلوي، ويبلغ عدد الخلايا في جسم الإنسان حوالي 15(تريليونًا) عند الولادة، هي نتاج انقسام الخلية الواحدة الأصلية المخصبة "النطفة"، التي بدأت بها حياة الإنسان قبل تسعة أشهر تقريبًا[6].

---

(1) سبق الإشارة أن الاصطفاف والتتابع هو أحد المعاني اللغوية للعرق.

(2) هنا يتجلى المعنى اللغوي للعصب وهو: ربط شيء بشيء مستديراً، وكذلك معنى الطي الشديد حيث إن جزيئة الـ(DNA) "تلتف حول نفسها وتتكوم حتى تصبح واحداً على مليون من المتر أو أقل من ذلك" (خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، ص 128).

(3) (كشط شيء عن شيء).

(4) (التصوير).

(5) ينظر: الجينات و(DNA)، ريتشارد ووكر، ص31.

(6) ينظر: نمو الإنسان من مرحلة الجنين ، ص141.

المطلب الثالث:

إثبات حديث القرآن والسنة عن الحمض النووي (البصمة الوراثية) في قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[الانفطار:8]

وحين نبحث عن الحمض النووي(البصمة الوراثية) في القرآن أو السنة لا نبحث عن الاسم لتغيره بتغير الزمان واللغات، **ولكن نبحث عن الصفات الثابتة، ومن أهمها:**

أولاً: أنه يحمل شفرة وراثية تمثل صورة طبق الأصل، أو تمثال للكائن الحي.

ثانياً: أنه يعمل كفيلم قابل للاستنساخ.

ثالثاً: الحمض النووي للذرية الناتجة يتركب من نصفين، أحدهما من الأب، والآخر من الأم[1].

رابعاً: الحمض النووي يختزن التاريخ الوراثي للإنسان منذ النشوء[2].

وتفصيل ذلك فيما يأتي:

أولاً: الحمض النووي يحمل شفرة وراثية تمثل صورة طبق الأصل، أو تمثال للكائن الحي:

إنّ لغة العرب تجيز لنا إطلاق وصف الصورة والتصوير على العلاقة بين الحمض النووي والكائن الحي لأن:

1- الحمض النووي يعتبر (صورة طبق الاصل) للإنسان تميزه عن غيره من الكائنات.

2- التصوير يعنى التخطيط والتشكيل: فالحمض النووي يتركب من عدة مركبات كيميائية ثابتة لها تخطيط وتشكيل معين بحيث لا نجد كائنين لهما نفس الحمض النووي من حيث التخطيط والتشكيل(بصمة وراثية) [3].

ثانياً: الحمض النووي يعمل كفيلم قابل للاستنساخ.

نجد هذه الحقيقة العلمية واضحة في حديث صحيح قال فيه النبيﷺ: **(إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها**

(1) ينظر: الأسس العلمية للبصمة الوراثية، د. إبراهيم نجا، ص9-10.

(2) ينظر: الجينات و(DNA)، ريتشارد ووكر، ص37.

(3) ينظر: المرجع السابق، ص7.

وعظامها ثم قال يا رب ذكر أم أنثى فيقضي ربك ما يشاء ويكتب الملك) [1].

"فهناك تصوير من النطفة قبل خلق الأعضاء، وهو ما وصفه العلم بنسخ الحمض النووي للنطفة، وترجمته إلى بروتينات الأعضاء، فهو يعمل كقالب تصب عليه الذرية، والاختلافات بين البشر ترجع لاختلاف القالب الخاص بكل فرد"[2].

ثالثاً: الحمض النووي للذرية الناتجة يتركب من نصفين أحدهما من الأب و الآخر من الأم.

قال تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۞ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ**﴾ [الانفطار:6- 8]، الصُّورة المركَّبة: "صورة تركَّب من صورتين مستقلَّتين أو أكثر"[3]، والحمض النووي للذرية الناتجة يمكن تسميته **بـ(الصورة المركبة)** لأنه يتركب من نصفين أحدهما من الأب و الآخر من الأم، وهي بنصفيها المتراكبين تدل على الأصل الذي أخذت منه الصورة، وهو الأبوان.

فكافة خلايا البشر إلا الأمشاج بها حمض نووي كامل (صورة كاملة للجسد) ، أما خلايا الأمشاج فبها نصف الحمض النووي (نصف صورة للجسد)، بعد التلقيح تلتقي الأمشاج التي تحمل نصف المادة الوراثية في الرحم لتتكون النطفة الأمشاج التي تحمل شفرة وراثية كاملة (صورة كاملة) للذرية، أحد نصفيها من الذكر والآخر من الأنثى[4].

"والإنسان لم تتفرق أعضاؤه قط في الرحم فاجتمعت، بل خلقه الله من نطفة، ثم من علقة ثم من مضغة، ولكن الذي كان متفرقاً فركبه الله هو الأمشاج التي كانت متفرقة، فجمعها الله معاً في النطفة الأمشاج"[5].

رابعاً: حديث النبي الواضح عن خاصية تخزين الحمض النووي التاريخ الوراثي للإنسان منذ النشوء قبل أن يتوصل العلم لذلك بأكثر من أربعة عشر عاماً :

في قوله ﷺ (فإذا كان اليوم السابع أحضر الله له كل عرق بينه و بين آدم) أي اليوم الذى يتم غرس الجنين في بطانة الرحم بعد عملية الإخصاب، وتكون قد تحولت من نطفة

(1) سبق تخريجه، ص67.

(2) الأسس العلمية للبصمة الوراثية، د. إبراهيم نجا، ص10.

(3) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، ج2/ 934.

(4) ينظر: الأسس العلمية للبصمة الوراثية ، إبراهيم نجا، ص25.

(5) الأسس العلمية للبصمة الوراثية والقيافة في القرآن والسنة، إبراهيم نجا، ص11.

الأمشاج إلى علقة وتبدأ عندئذ مرحلة جديدة في حياة الجنين، وهي مرحلة العلقة[1] قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ [العلق: 2].

والألفاظ الظاهرة للحديث تبين بكل وضوح أن اليوم السابع تكون فيه الصفات الوراثية من لدن آدم عليه السلام، قد أحضرت إلى النطفة، وهذا ما أثبته حديثاً مشروع الجينيوم البشري.

وفيه إثبات أن نسب الذرية البشرية إلى آدم (بني آدم) يكون بالبصمة الوراثية، حيث قال ﷺ **(أحضر الله عز وجل له كل عرق بينه وبين آدم)** ثم قرأ ﷺ ﴿**فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ**﴾ [2]وقد استنبط ابن حجر – رحمه الله– من الحديث أن حصول الشبه يكون في اليوم السابع[3].

---

(1) ينظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، ص200.

(2) ينظر: الأسس العلمية للبصمة الوراثية ، إبراهيم نجا، ص35.

(3) ينظر: فتح الباري، ابن حجر، ج480/11.

المطلب الرابع:

سبق النبي ﷺ للعلم بأكثر من أربعة عشر قرناً بحديثه عن وصف بنية المادة الوراثية

قدم النبي ﷺ وصفاً دقيقاً لبنية المادة الوراثية في الإنسان – الكروموسوم والحمض النووي الـ(DNA) **بداخله**– من خلال وصف النبي ﷺ له بـ(عرق وعصب) :

وتبين من حديث النبي ﷺ **(لعل هذا عرق نزعه)** أن العرق مسئول عن نقل الصفات الوراثية إلى الأبناء، وفي عبارة (عرق وعصب) مزيد تفصيل؛ فبعد الرجوع إلى المعنى اللغوي لكل من العرق والعصب تبين للباحثة: أنه أفاد وصفاً دقيقاً لشكل وبنية المادة الوراثية في الإنسان حيث وصفها النبي **بـ (**عرق وعصب**)، ويظهر ذلك من خلال:**

1- عند التأمل في الصورة التي يظهر فيهما كروموسومان بشريان تمت معاينتهما تحت مجهر مسح الكتروني قوي **تظهر المادة الوراثية فيهما على شكل عروق** – سبحان الله– .



صورة:1(شكل الكروموسومات البشرية) [1]

(1) ينظر: الجينات و(DNA)، ريتشارد ووكر، ص17.

2- كما يظهر معنى الاصطفاف والتتابع[1] في وصف شكل ترتيب الجينات في الحمض النووي حيث تظهر كالخرزات المصفوفة في خيط[2].

3- اشتمل المعنى اللغوي للعصب(**ربط شيىء بشيىء - الطي الشديد**) على وصف دقيق لشكل الحمض النووي داخل الكروموسوم حيث يلتف الحمض النووي المكون للكروموسوم داخل النواة حول البروتينات التي يطلق عليها اسم (الهستونات) ليكون **حلقات تلتف** لتكون الكروماتين مما يمكن من احتواء الكروموسومات داخل نواة الخلية؛ فلولا هذا الطي الشديد[3] لما احتوت نواة الخلية في كروموسوماتها الحمض النووي الذي طوله يقدر ب1.8 متر [4].

---

(1) سبق بيان أن العرق من معانيه اللغوية الاصطفاف والتتابع.

(2) ينظر: الجينات و(DNA)، ريتشارد ووكر، ص3.

(3) سبق الاشارة إلى أن العصب يأتي بمعنى الطي الشديد.

(4) ينظر: اثبات نسب ولد الزنا بالبصمة الوراثية، د. مازن هنية، ص10.

المطلب الخامس:

أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة من خلال التفسير العلمي لآية الانفطار:

من خلال ما سبق تبين للباحثة أن آية الانفطار، وتفسير النبي ﷺ لها اشتملت على العديد من أدلة صدق الوحي والنبوة الباهرة، ويمكن إجمال أبرز هذه الأدلة فيما يأتي:

أولاً: القرآن الكريم والسنة المطهرة قد سبقا علم الوراثة الحديث في الكشف عن آلية توريث الصفات من الآباء إلى الأبناء عبر النطفة: حيث لم يتوصل العلم التجريبي إلى هذه الحقيقة العلمية الهامة إلا في القرن التاسع عشر، ولم يتأكد لها ذلك إلا في القرن العشرين[1]؛ فهذه الحقيقة لم يكتشفها إلّا علم الأجنة والوراثة الحديثين، حيث تم عام 1912م إثبات أن الجينات تنتقل عبر الحيوان المنوي الذكر، والبويضة الأنثوية[2].

يقول ابن حجر العسقلاني: "زعم كثير من أهل التشريح أن مني الرجل لا أثر له في الولد إلا في عقده، وأنه إنما يتكون من دم الحيض، وأحاديث الباب تبطل ذلك"[3]؛ فقد ردَّ ابن حجر هذه المزاعم مستنداً إلى آثار صريحة في الإشارة إلى أن الولد إنما يخلق من نطفة المرأة، ونطفة الرجل.

فمن الذي أخبر محمداً ﷺ بهذه الدقائق الخفية؟ إلا أن يكون ذلك وحياً من الله تعالى، وبهذا يثبت أنه رسول الله حقاً، فكيف لنبي أمي أن يسبق العلم في بيان هذه الحقائق إلا أن يكون نبياً مرسلاً من الله عز وجل الذي أنبأه بهذه الحقائق الباهرة، التي لا يعلمها أهل ذلك الزمان مطلقاً.

ثانياً: سبق الوصف القرآني والنبوي الدقيق والموجز العلم في معرفة شكل الكروموسوم والحمض النووي بداخلة: فقد أثبت علم الوراثة أن فى كل خلية من خلايا الجسم عدداً ثابتاً من أجسام صغيرة تسمى كروموسومات، وصفها النبي بـ(عرق وعصب) تحمل عوامل وراثية مسئولة عن الصفات التي تظهر في الإنسان.

---

(1) ينظر: خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، ص 188.

(2) ينظر: نمو الإنسان من مرحلة الجنين، آمال صادق، فؤاد أبو حطب، ص41.

(3) فتح الباري لابن حجر ج480/11.

فقبل عام 1953م لم يكن أحد يعرف شكل جزيئة الحياة[1]، وفي هذا العام استطاع العالمان كريك و واتسون أن يكتشفا التركيب الكيمائي للكروموسومات (الجسيمات الملونة)، وقد أوضحا تركيب الـ(DNA)، وهو الأساس الكيمائي الذي يقوم عليه بناء الكروموسومات، وفي عام 1962م، حصل ثلاثة علماء بريطانيون[2] على جائزة نوبل للطب بسبب جهودهم في وصف **بنية ووظيفة** هذه المادة، كمكافأة على أعظم اكتشاف بيولوجي في القرن العشرين[3].

وحين اكتشف كل من واطسون، وكريك سر الشفرة الوراثية **(الجينات)**، لم يكن يتخيل إنس أو جن أن القرآن الذى نزل منذ أربعة عشرة قرناً من الزمان على النبي الأمي ﷺ، والسنة المطهرة، قد سبقا العالم أجمع في بيان سر الشفرة الوراثية، وكيفية توريث الصفات من الآباء الى الأبناء، قال تعالى ﴿**إِنَّ اللَّه لاَ يَخْفَىَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ * هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ...**﴾ [آل عمران:5– 6].

فمن الذي أخبر محمداً ﷺ بهذه الدقائق الخفية؟ إلا أن يكون وحياً من الله تعالى، وبهذا يثبت أنه رسول الله حقاً، فكيف لنبي أمي أن يسبق العلم في بيان هذه الحقائق إلا أن يكون مرسلاً من الله عز وجل الذي أنبأه بهذه الحقائق الباهرة، وفي هذا دليل واضح لا شك على صدق الوحي والنبوة؛ لكون النبي ﷺ يتحدث عن أمور علمية لم تعرف إلا في وقتنا الحاضر، ولم يكن للنبيﷺ سبيل للاطلاع عليها في زمنه إلا أن يعلمها عن رب العزة الذى لا تخفى عليه خافية في الأرض و لا في السماء.

ثالثاً: إثبات حديث القرآن والسنة عن الحمض النووي (البصمة الوراثية) منذ أكثر من أربعة عشر قرناً في قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾،حيث تم تحديد أهم مواصفات الحمض النووي يحمل شفرة وراثية تمثل صورة طبق الأصل، أو تمثال للكائن الحي، أنه يعمل كفيلم قابل للاستنساخ، الحمض النووي للذرية الناتجة يتركب من نصفين، أحدهما من الأب، والآخر من الأم، من خلال بيان المعنى اللغوي (للصورة المركبة)، والرجوع للسنة المطهرة، وأقوال المفسرين.

---

(1) ينظر: الجينات و(DNA)، ريتشارد ووكر، ص12.

(2) هم: "كريك ، واتسون ، وويلكينز"، المرجع السابق، ص29.

(3) المرجع نفسه، ص29، خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، ص 142.

رابعاً: سبق القرآن الكريم في إشارته لمفهوم البصمة الوراثية، والتي لم تعرف حتى عام 1984م، حيث تمكن حديثاً عالم الوراثة (آليك جيفريز [1])من اكتشاف أن المادة الوراثية قد تتكرر عدة مرات، وتعيد نفسها في تتابعات عشوائية غير مفهومة، وواصل أبحاثه حتى توصل بعد عام واحد إلى أن هذه الاختلافات يتفرد بها كل شخص، ولا يمكن أن تتشابه بين اثنين إلا في حالات التوائم المتماثلة فقط؛ بل إن احتمال تشابه بصمتين وراثيتين بين شخص وآخر هو واحد في الترليون، مما يجعل التشابه مستحيلاً؛ وسجل الدكتور آليك براءة اكتشافه عام 1985م، وأطلق على هذه التتابعات اسم "**البصمة الوراثية للإنسان**" [2].

وقد أشار المفسرون إلى هذا التفرد منهم الإمام الزمخشري في تفسيره لهذه الآية بقوله: " فعدلك عن خلقة غيرك، وخلقك خلقة حسنة **مفارقة لسائر الخلق**"[3]. وهذا هو جوهر البصمة الوراثية التي يتفرد بها الإنسان ويفترق بها عن غيره، في إشارة علمية باهرة كشف عنها العلم حديثاً.

وقد كشف العلم عن سبب حصول هذه البصمة الوراثية وهو أنّ الأمشاج(البويضة، والحيوان المنوي) التي ركبت منها النطفة، ركبها الله تعالى بمشيئته تركيباً فريداً، حيث تفردت بواحدة من ملايين التركيبات المحتملة لكروموسومات الأم والأب في مجموعات التعليمات الوراثية الشخصية؛ فكل خلية جنسية تحتوي على واحدة من 8.388.608 تركيبة ممكنة للكروموسومات الأصلية للشخص، ولهذا السبب كل واحد منا فريداً [4]، وقد قال سبحانه: ﴿**فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ**﴾ فهذه الصورة بلغت من الكمال والتميز ما يستفهم عنه على وجه التعجب وهذا المعنى أفاده التعبير بـ(**أي**) التي أصل استعمالها أنها للاستفهام عن تمييز شيء عن مشاركيه في حاله [5].

---

(1) آليك جيفريز جون ولد عام1950م، وهو عالم وراثة بريطاني، بروفيسور علم الوراثة في جامعة لستر، طور تقنيات البصمة الوراثية ،حصل عام 1994م على رتبة الإمبراطورية البريطانية لإنجازاته في علم الوراثة. (ينظر: مسائل شرعية في الجينات البشرية، عارف علي القرة داغي، ص74-75.

(2)ينظر: البصمة الجينية ودورها في قضايا النسب في الفقه الإسلامي قرة، ص74-75، الموسوعة الحرة ويكيبيديا (موقع إلكتروني).

(3) الكشاف، الزمخشري، ج716/4.

(4) ينظر: الجينات و(DNA)، ريتشارد ووكر، ص17.

(5) ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج30/ 176.

فكيف لمحمد ﷺ أن يعلم هذا؟ إلا أن يكون ذلك وحياً من خالق هذه الصورة البديعة، ليظهر أن هذا القرآن منزل من عنده سبحانه، وأن محمداً ﷺ رسول الله إلى خلقه؛ قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت:53].

خامساً: بين النبي ﷺ أثناء تفسيره لآية الانفطار، أنّ النطفة تشتمل على كل التاريخ الوراثي للإنسان:

يقول ﷺ : **(فإذا كان اليوم السابع أحضر الله له كل عرق بينه و بين آدم)** وهذه الحقيقة العلمية لم يكشف عنها إلا عام2000م، بعدما حقق مشروع الجينيوم البشري المهمة العملاقة المتمثلة في قراءة الأحرف التي تؤلف التعليمات الموجودة في الـ(DNA) خاصتنا، وكان من أهم اكتشافات هذا المشروع اكتشاف أن حثالة الـ (DNA): وهي أقسام طويلة متكررة من (DNA) موجودة بين الجينات وضمنها تختزن التاريخ الوراثي للإنسان منذ النشوء.

فكيف لرجل أمي في بيئة بسيطة أن يتكلم بهذه الحقيقة العلمية التي توصل العلم إليها بجهود آلاف العلماء من دول مختلفة، وفي أحدث مختبرات العلم التجريبي ضمن دراسة ضخمة استمرت 10 سنوات، واستخدم فيها العلماء أحدث تقنيات العلم التجريبي قبل الوصول لنتائجها المتطابقة مع ما أخبر به المصطفى ﷺ .

الإجابة واضحة : إنه الوحي من الله، قال تعالى: **﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾** [النجم: 3، 4].

الفصل الأول
الآيات العلمية القرآنية العلوية، ودلالتها على صدق الوحي والنبوة

الفصل الأول

الآيات العلمية القرآنية العلوية، ودلالتها على صدق الوحي والنبوة

يلخص لنا القرآن الكريم عملية خلق السموات والأرض وإفنائهما، وإعادة خلقهما في صياغة كلية شاملة من قبل ألف وأربعمائة سنة، وذلك في خمس آيات من القرآن على النحو التالي:

1- ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: 47]

2- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: 30]

3- ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: 11]

4- ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: 104]

5- ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: 48] (1).

"ومراحل الرتق، والفتق، والدخان، والإتيان بالسموات والأرض، وتوسع السماء، ثم طيها تعطينا كليات مراحل الخلق والإفناء والبعث دون الدخول في التفاصيل وهذه الحقائق القرآنية لم يستطع الإنسان إدراك شيء منها إلا في أواخر القرن العشرين مما يؤكد سبق القرآن الكريم للمعارف الإنسانية كلها بأكثر من أربعة عشر قرناً، وهذا وحده يشهد للقرآن بأنه لا يمكن أن يكون إلا كلام الله الخالق، كما يشهد لخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ وبارك عليهم أجمعين، بأنه كان موصولاً. بالوحي، ومعلماً من قبل خالق السموات والأرض؛ حيث إنه لم يكن لأحد من الخلق علم بهذه بهذه الحقائق الكونية في زمن الوحي، ولا لقرون متطاولة من بعد نزوله، وتشهد هذه الآيات الخمس بدقة الإشارات الكونية الواردة في كتاب الله وشمولها وكمالها، وصياغتها صياغة معجزة يفهم منها أهل كل عصر معنىً من المعاني يتناسب مع المستوى العلمي للعصر، وتظل هذه المعاني تتسع باستمرار مع توسع دائرة المعرفة الإنسانية في تكامل لا يعرف التضاد"(2).

---

(1) السماء في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، ص105.بتصرف

(2) المعجزة الخالدة، د. علي الصلابي، ص29–30 .

المبحث الأول

آيات علمية قرآنية حول نشأة السماء، وإحكام بنائها، وأوصافها ودلالتها على صدق الوحي والنبوة.

نزل القرآن الكريم على قلب النبي محمد ﷺ في بيئة أمية، متحدثاً عن أعقد حقائق الكون، وأهمها وهي حقيقة خلقه، يحمل في عبارته وبيانه المعجز مصابيح الهداية، وأدلة صدق الوحي والنبوة، لتتجلي هذه الحقائق في عصر العلم، والتقدم التكنولوجي، وهذا ما سيبدو جلياً من خلال بحثنا في المطالب الخمسة الآتية:

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول:

أصل نشأة السماء.

قال تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: 30].

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿**رَتْقًا**﴾: يقال رتق فلان الفتق: إذا شدّه ، ومعناه ليس فيهما ثقب، أي: ملتصقتين.

﴿**فَفَتَقْنَاهُمَا**﴾: صدعهما الله وفرج ما بينهما [1].

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

"أَعَمِيَ الذين كفروا، ولم يبصروا أن السموات والأرض كانتا في بدء خلقهما ملتصقتين، فبقدرتنا فَصَلَنا كلا منهما عن الأخرى، وجعلنا من الماء الذى لا حياة فيه كل شيء حي؟! فهل بعد كل هذا يُعرضون، فلا يؤمنون بأنه لا إله غيرنا؟ "[2].

---

(1) ينظر: جامع البيان، الطبري، 430/18.

(2) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من العلماء، ص476.

وللمفسرين في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال:

الأول: أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين ففتق الله بينهما بالهواء.

الثاني: أن السموات كانت مرتتقة مطبقة، ففتقها الله سبع سموات، وكانت الأرض كذلك ففتقها سبع أرضين.

الثالث: أن السموات كانت رتقاً لا تمطر، والأرض كانت رتقاً لا تنبت، ففتق السماء بالمطر، والأرض بالنبات [1].

إنّ الأقوال السابقة لمعنى الرتق والفتق، والتي ظاهرها التناقض، كلها مقبولة ولا تناقض بينها؛ لأنها تخبرنا بأن خلق السموات والأرض تم في أطوار ومراحل مختلفة، فالفتق الأول كان لأصلهما، والثاني لجنسهما، والثالث بمعنى بعث الحياة فيهما، وإخراج خيراتهما[2].

ثالثاً: التفسير العلمي للإشارات الكونية في الآية:

تذكر الآية الكريمة أن السموات والأرض كانتا في حالة الرتق، ثم تفرقتا بواسطة الفتق حيث خرجت إحداهما من الأخرى[3]، وتفسر نظرية الانفجار الكبير(big bang) نشأة الكون، وتتلخص في أن المادة الكونية الأولى كانت محتواة في حيز لا يكاد حجمه يعادل شيئاً، وكانت هذه البيضة الكونية كما يسميها العلماء كتلة هائلة من المواد الملتهبة المتجمعة والمؤلفة من أجزاء المادة والطاقة في حالة انضغاط شديد، رفع من كثافتها ودرجة حراتها إلى حد كبير، وجعلها في حالة مواتية لجميع التفاعلات النووية ، حينئذ حدث الانفجار الكوني[4].

وهنالك أدلة علمية كثيرة على صحة هذه النظرية المفسرة لنشأة الكون ومن أهم الأدلة على صحة نظرية الضربة الكبرى لنشأة الكون ما يأتي:

---

(1) ينظر: جامع البيان، الطبري، ج431/18، النكت والعيون، الماوردي، ج444/3، الكشاف، الزمخشري، ج3/ 113.

(2) ينظر: الإعجاز العلمي في ضوء السنة النبوية، هشام زقوت، ص148.

(3) ينظر: المعجزات القرآنية، هارون يحيى، ص14.

(4) ينظر: السماء في القرآن الكريم، د. زغلول النجار،ص100، السماء بين الآيات القرآنية والحقائق العلمية: أمل الكحلوت، ص43.

1- حركة التباعد المجرية الظاهرة:

أثبت العلم الحديث أن المجرات تتباعد بسرعة عنا في جميع الاتجاهات، وأن الكون يتمدد[1]، وقد قال تعالى في محكم تنزيله: ﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾ [الذاريات: 47] ، وكانت هذه الآية الكريمة قد نزلت والعالم كله ينادي بثبات الكون، وعدم تغيره، حيث ظل هذا الاعتقاد سائدًا حتى منتصف القرن العشرين حين أثبتت الأرصاد الفلكية حقيقة توسع الكون، وتباعد مجراته عنَّا، وعن بعضها البعض [2].

"واعتماداً على هذه الملاحظة الصحيحة نادى كل من علماء الفلك، والفيزياء الفلكية والنظرية، بأننا إذا عدنا بهذا الاتساع الكوني إلى الوراء مع الزمن، فلابد أن تلتقي كل صور المادة والطاقة الموجودة في الكون، وتتكدس على بعضها في جرم ابتدائي يتناهى في الصغر إلى ما يقرب الصفر أو العدم، وأن هذا الجرم الأولي انفجر بأمر الله تعالى في ظاهرة يسميها العلماء عملية الانفجار الكوني العظيم، ويسميها القرآن الكريم باسم الفتق، وقد سبق القرآن الكريم كل المعارف الإنسانية بالإشارة إلى ذلك الحدث الكوني العظيم بقول الحق تبارك وتعالى :﴿**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنبياء: 30] "[3]، وهذا السبق القرآني هو دليل علمي على صدق الوحي والنبوة.

2- الخلفية الاشعاعية للكون، وتصوير الدخان الكوني:

"في الثامن من نوفمبر سنة 1989م أطلقت وكالة الفضاء الأمريكية ناسا مركبة فضائية لجمع المعلومات حول الإشعاع الحراري الكوني باسم مكتشف الخلفية الإشعاعية للكون(COBE)" كوب" وزود بأجهزة فائقة الحساسية أثبتت وجود تلك الأشعة الأثرية المتبقية عن عملية الإنفجار العظيم ، وكان في هذا الاكتشاف التفسير المنطقي لسبب الأزيز اللاسلكي المنتظم الذي يعج به الكون، والذي يأتي إلينا من مختلف أطراف الكون المدرك، والذي بقي على هيئة صدى لعملية الانفجار الكبير، وقام هذا القمر الصناعي المستكشف بإرسال قدر هائل من المعلومات وملايين الصور عن بقايا الدخان الأول الذي نتج عن عملية الانفجار

(1) ينظر: الكون، مواضيع عن الفلك والكون، جمع: صالح المسند، ص4.

(2) ينظر: الاشارات الكونية ومغزى دلالتها العلمية، د. زغلول النجار.

(3) تفسير الآيات الكونية، د. زغلول النجار،ج416/3.

العظيم للكون، من على بعد عشرة مليارات من السنين الضوئية، وأثبتت تلك الصور أن هذا الدخان الكوني في حالة معتمة تمامًا تمثل حالة الإظلام التي سادت الكون في مراحله الأولى.

وقد مثل هذا الاكتشاف الدليل المادي الملموس لدعم نظرية الانفجار الكبير، ودفع بالغالبية الساحقة من علماء الفلك والفيزياء الفلكية إلى الاعتقاد بصحتها"[1].

"وقد كان في إثبات وجود الدخان الكوني والخلفية الإشعاعية للكون بعد إثبات توسع الكون ما يجزم بأن كوننا مخلوق له بداية، ولابد أن ستكون له في يوم من الأيام نهاية، وقد أكدت الصور التي بثتها مركبة المستكشف للخلفية الإشعاعية والتي نشرت في أبريل 1992م كل تلك الحقائق انتشار مختلف صور الطاقة بالكون"[2].

3- إعلان وكالة أبحاث الفضاء ناسا أن عمر الكون ب13.7 مليار سنة ضوئية:

وذلك من خلال مجسات فضائية متطورة جداً ومناظير الكترونية محمولة على أقمار صناعية ، وهذا الاكتشاف إقرار من الوكالة إلى أنه كان لهذا الكون بداية.

4- تبين أن العناصر التي تكون قشرة الأرض هي نفسها العناصر التي تتكون منها النجوم والشهب والكواكب: وذلك من خلال دراسة الأطياف الضوئية التي تصدر عن ذرات العناصر التي تكون النجوم والشهب ومقارنتها مع الأطياف اللونية التي تصدر عن العناصر والذرات في الأرض[3].

وتشير دراسات الفيزياء النظرية الحديثة إلى أن جرمًا بمواصفات الجرم الابتدائي للكون عندما ينفجر يتحول إلى غلالة من الدخان، وقد سبق القرآن الكريم من قبل أربعة عشر قرناً المعارف الإنسانية بإشارته إلى مرحلة الدخان في قول الحق تبارك وتعالى :﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ**﴾[فصلت:11]، كما يقرر علماء الفيزياء النظرية والفلكية أن الدخان الكوني كان خليطًا من الغازات الحارة المعتمة التي تتخللها بعض الجسيمات الأولية للمادة وأضداد المادة ، ولا توجد كلمة تُوفي هذه الحالة حقَّها من الوصف مثل كلمة دخان، فسبحان الذي أنزلها في كتابه من قبل ألف وأربعمائة

(1) السماء في القرآن الكريم، د. زغلول النجار ،ص102-103.

(2) الاشارات الكونية ومغزى دلالتها العلمية، د. زغلول النجار ، ص4.

(3) ينظر : الكون، مواضيع عن الفلك والكون، جمع: صالح المسند، ص8-9.

من السنين، مما يؤكد صدق الوحي والنبوة، وقد تكونت من تلك الجسيمات الأولية للمادة في الدخان الكوني الأولي نوى ذرات غازي الإيدروجين والهيليوم، وبعد ذلك وصلت إلى الحد الذي يسمح بتكوين ذرات ثابتة لعناصر أكبر وزنًا وذلك باتحاد نوى ذرات الأيدروجين والهيليوم، وظل هذا الدخان المعتم محتويًا على ذرات العناصر التي خلق منها بعد ذلك كُلاً من الأرض والسماء [(1)] .

رابعاً: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة :

من أهم اكتشافات القرن العشرين أن العلماء أثبتوا بالبرهان القاطع أن للكون بداية على شكل انفجار هائل سمي الانفجار العظيم، وقالوا بأن الكون كله كان كتلة واحدة فانفجرت وتشكلت المادة وخلال بلايين السنين تطور الكون إلى شكله الحالي، كمالا يفضل بعض العلماء استخدام مصطلحات أكثر دقة من "انفجار" مثل "تباعد" أو "كثافة" يريدون أن يصلوا إلى نتيجة تقول إن الكون بدأ من كتلة واحدة (رتقاً)، ثم تباعدت أجزاؤها (انفتقت)، وشكلت النجوم والمجرات والأرض، حيث نجد القرآن سبق علماء الغرب بأربعة عشر قرناً إلى النتيجة ذاتها بمصطلحات أكثر دقة، في قوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا أَنَّ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ...**﴾[الأنبياء: 30]، والسؤال لكل من ينكر صدق القرآن: من كان يعلم زمن نزول القرآن بأن الكون كان كتلة واحدة ﴿رَتْقًا﴾ ثم انفتقت وتشكل الكون الذي نراه؟ أليس هو الله جل وعلا! [(2)].

والقرآن الكريم يعطي الصورة الكلية الجامعة لهذا الحدث الكوني، أما التفاصيل فيتركها لجهود العلماء الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض ، لتتجمع دراساتهم العلمية الدقيقة لتؤكد في منتصف القرن العشرين صدق ما أنزله الله تعالى في آخر كتبه، وعلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ من قبل ألف وأربعمائة من السنين، هذا السبق القرآني بحقيقة الفتق بعد الرتق يجعلنا نرتقي بنظرية الانفجار الكوني العظيم إلى مقام الحقيقة لأن العلوم المكتسبة لا يمكن لها أن تتجاوز مرحلة التنظير في القضايا التي لا تخضع لحس الانسان المباشر أو إدراكه المباشر، من مثل قضايا الخلق والإفناء وإعادة الخلق[(3)].

---

(1) الاشارات الكونية ومغزى دلالتها العلمية، د. زغلول النجار، ص 4.بتصرف

(2) ينظر: موسوعة الكحيل للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، م. عبد الدايم الكحيل، ج15/14.

(3) ينظر: تفسير الآيات الكونية زغلول النجار، ج115/2.

إن عملية التوسع الكوني لا يمكن لها أن تستمر إلى ما لا نهاية؛ وذلك لأن قوة الدفع إلى الخارج الناتجة عن الانفجار الكوني التي بدأت بعنف بالغ هي اليوم في تناقص مستمر، وسوف يؤدي هذا التناقص التدريجي في سرعة توسع الكون إلى الوصول به إلى مرحلة تتغلب فيها قوى الجاذبية على قوى الدفع إلى الخارج، فيبدأ الكون في الانكماش والتكدس على ذاته حتى يعود إلى حالة مشابهة تماماً لحالته الأولى التي ابتدأ منها خلق الكون (مرحلة الرتق الأولى)، وتعرف هذه المرحلة المستقبلية باسم مرحلة الرتق الثانية (أو الرتق بعد الفتق) أو طي السماء أو مرحلة الانسحاق الشديد للكون، وقد أخبرنا تعالى بذلك في قوله: ﴿**يَوْمَ نَطْوِى السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ [الأنبياء: 104]. وقول ربنا يرتقى بنظرية الانسحاق الكوني العظيم إلى مقام الحقيقة[1]؛ فسبحان من أخبر بذلك في محكم تنزيله شاهداً بذلك على أن القرآن أنزل بعلمه على نبيه الأمي، الذي لم يكن ليخبرنا بذلك إلا أن يكون كلامه وحياً من عند الله تعالى، مما يشهد بصدق رسالتهﷺ.

(1) السماء في القرآن الكريم، ص 106-108.

المطلب الثاني:
الخاصية الرجعية للسماء

قال تعالى: ﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ** ﴾[الطارق:11]

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿**الرَّجْعِ**﴾: من الفعل رجع، يقال: رجع يرجع رجوعاً إذا عاد، والمعنى اللغوي للكلمة يدل على رد وتكرار، والرجع: الإعادة، والرجع الغيث، وهو المطر، وذلك أنها تغيث وتصب، ثم ترجع فتغيث وفي قوله جل وعز: ﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ** ﴾[[الطارق: 11] ذات النفع [1].

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

قال تعالى:﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ** ﴾ أي: قسماً بالسماء ذات المطر، الذي يجيء ويرجع ويتكرر، وهو أنفع شيء ينتظره المخاطبون حيث ترْجع بالغيوم وأرزاق العباد كلّ عام من السماء، فيحيي الأرض بعد موتها، وينبت النبات [2].

وللمفسرين في المراد بـ ﴿**الرَّجْعِ** ﴾ في قوله تعالى: ﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ** ﴾ **عدة أقوال هي:**

"**الأول:** ذات المطر.

الثاني: ذات السحاب، لأنه يرجع بالمطر.

الثالث: ذات الرجوع إلى ما كانت.

الرابع: ذات النجوم الراجعة .

خامساً: ذات الملائكة لرجوعهم إليها بأعمال العباد "[3].

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ج490/2- 491، تاج العروس، الزبيدي، ج65/21، الصحاح، الجوهري، ج1217/3.

(2) ينظر: جامع البيان، الطبري، ج359/24، تفسير المراغي، ج11/30، التفسير المنير، الزحيلي، ج 181/30.

(3) النكت والعيون، الماوردي، ج248/6.

والمراد بالرجع عند الجمهور المطر – وقد ظهر ذلك من خلال استقراء آراء المفسرين– وسماه رجعاً بالمصدر، لأنه يرجع كل عام، أو لأنه يرجع إلى الأرض [1].

ولكن هذا لا يمنع من توسيع دلالة لفظة الرجع إلى معانٍ أخر صحيحة أثبتتها العلوم الكونية كالرد.

ثالثاً: التفسير العلمي للإشارات الكونية في الآية:

قال تعالى: ﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ** ﴾[الطارق:11]، أقسم تعالى بها تعظيماً لشأنها وتنبيهاً لنا لحكمته تعالى من إيجادها، والرجع صفة أساسية من صفات السماء، ومن معاني الرجع في الآية الارتداد، أي من الصفات البارزة في سمائنا أنها ذات ارتداد [2].

العلوم الكونية ورجع السماء:

"إذا كان المقصود بالسماء ذات الرجع في سورة الطارق هو الغلاف الغازي للأرض؛ فإن دراسة ذلك الغلاف الغازي قد أكدت أن كثيراً مما يرتفع من الأرض من مختلف صور المادة والطاقة كل ذلك يرتد ثانية إلى الأرض راجعاً إليها.

كذلك فإن كثيراً مما يسقط على الغلاف الغازي للأرض من مختلف صور المادة والطاقة يرتد راجعاً عنها بواسطة عدد من نطق الحماية المختلفة التي أعدها ربنا تبارك وتعالى لحمايتنا وحماية مختلف صور الحياة الأرضية من حولنا"[3] .

"والغلاف الجوي الذي يحيط بالأرض مكون من عدة طبقات وكل طبقة لها دورها في إعادة الاشعاعات التي نتعرض لها إلى الفضاء أو إرسالها إلى الأرض ومن الأمثلة العملية لإعادة الإرسال التي تقوم بها الطبقات المختلفة التي تحيط بالأرض .

1- **طبقة التروبوسفير:** هذه الطبقة تمكن بخار الماء من الصعود من سطح الأرض والتكثف ثم ترجعه مطراً.

---

(1) ينظر: تفسير القرآن، العز بن عبد السلام ،ج440/3، التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، ج472/2، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ج3/ 628، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص 920، التفسير الوسيط، طنطاوي، ج356/15، ،.

(2) ينظر: تفسير الآيات الكونية، د. زغلول النجار، ج420/4.

(3) المرجع السابق، ج420/4.

2- **طبقة الأوزون:** تعكس الإشعاعات الضارة والأشعة فوق البنفسجية الآتية من الفضاء وترجعها إلى الفضاء.

3- **طبقة الأينوسفير:** تعكس موجات الراديو التي تبث من الأرض وترجعها إلى مناطق مختلفة من العالم تماما مثل الأقمار الصناعية ، وبذلك فإنها تجعل البث الإذاعي والتلفزيوني والاتصالات اللاسلكية طويلة المسافات أموراً ممكنة .

4- **طبقة الماغنوسفير:** تقوم بإعادة جزيئات الإشعاعات النووية التي تصدر عن الشمس وغيرها من النجوم إلى الفضاء قبل أن تصل إلى الأرض" [1].

وإذا كان المقصود بالرجع كل السماء الدنيا فعلوم الفلك بينت أن كل أجرام السماء قد خلقها الله من الدخان الكوني الذي نتج عن عملية الانفجار العظيم(فتق الرتق)، وأن كل أجرام السماء الدنيا تمر في دورة حياة تنتهي بالعودة إلى دخان السماء عن طريق الانفجار أو الانتثار، لتتخلق من هذا الدخان السماوي أجراماً جديدة، لتعيد الكرة في دورات مستمرة من تبادل المادة والطاقة بين أجرام السماء ودخانها، وهذه صورة أخرى لرجع السماء لم يدركها العلماء إلا بعد اكتشاف دورة حياة النجوم حديثاً[2].

رابعاً: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

إن خاصية (الرجع) من خصائص طبقات الغلاف الجوي، وقد ذكرت في القرآن الكريم قبل قرون، ولم تظهر علمياً إلا في الأبحاث المتأخرة، وهذا يثبت بأن القرآن كلام الله[3].

"وسواء كان المقصود بالسماء ذات الرجع إحدى الصورتين السابقتين أو كلتيهما معاً، فهو سبق قرآني مبهر بحقيقة كونية لم يدركها العلماء إلا منذ عشرات قليلة من السنين، وذلك مما يشهد للقرآن الكريم بأنه كلام الله الخالق ، ويشهد لخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ بأنه كان موصولاً بالوحي ، ومعلماً من قبل خالق السموات والأرض "[4].

---

(1) المعجزات القرآنية، د. هارون يحيى، ص24.

(2) ينظر: تفسير الآيات الكونية، د. زغلول النجار 420/4.

(3) ينظر: المعجزات القرآنية، هارون يحيى، ص24.

(4) تفسير الآيات الكونية، د. زغلول النجار ،4 /420-421.

المطلب الثالث:

إحكام بناء السماء

في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: 47].

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿السَّمَاءَ﴾: المدلول اللغوي للفظة السماء يدل على العلو والارتفاع، يقال سما الرجل يسمو سموا، إذا علا وارتفع، وسماء كل شيء أعلاه وكل عال مطل سماء، حتى يقال لظهر الفرس سماء، والسماء في لغة العرب سقف كلِّ شيء، كما تأتي بمعنى المطر والسحاب(1).

﴿بَنَيْنَاهَا﴾: من الفعل (بنى)، والبني: نقيض الهدم، يقال بنيت البناء أبنيه، وهو بناء الشيء بضم بعضه إلى بعض، وجاء بناءاً وصفاً للسماء بمعنى الشيء المبني كما في قوله تعالى:

﴿**أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا** ﴾ [النازعات: 27] ، والمراد أنه خلقها مسواة محكمة (2).

﴿لَمُوسِعُونَ﴾: يقال وسع الشيء واتسع أي: صار واسعاً، والتوسيع: خلاف التضييق وهو بمعنى الجدة والطاقة، والوسع الغنى، خلاف العسر والضيق (3).

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

﴿وَالسَّماءَ بَنَيْناها﴾ لقد بنينا السماء وشيدناها وأحكمنا خلقها، ﴿بِأَيْدٍ﴾ بقوةٍ وقدرة، ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾، وإنا لقادرون على أكثر من ذلك(4).

وللمفسرين في المراد بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ **عدة أقوال هي:**

1- لموسعون في الرزق بالمطر.

---

(1) ينظر: العين، الخليل الفراهيدي، ج7/319، مقاييس اللغة، بن فارس، ج3/98، جمهرة اللغة، ابن دريد، ج2/862.

(2) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج1/302، تاج العروس، الزَّبيدي، ج37/216، معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن، حسن عز الدين الجمل، ج1/ 220.

(3) ينظر: الصحاح، الجوهري، ج3/ 1298، مقاييس اللغة، ابن فارس، ج6/ 109.

(4) ينظر: المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، ص774، التفسير الوسيط، الزحيلي، ج3/ 2508، صفوة التفاسير، الصابوني، ج3/ 239.

2- لموسعون في خلق السماء .

3- لقادرون على الاتساع بأكثر من اتساع السماء.

4- لموسعون بخلق سماء مثلها .

5- لذو سعة لا يضيق علينا شيء نريده [1].

ثالثاً: التفسير العلمي للإشارات الكونية في الآية:

"تشير الآية الكونية ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ إلى عدد من الحقائق الكونية التي لم تكن معروفة لأحد من الخلق وقت نزول القرآن الكريم، منها:

أ- **أن السماء بناء محكم التشييد:** دقيق التماسك والترابط وليس فراغاً، كما كان يعتقد إلى عهد قريب، وقد ثبت علمياً أن المسافات بين أجرام السماء مليئة بغلالة رقيقة جداً من الغازات والمركبات الكيميائية، وبالإضافة إلى المادة التي تملأ المسافات بين النجوم، فإن المجالات المغناطيسية تنتشر بين كل أجرام السماء لتربط بينها في بناء محكم التشييد، متماسك الأطراف، وهذه حقيقة لم يدركها العلماء إلا في القرن العشرين ، بل في العقود المتأخرة منه" [2].

ب: **في الإشارة القرآنية الكريمة ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ..﴾** أي: "بقوة واقتدار في إحكام الصنعة، وتماسك الأجزاء، والحفظ من التصدع والانهيار، هذه السماء لا يدرك العلم الكسبي إلا جزءاً يسيراً منها ويسمى الجزء المدرك من السماء الدنيا، ويقدر بمئتي بليون مجرة على أقل تقدير، وتتراوح أعداد النجوم في المجرات بين المليون والعشرة ملايين، وملايين الملايين، وتمر هذه النجوم في مراحل من النمو مختلفة من الميلاد إلى الطفولة و الشباب والكهولة، والشيخوخة ثم الوفاة" [3].

ج- التعبير القرآني ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ "يشير إلى حقيقة توسع هذا الكون باستمرار إلى ما شاء الله وهي حقيقة لم يدركها الإنسان إلا في القرن العشرين، حيث ثبت لعلماء كل من الفيزياء النظرية والفلك أن المجرات تتباعد عنا وعن بعضها البعض بسرعات تتزايد بتزايد بعدها

---

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج52/17،النكت والعيون، الماوردي، ج5/ 373- 374.

(2) السماء في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، ص86-87 .

(3) المعجزة الخالدة، د. علي الصلابي، ص31 .

عن مجرتنا، وتقترب أحياناً من سرعة الضوء – المقدر بحوالي ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية– [1].

ثالثاً: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

"هذه الاستنتاجات الكلية المهمة عن أصل الكون ، وكيفية خلقه وإبداع صنعه، وحتمية نهايته، أمكن الوصول إليها من ملاحظة توسع الكون، وهي حقيقة من أهم حقائق علم الفلك لم يتمكن الانسان من إدراكها إلا في القرن الماضي، ودار حولها الجدل حتى سلم بها أهل العلم أخيراً، وقد سبق القرآن الكريم بإقرارها قبل أربعة عشر قرناً أو يزيد، ولا يمكن لعاقل أن يتصور مصدراً لتلك الإشارات القرآنية الباهرة غير الله الخالق سبحانه وتعالى؛ فسبحان خالق الكون الذي أبدعه بعلمه وحكمته وقدرت، والذي أنزل لنا في خاتم كتبه، وعلى خاتم أنبيائه ورسله ﷺ عدداً من حقائق الكون الثابتة، ومنها تمدد الكون وتوسعه، فقال سبحانه: ﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾ [الذاريات: 47]" [2].

وهذا ما يراد بالدليل العلمي على صدق الوحي وصدق النبوة، فما كان للنبي ﷺ ولا لغيره من أهل زمانه، ولا من أهل الأزمنة اللاحقة أن يدركوا هذه الحقائق إلا في العصر الحديث؛ لندرك أن القرآن قطعاً هو كلام الله تعالى، وأنّ محمداً ﷺ قطعاً هو رسول الله تعالى، إذ كيف لرجل أمي أن يأتي بمثل هذه الحقائق إلا أن يكون ذلك وحياً ممن خلق الكون وأودع فيه هذه الحقائق العلمية الثابتة.

---

(1) السماء في القرآن الكريم، د. زغلول النجار ،ص88. بتصرف يسير.

(2) المعجزة الخالدة، د. علي الصلابي، ص33 .

المطلب الرابع:

السقف المحفوظ

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 32]

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿سَقْفًا﴾: أصل الكلمة يدل على الارتفاع والطول في انحناء(1).

﴿مَحْفُوظًا﴾: الحفظ مراعاة الشيء، من الفعل **(حفظ):** بمعنى صان وحرس ، **يقال:** حفظت الشيء حفظاً، أي حرسته (2).

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا﴾ السماء كالسقف للأرض التي أنتم عليها **﴿مَحْفُوظًا﴾** أي وجعلنا ذلك السقف محفوظاً من الوقوع والاضطراب، كما قال تعالى: **﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾** [الحج: 65]، ومحفوظ أيضا بالشهب من استراق الشياطين للسمع كما قال تعالى: **﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾** [الحجر: 17] (3).

﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا﴾ "ما تشتمل عليه السماء من الشمس والقمر والكواكب والشهب وسيرها وشروقها وغروبها وظهورها وغيبتها، وكذلك ما يبدو لنا من جهة السماء مثل السحاب والبرق والرعد وكلها دلائل على الحكمة البالغة فلذلك سماها آيات" (4)، "وهذا عام في جميع آيات السماء، من علوها، وسعتها، وعظمتها، ولونها الحسن، وإتقانها العجيب، وكذلك النجوم، فتقوم بسبب ذلك منافع العباد"(5).

﴿مُعْرِضُونَ﴾ ومع ذلك هم منصرفون عن النظر والاعتبار بآياتنا الدالة على قدرتنا، وحكمتنا،

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج3/87، شمس العلوم، نشوان الحميري، ج5/3126.

(2) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج2/87، الصحاح، الجوهري، ج3/1172، تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دُوزِي، ج3/ 243.

(3) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ج 2/ 402، التفسير المنير، الزحيلي، ج17/46، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص522.

(4) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج17/ 58- 59.

(5) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص 522.

ورحمتنا غير متفكرين فيها فيؤمنون[1].

يقول العلامة ابن عاشور: "فأدمج في خلال ذلك منة، وهي حفظ السماء من أن تقع بعض الأجرام الكائنة فيها أو بعض أجزائها على الأرض، فتهلك الناس أو تفسد الأرض فتعطل منافعها، فذلك إدماج للمنة في خلال الغرض المقصود الذي لا مندوحة عن العبرة به"[2].

ثانياً: التفسير العلمي للإشارات الكونية في الآية:

من النعم العظيمة التي مَنَّ الله بها علينا نعمة الغلاف الجوي، وإن أحدث شيء يقرره العلماء وآخر وصف يصفون به هذا الغلاف هو أنه كالسقف الذي يحمينا في وسط هذا الكون المظلم والبارد[3]، ويلفت الله سبحانه وتعالى من خلال القرآن الكريم انتباهنا إلى خاصية مهمة من خصائص السماء في قوله تعالى : **﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾** [الأنبياء: 32]، هذه الخاصية قد أثبتتها الأبحاث العلمية التي أجريت في القرن العشرين، فالغلاف الجوي الذي يحيط بالأرض يؤدي وظائف ضرورية لاستمرار الحياة [4]، **ومن أهم وظائفه:**

1- "أنه يحفظ حياة الكائنات على ظهر الأرض، ففيه الأكسجين اللازم لاستمرار الحياة، كما يقوم الغلاف الجوي بحفظ وتخزين الحرارة القادمة من الشمس، والمحافظة على حرارة معتدلة ومناسبة للحياة.

2- يتصدى الغلاف الجوي لملايين الأحجار النيزكية التي تهوي على الأرض كل يوم، فتحترق بسبب احتكاكها معه قبل أن تصل إلى الأرض إلا القليل منها، كما يتصدى هذا السقف الرائع لجميع الإشعاعات الضارة التي لو وصلت إلى سطح الأرض لأحرقت مَنْ عليها.

3- كما أن الأرض تتمتع بحزام مغناطيسي قوي لأكثر من ألفي كيلو متر فوق سطحها، هذا الحزام يقي الأرض من كثير من الجسيمات الأولية السابحة في الفضاء"[5].

---

(1) ينظر: المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، ص477، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تفسير النسفي، ج2/ 402.

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج17/ 58.

(3) ينظر: موسوعة الكحيل للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، م. عبد الدايم الكحيل، ج28/14.

(4) ينظر: المعجزات القرآنية، د. هارون يحيى، ص23.

(5) موسوعة الكحيل للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، م. عبد الدايم الكحيل، ج 30/14.

4- يصفي الغلاف الجوي شعاع الضوء الآتي من الفضاء المؤذي للكائنات الحية، ولا يسمح إلا للإشعاعات غير الضارة مثل الضوء المرئي والأشعة فوق البنفسجية، وموجات الراديو بالمرور، وكل هذه الاشعاعات أساسية للحياة.

5- غالبية الإشعاعات فوق البنفسجية المركزة التي تنبعث من الشمس يتم تصفيتها من خلال طبقة الأوزون في الغلاف الجوي، ولا تصل إلا كمية محدودة وضرورية من الطيف فوق البنفسجي إلى الأرض .

6- هذه الوظيفة الوقائية للغلاف الجوي لا تقف عند هذا الحد، بل إن الغلاف الجوي يحمي الأرض من برد الفضاء المجمد الذي يصل إلى 270 درجة مئوية تحت الصفر [(1)].

ثالثاً: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

لقد سخر لنا الله تعالى هذا الغلاف الجوي، وأحاط به الأرض، ليكون سقفاً لها، ولولا وجود هذا الغلاف لما استمرت الحياة على ظهر الأرض، وبعد هذه الحقائق التي تؤكد أن السماء التي فوقنا تحمينا من كثير من الأضرار أليست هذه السماء هي سقف محفوظ بعناية الله، يحفظنا ويحافظ على حياتنا؟ إن هذا الوصف موجود في كتاب الله منذ أربعة عشر قرناً، يقول تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ**﴾ [الأنبياء :32]، لنتأمل هذا التعبير العلمي: ﴿**سَقْفًا مَّحْفُوظًا**﴾ كيف جاء هذا التعبير الدقيق في كتاب أُنزل في عصرٍ لم يكن فيه من العلوم إلا الأساطير؟ في ذلك الوقت لم يكن أحد يعلم بوجود غلاف جوي للأرض، فمن الذي أخبر النبي الكريم عليه الصلاة والسلام بهذا السقف المحفوظ؟؟ [(2)].

الذي لم يعلم العلماء بوجوده إلا مؤخراً ، ولكن الله سبحان أخبرنا منذ قرون بعيدة من خلال القرآن الكريم عن غلاف الأرض الجوي الذي يشكل درعاً واقياً [(3)].

أليس هذا دليلاً قاطعاً على أن القرآن الكريم كلام الله، وأن محمداً ﷺ رسوله أوحى إليه هذا الكتاب العزيز؟ لا شك أنه دليل على صدق الوحي والنبوة.

---

(1) ينظر: المعجزات القرآنية، د. هارون يحيى، ص23.

(2) موسوعة الكحيل للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، م. عبد الدايم الكحيل، الجزء 14 ص30. بتصرف يسير.

(3) ينظر: المعجزات القرآنية ، د. هارون يحيى، ص23.

المطلب الخامس:

تناقص الضغط الجوي في طبقات الجو العليا

قال تعالى:﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ كَذلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:125]

أولاً: التفسير الإجمالي للآية:

"ويقول تعالى ذكره: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾ للإيمان به وبرسوله وما جاء به من عند ربه، فيوفقه له ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ﴾ يفسح صدره لذلك ويهوِّنه عليه، ويسهِّله له، بلطفه ومعونته، حتى يستنير الإسلام في قلبه، فيضيء له، ويتسع له صدره بالقبول"[1] .

﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ ﴾ ومن فسدت فطرته بالشّرك، ولم يكن مستعدّا للإيمان، ولا أهلاً له، ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ والحرج عند أهل اللغة أضيق الضيق، فهو ضيق جدًّا[2] ، حيث يجعل الله صدره ضيّقا شديدا عازلا عن قبول الإيمان، وهذا الصنف تكون إجابة الداعي عنده ثقيلة على نفسه جدّا، فيشعر بضيق شديد، وحرج كثير.

﴿كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ﴾ فحالهم كحال الصاعد في طبقات الجو، والمرتفع في السماء كلما ارتفع وخف الضغط عنه، شعر بضيق في النفس، وحرج في القلب، كأنه كلف من الأعمال ما لا يطيق، أو أمر بصعود السماء [3] .

﴿كَذلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ وبهذا يكتب الله الفساد والخذلان على الذين لا يؤمنون بآياته، فيلقي الله العذاب عليهم [4].

---

(1) جامع البيان ، الطبري ج98/12.

(2) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج290/2.

(3) ينظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، ج605/1، التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، ج662/1.

(4) ينظر: صفوة التفاسير، الصابوني، ج386/1 ، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، ص194.

ثانياً: التفسير العلمي للإشارات الكونية في الآية:

إن لفظة السماء تعني الكون في مقابلة الأرض، والتعريف اللغوي للسماء يشمل كل ما علاك فأظلك، بدءاً من نطاق الغلاف الغازي للأرض، وانتهاءً بالحدود المدركة من الكون[1].

وقد أشارت الآية الكريمة إلى عدة حقائق علمية تجلت في هذا الزمان يمكن تلخيصها فيما يأتي:

1- صعود الإنسان في السماء:

"في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَآءِ﴾ إشارة واضحة إلى إمكانية صعود الإنسان إلى السماء حيث شبه المولى عز وجل حال ضيق صدر الكافر عن قبول الإيمان بحال الذي يتصعد في السماء، وذكر وجه الشبه وهو الصفة المشتركة بينهما ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ وجاء بأداة التشبيه ﴿كَأَنَّ﴾ ليقع بعدها المشبه به في صورة حسية واضحة، وقد ثبتت بيقين هذه الصورة الحسية الناصعة في هذا الزمان، حيث صعد الإنسان إلى طبقات الجو العليا بتسلقه للجبال الشاهقة، وبصعوده إلى أعلى في أجواء الفضاء عبر البالونات وفي الطائرات الشراعية والنفاثة وعبر الصواريخ العملاقة ، وحيث إنه لا توجد قرينة في النص تصرف دلالة اللفظ الظاهر عن معناه ؛ فبذلك يثبت أن في الآية الكريمة دلالة واضحة على إمكانية صعود الإنسان إلى أجواء الفضاء، وتعتبر هذه الإشارة إخبارًا عن حقيقة وقعت ونبوءة تحققت في هذا الزمان" [2].

2- الإشارة إلى الصعوبات التي يواجها الانسان حينما يتصعد في السماء بغير وقاية كافية:

"ينقسم الغلاف الغازي من حيث موائمته للحياة الأرضية إلى النطق الآتية:

أ- **نطاق المواءمة الكاملة للحياة الأرضية:** ولا تظهر في هذا النطاق أية أعراض لنقص الاكسجين، أو تناقص الضغط الجوي.

ب- **نطاق شبه الموائمة للحياة الأرضية:** يمتد من ارتفاع ثلاثة كيلو مترات فوق مستوى سطح البحر الى إرتفاع ستة عشر كيلو متراً فوق ذلك المستوى، ويتميز بنقص تدريجي في نسبة الأكسجين، وتناقص الضغط الجوي بمعدلات ملحوظة، ويمكن للإنسان العيش في الأجزاء السفلى من هذا النطاق بصعوبة فائقة؛ لصعوبة التنفس والخلل الذي يعتري بعض وظائف

---

(1) تفسير الآيات الكونية، د. زغلول النجار، ج1-261.

(2) ضيق الصدر والتصعد في السماء، د. عبدالجواد الصاوي، (موقع إلكتروني).

الجسم؛ بسبب انخفاض الضغط الجوي، حيث تظهر عليه أعراض نقص الأكسجين، وانخفاض الضغط الجوي.

3- نطاق استحالة وجود الإنسان بغير عوامل وقائية كاملة:

يمتد من ارتفاع ستة عشر كيلو متراً فوق سطح البحر، إلى نهاية الغلاف الغازي للأرض، وهو نطاق يستحيل بقاء الإنسان فيه بغير عوامل كافية للوقاية من مخاطر هذا النطاق، وذلك بتكييف الجو المحيط به من حيث الضغط، ودرجتي الحرارة والرطوبة، وامداده بالقدر الكافي من الأكسجين" [1] .

الصعوبات التي يواجهها الإنسان حينما يصعد في السماء: إذا تجاوز الإنسان ارتفاع الثمانية كيلو مترات فوق سطح البحر سيواجه مشكلات عديدة، منها صعوبة التنفس؛ لنقص الأكسجين وتناقص ضغط الهواء ، وهو مرض يسميه طب الطيران بمرض عوز الأكسجين، ومنها مشكلات انخفاض الضغط الجوي، والذي يسمى باسم خلل الضغط الجوي، وتحت هذين العارضين لا يستطيع جسم الإنسان القيام بوظائفه الحيوية ، فتبدأ في التوقف وظيفة تلو الأخرى، وهنا يمكن تفسير ضيق الصدر الذي يمر به الإنسان عند الصعود إلى تلك المرتفعات بغير وقاية كافية، فيبدأ بالشعور بالإجهاد الشديد، والصداع المستمر، والشعور بالرغبة في النوم، ونتيجة للنقص في الضغط الجوي تبدأ الغازات المحبوسة في داخل أنسجة الجسم وتجاويفه المختلفة في التمدد من مثل الجهاز التنفسي والجهاز الدوري مما يؤدي إلى آلام شديدة في كل أجزاء الجسم، وإلى ضغوط شديدة على الرئتين والقلب، وإلى تمزق خلاياهما وأنسجتهما، ويسبب الشعور بضيق الصدر وحشرجة الموت.

كذلك تبدأ الغازات الذائبة في جميع سوائل الجسم وأنسجته في الانفصال والتصاعد إلى خارج حيز الجسد، وتخرج هذه الغازات على هيئة فقاعات تندفع إلى الخارج بسرعة فائقة مما يزيد من تمزق الخلايا والأنسجة، وإلى حدوث آلام مبرحة بكل من الصدر والمفاصل، وإلى ضيق شديد في التنفس فتتأثر رؤية الشخص، ويختل توازنه، ويصاب بصداع شديد، ثم إغماء كامل، أو صدمة عصبية، أو بشلل جزئي أو كلي، وزرقة الجسم تنتهي بالوفاة بسبب توقف كل من القلب والرئتين وانهيار الجهاز العصبي، وفشل كامل في وظائف بقية أعضاء الجسم [2].

---

(1) تفسير الآيات الكونية، د. زغلول النجار، ج264/1-265.

(2) المرجع السابق، ج266/1-267 .بتصرف يسير.

"ويفهم من عبارة النص الكريم ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ بأن هذا الضيق ضيق متدرج، ويستمر في الزيادة حتى يصل إلى الذروة في الضيق، وهذا ما قرره علماء اللغة والتفسير، حيث فسروا ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾على أنه ضيق بعد ضيق، والحرج على أنه أضيق الضيق أو أشده.

وهو أيضاً لا ينفذ منه شيء كالحرجة، وهي الشجرة التي التفت بها الأشجار التفافاً شديداً، أو هي الموضع الذي التف شجره فلا يصل إليه شيء من شدة التفافه، كما أنه يصاحب هذا الضيق معاناة ومشقة بالغة وآلام عند التنفس، وهذا ما يتوافق والمعنى اللغوي للصعود، والذي يفيد – علاوة على معنى الذهاب إلى أعلى – معنى المشقة والألم المصاحب للتنفس"[1].

"كما ذكرت الآية الكريمة مكان الشعور بالضيق عند التصعد في السماء، وهو الصدر الذي يحتوي داخله على الجهاز التنفسي، والقلب والجهاز الدوري، وهذا ما أثبته العلم حديثاً"[2].

ثالثاً: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

هذه الآية الكريمة من دلائل نبوة النبي ﷺ، فقد أثبت علم طب الطيران والفضاء أن تعرض الإنسان للارتفاعات العالية، عندما يصعد من سطح الأرض إلى الطبقات العلوية في السماء، تحدث له أعراضٌ عضوية، تتدرج من الشعور بالضيق، الذي يتركز في منطقة الصدر حتى يصل إلى المرحلة الحرجة التي ذكرها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ **يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ**﴾ بسبب نقص الأكسجين، وانخفاض الضغط الجوي [3].

وإن ورود هذه الحقائق العلمية المتمثلة في إمكانية الصعود في السماء، والضيق المتدرج الذي يعاني منه الصاعد فيها، والمستوى الحرج الذي يصل فيه الضيق إلى ذروته، ما كان أحد في زمن الرسول ﷺ يمكن أن يتخيلها، فضلاً عن أن يكتشفها.

"إن هذه الحقائق لم تكن معلومة على وجه القطع في زمن الوحي ولا حتى بعده بقرون، ولم تعرف هذه الحقائق وتكتشف إلا خلال القرون الثلاثة الأخيرة، وكانت البداية حينما اكتشف أن ضغط الهواء يقل كلما ارتفعنا عن مستوى سطح الأرض، وقد تجلت هذه الحقائق في القرن

---

(1) ضيق الصدر والتصعد في السماء، د. عبدالجواد الصاوي، موقع الهيئة العالمية للإعجاز.

(2) الكون، المسند، ص66.

(3) ينظر: المعجزة الخالدة، د. علي الصلابي، ص36-37.

العشرين حينما ارتبطت أبحاث وظائف أعضاء الجسم بصعود الإنسان في طبقات الجو العليا، عبر تسلق الجبال الشاهقة وركوب الطائرات الشراعية والعمودية والنفاثة وتقدم وسائل البحث والرصد.

فمن أخبر محمدًا ﷺ بهذه الحقائق منذ ما يزيد على أربعة عشر قرنًا؟ إنه وحي الله الذي خلق الكون والإنسان ويعلم سنن الخلق، وإن تجلي هذه الحقائق في هذا الزمان، لهي من وعد الله لنا بإظهار أنباء القرآن الكريم في الزمن المستقبل قال تعالى: ﴿ **إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ** ﴾ [ص 87- 88]" [1].

وقد وعد سبحانه بأنه سيرينا الآيات الدالة على صدق الوحي والنبوة بقوله تعالى:﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ [فصلت:53]، فقد بان لنا من خلال الأدلة العلمية المستنبطة من الآيات القرآنية أن القرآن حق، هو كلام الله تعالى، وأن النبي ﷺ حق، هو رسول الله حقاً، وهذا ما يعرف بصدق الوحي والنبوة، فسبحان من وعد فأوفى.

---

(1) ضيق الصدر والتصعد في السماء، د. عبدالجواد الصاوي، (موقع إلكتروني).

المبحث الثاني

آيات علمية قرآنية حول الشمس والقمر، ودلالتها على صدق الوحي والنبوة

خلق الله تبارك وتعالى آيتين من آيات السماء، هما الشمس والقمر، وسخرهما سبحانه بحكمته وقدرته، حيث تتجلى من خلال النظر في تلك الآيات دلائل قدرته عز وجل، وبينات صدق الوحي إلى نبيه ﷺ ، وبيان ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول:

تسخير الشمس والقمر

في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَـٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد: 2].

أولاً: التفسير الإجمالي للآية:

"إنّ من مظاهر قدرته سبحانه خلق السماوات بغير أعمدة نشاهدها بالعين المجردة"[(1)] "استواء يليق بجلاله وسخر الشمس والقمر، يجريان في فلكهما إلى أجل مسمى عنده، يقضي أمر ملكه مبيناً دلالات قدرته" [(2)]؛ "فمن تدبر هذه الآيات أيقن أن الذي أبدعها بهذا التدبير ابتلاء للمكلفين هو على كل شيء قدير؛ فلا بد من الإيقان بالجزاء"[(3)].

ثانياً: التفسير العلمي للإشارات الكونية المتعلقة بتسخير الشمس والقمر في الآية الكريمة:

أولاً: جوانب من تسخير الشمس :

هنالك حقائق قاطعة بتسخير الشمس، وهي عديدة نوجز منها ما يأتي:

1- **"الاتزان الدقيق بين تجاذب مكونات الشمس وتمددها:** لقد قدر الخالق سبحانه حجم وكتلة الشمس بدقة بالغة مكنها من تحقيق توازن دقيق بين قوى الدفع إلى الخارج، وقوى التجاذب الى الداخل، ومن البقاء في حالة غازية أو شبه غازية، ملتهبة، متوهجة بذاتها لأكثر من عشرة بلايين من السنين، إلى أن يرث الله الأرض؛ ولو تغير حجم وكتلة الشمس ولو قليلاً

---

(1) التفسير الوسيط، الزحيلي، ج1145/2.

(2) تفسير الجلالين، الإمام السيوطي، والإمام المحلي، ص321.

(3) إرشاد العقل السليم، أبو السعود، ج3/5.

لتغير سلوك مادتها تماماً، أو انفجرت، أو انهارات على ذاتها، وهذا من أبلغ صور التسخير "[1].

2- "**تسخير طاقة الشمس من أجل ضبط حركة الحياة على الأرض:** بدون الطاقة الشمسية تستحيل الحياه على كوكبنا، فالنباتات، والحيوانات، والإنسان يعتمد في وجوده –بعد إرادة الله الخالق –على قدر الطاقة الذي يصله من تركيز العديد من الركائز المعدنية، وحركات الأمواج في البحار والمحيطات وعملية المد والجزر، وغير ذلك من عمليات وظواهر تحركها طاقة الشمس، بإرادة الله تعالى كذلك فإن الله قد أعطى الشجر الأخضر القدرة على خزن جزء من الماء من طاقة الشمس على هيئة عدد من الروابط الكيميائية التي تمثل المصدر الرئيس للغذاء والأرض"[2].

3- **تكوين نطق الحماية المختلفة للأرض بفعل طاقة الشمس:** شاءت إرادة الله أن يحمي الحياة على سطح الارض، بعدد من نطق الحماية التي لعبت أشعة الشمس الدور الأول في تكوينها وهذه النطق تتعاون في حماية الأرض من كل الإشعاعات الكونية وفوق البنفسجية، ومن العديد من الجسيمات الكونية الدقيقة والكبيرة والتي منها النيازك والشهب، ولو لم تكن هذه النطق موجودة لاستحالت الحياة على الأرض، ولو لم تكن الشمس موجودة لما تكونت تلك النطق على الإطلاق.

4- **تحديد الزمن:** يتحدد كل من الليل والنهار ويوم الأرض وشهورها وفصولها، وسنينها بدورة الأرض حول محورها، وبسبحها في مدارها حول الشمس، وبذلك يستطيع الإنسان إدراك الزمان، وتحديد الوقت والتاريخ للأحداث [3].

ثانياً: حقائق علمية بتسخير القمر نقف على بعضها فيما يأتي:

فمن جوانب تسخير القمر:

1- **تحديد الشهر القمري** بدورة القمر حول الأرض.

2- **تقسيم الشهر إلى أسابيع وأيام.** من خلال تسخير أطوار شكل القمر.

---

(1) السماء في القرآن الكريم،282 –283.

(2) السماء في في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، ص538.

(2) المرجع السابق، ص584.بتصرف يسير.

3- **إضاءة سماء الأرض بمجرد غياب الشمس** : إن القمر في دورته الشهرية حول الأرض قد سخره ربنا تبارك وتعالى مصدراً للنور في ليل الأرض، وذلك بمِراحله المتتالية من الهلال الوليد، إلى ميلاد الهلال الجديد في أول الشهر التالي.

4- **تسخير القمر وسيلة من وسائل إتمام عملية المد والجزر:** وهما قوتان من قوى الأرض يعملان على تفتيت صخور الشواطئ وتكوين أنواع عديدة من الرسوبيات والصخور الرسوبية على طول تلك الشواطئ، كما تعملان على تركيز العديد من الثروات المعدنية من المعادن ذات الكثافة العالية في رمال، أو ما يعرف باسم الرمال السوداء(1).

ثالثاً: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

لقد أشار القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، إلى تسخير كل من الشمس والقمر، وتأتي الدراسات العلمية الدقيقة لتكشف لنا عن معانٍ جلية لصور مبهرة من هذا التسخير الإلهي مما يؤكد بالدليل القاطع أن هذا القرآن هو كلام الله تعالى الذي سخر هذين النيرين، بشهادة صدق للنبي الخاتم محمد ﷺ أنه رسول الله مما يثبت بالدليل العلمي القاطع صدق الوحي والنبوة.

---

(1) المعجزة الخالدة، د. علي الصلابي، ص47.بتصرف.

المطلب الثاني:

الفرق بين ضوء الشمس ونور القمر

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: 5]

أولاً: التفسير الإجمالي للآية:

"جعل الله– سبحانه – الشمس ضياءً للكون، ومصدراً للحياة، ومبعثاً للحرارة، والحركة للكائن الحي من حيوانٍ ونبات، والقمر يرسل النور؛ ليستضيء به الساري في الليل، وجعله منازل ينتقل فيها، فيختلف نوره تبعاً لهذه المنازل، لتستعينوا بهذا في تقدير مواقيتكم، وتعلموا عدد السنين والحساب، وما خلق الله ذلك إلا بالحكمة، وهو سبحانه يبسط في كتابه الآيات الدالة على ألوهيته، وكمال قدرته، لكى تتدبروها بعقولكم، وتستجيبوا لما يقتضيه العلم" [1].

ثانياً: حقائق علمية حول ضوء الشمس ونور القمر:

بعد اختراع أجهزة التحليل الطيفي التي تحلل أطياف النجوم وتبين تركيبها، تبين أن الشمس هي كتلة ملتهبة تتفاعل ذراتها تفاعلاً نووياً؛ لتندمج وتعطي كميات ضخمة من الطاقة والحرارة، أما القمر فهو جسم بارد كالأرض، يتلقى أشعة الشمس ليعكسها إلى الأرض من جديد فالشمس هي مصدر الضياء، بينما القمر لا يضيءُ بل يعكس النور؛ لذلك يمكن القول بأن الشمس هي مصدر الضوء، والقمر هو العاكس لهذا الضوء [2].

أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

وصف القرآن الشمس بالسراج، والشيء لا يقال عنه سراجاً إلا إذا اجتمع فيه الحرارة والإضاءة، وهذا ما يطابق صفة الشمس التي تبعث الحرارة والنور إلى الأرض، وعندما يتحدث القرآن عن القمر يصفه بالقمر المنير، والشيء يقال عنه منير إذا كان يعكس الضياء دون أن يكون فيه حرارة، وعلى هذا الأساس تفسر الآية بأن الشمس جرم ملتهب بالنيران، وأن القمر

---

(1) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، ص285.

(2) ينظر: موسوعة الكحيل للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ج11/14.

جسم بارد لا حرارة فيه، وإنما يكتسب نوره من الشمس، وهذا ما يطابق فعلاً من الناحية العلمية الفلكية[1] .

ركز القرآن الكريم باستمرار على التمييز الدقيق بين ضياء الشمس ونور القمر، وبين كون الشمس سراجاً وكون القمر نوراً، فقال عز وجل : ﴿**هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا** ... ﴾ [يونس: 5] ﴿**وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا**﴾ [نوح: 16] وقابل القرآن الكريم الظلمات بالنور وليس بالضياء في آياتٍ كثيرةٍ منها قوله سبحانه: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ..** ﴾ [الأنعام: 1]، كما وصف الشمس بأنها سراجاً وهاجاً في قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا** ﴾ [النبأ: 13].

"هذه الدقة البالغة في التفريق بين الضوء المنبعث من جسم ملتهب، مشتعل، مضيء بذاته، وبين سقوط هذا الضوء على جسم مظلم بارد، وانعكاسه نوراً من سطحه، وبطريقة مطردة في كل القرآن الكريم، لا يمكن أن يكون له مصدرٌ في ذلك الوقت إلا الله الخالق ، فهذا الفرق الدقيق لم يدركه العلماء إلا في القرنيين الماضيين، ولا يزال في زماننا كثير من الناس لا يدركونه! "[2] .

يقول الامام البيضاوي: "وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على أنه خلق الشمس نيرة في ذاتها، والقمر نيراً بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها"[3].

"فسبحان الذي أنزل القرآن الكريم، أنزله بعلمه، على خاتم الأنبياء والرسل، وتعهد بحفظه، فحفظه منذ أنزله دون زيادة حرف واحد، وأبقى فيه تلك الومضات النورانية من حقائق الكون وسنن الله فيه شاهدة على صدقة، وحجة على أهل كل عصر يأتي من بعده إلى قيام الساعة"[4].

---

(1) الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، د. سمير عبد الحليم، ص28.بتصرف يسير.

(2) المعجزة الخالدة، د. علي الصلابي، ص45.

(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، 105/3.

(4) موسوعة الكحيل للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عبد الدايم الكحيل، ج11/14.

فهل كان أهل زمان نزول القرآن على علمٍ بهذه الحقائق العلمية الثابتة، قطعاً لا علم لهم مما يثبت أن هذا القرآن ليس له مصدر إلا الوحي من الله الخالق، وهذا يثبت بالبرهان العلمي الذي لا شك فيه أن محمداً ﷺ هو رسول الله ونبيه المرسل إلى الخلق أجمعين.

وهذا ما يُعرف بصدق الوحي والنبوة، وصدق الله حيث يقول: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [فصلت:53].

أي أن القرآن حقٌ كلام الله، وأن محمداً ﷺ حقٌ هو رسول الله.

المطلب الثالث:

الاختلاف في مطالع الشمس ومغاربها

قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ [المعارج: 40]

أولاً: التفسير الإجمالي للآية:

يقسم الحق تبارك وتعالى بمشارق الشمس والقمر والكواكب ومغاربها كل يوم من أيام السنة، بأنه قادر على أن يهلك هؤلاء ويخلق أمثل منهم يستمعون دعوة الداعي، ولن يعجزه سبحانه شيء، ولسنا بمغلوبين إن أردنا ذلك، بل نفعل ما أردنا لكن مشيئتنا اقتضت تأخير عقوبتهم(1).

ثانياً: حقائق علمية حول المشارق والمغارب:

إن دلالة الآية الكريمة تشمل مشارق الأرض ومغاربها، وتتسع لتشمل مشارق ومغارب كل أجرام السماء، ولنتحدث عن بعض ما كشفه العلم حول المشارق والمغارب، وما يتبعه من أدلة علمية، وذلك فيما يأتي:

أولاً: المشارق والمغارب بالنسبة إلى الأرض:

1- **مشرق الأرض ومغربها:**

يُعَدُّ النجم القطبي البوصلة الكونية لإرشاد أهل الأرض إلي الاتجاهات الأربعة الأصلية، حيث لا يشترك في الدوران الظاهري لقبة السماء وما بها من نجوم، والناتج عن دوران الأرض حول محورها من الغرب إلي الشرق، والسبب في ذلك هو أن النجم القطبي يقع على امتداد محور دوران الأرض حول نفسها تماماً، وبذلك يحدد لنا اتجاه الشمال الحقيقي؛ فالمشرق هو جهة طلوع الشمس والمغرب جهة غيابها، والأرض لها مشرق حقيقي واحد، ومغرب حقيقي واحد عموديان على اتجاه الشمال الحقيقي الذي حدَّده لنا الخالق سبحانه بالنجم القطبي، وفي الوقت الذي تشرق فيه الشمس على جهة ما من الأرض تكون قد غربت في نفس اللحظة عن جهة أخرى(2).

---

(1) ينظر: تفسير المراغي، المراغي، ج29/ 76، التفسير الوسيط، الزحيلي، ج3/ 2740.

(2) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، مناهج جامعة المدينة العالمية، ص273.

2- مشرقا الأرض ومغرباها:

الأرض لها مشرقان ومغربان، يمثلان أقصى زمانين ومكانين لكل من شروق الشمس وغروبها على أقصى بقعتين من بقاع الأرض؛ فنتيجة لدوران الأرض حول محورها انبعجت قليلاً عند خط الاستواء، وتفلطحت قليلاً عند القطبين، ونتيجة لذلك أصبح لكل من المشارق والمغارب العديدة نهايتان تمثل كل منهما مرة أقصى الشروق، ومرة أقصى الغروب[1].

(3) مشارق الأرض ومغاربها:

"بتبادل الأيام والفصول على الموقع الواحد في كل سنة، وبتعدد المواقع على خط العرض الواحد مع تعدد خطوط الطول، وعلى خط الطول الواحد بتعدد خطوط العرض، وبتعدد كل ذلك تتعدد المشارق والمغارب تعدداً مذهلاً، فسبحان الذي أقسم برب المشارق والمغارب فقال ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ [المعارج: 40] "[2].

ثانياً: المشارق والمغارب بالنسبة لباقي أجرام السماء:

العلم الحديث كشف أن الأرض تتعرض في كل لحظة خلال دورانها حول نفسها لشروق وغروب؛ فالشمس التي تشرق في منطقة ما تغرب في أخرى، وهكذا على مدار اليوم، كما اكتشف العلماء أن الأرض ليست الكوكب الوحيد الذي تشرق عليه الشمس، حيث وجدوا أن الكون يحوي مليارات الكواكب التي تدور حول شموسها، وبالتالي هناك مليارات المشارق والمغارب [3].

ثالثاً: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

جاء ذكر المشرق والمغرب في القرآن الكريم بصيغ الإفراد، والتثنية، والجمع، والتقدم العلمي جعلنا نفهم بعمق معنى تلك الآيات؛ فالشمس لها مشرق كل يوم ومغرب كل يوم يختلف عن الآخر، والشمس حين تشرق عندنا، تغرب عند قوم آخرين، وحين تغرب عندنا تشرق عند

---

(1) ينظر: تفسير الآيات الكونية، زغلول النجار، ج207/4.

(2) المعجزة الخالدة، علي الصلابي، ص142.

(3) ينظر: موسوعة الكحيل للإعجاز العلمي، ج87/13.

قوم آخرين، إذن فمع كل مشرق مغرب ومع كل مغرب مشرق، فيكون هناك مشرقان ومغربان وفي كل ثانية هناك شروق وغروب، فالمشارق والمغارب مختلفة على مدار السنة [1].

إن في هذه الإشارات الدقيقة لتلك الحقائق العلمية ما يؤكِّد أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، وليس صناعة بشرية؛ فهذه الحقائق الكونية التي لم تكن معروفة وقت تنزُّل القرآن الكريم، ولا لقرون متطاولة من بعده إلا بصورة بدائية، ولنفرٍ محدودين جدًّا من أبناء الحضارات السابقة التي لم تصل كتاباتهم إلى شبه الجزيرة العربية، إلا بعد حركة الترجمة التي بدأت في منتصف القرن الهجري الثاني [2].

فمن الذي أخبر محمداً ﷺ بأن هنالك مشرق ومغرب حقيقيين، ومشرقان ومغربان، ومشارق ومغارب لامتناهية في هذا الكون، وهو النبي الأمي الذي عاش في بيئة أمية كل ما تعرفه أن الشمس لها جهة تشرق منها وأخرى تغيب فيها، إن ورود هذه الحقائق الدقيقة بهذا البيان العذب الباهر لدليل صدق محمد ﷺ ، فكيف تكلم بهذا إلا أن يكون ذلك وحياً من الله الذي يسيِّرُ الأفلاك، ويضبط حركتها، وأنه رسوله الخاتم إلى الناس كافة، أرسله الله بقرآن معجز بلفظه ونظمه ومعناه، متحدياً الخلق أجمع أن يأتوا بسورة من مثله.

---

(1) ينظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي، ج8/ 5085- 5086.

(2) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مناهج جامعة المدينة، ص274- 275.

المبحث الثالث

آيات علمية قرآنية حول النجوم، ودلالتها على صدق الوحي والنبوة.

إن صفحة السماء المرصعة بالنجوم، والتي تتزين بجمال صنعة الخالق سبحانه، لتشتمل على الكثير من الآيات الكونية التي تشهد بصدق من أوحي إليه هذا القرآن، وتنطق بلسان العلم الحديث بأن القرآن الكريم هو من لدن حكيم خبير، وسنفصل القول في هذه الأدلة العلمية من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول:

مواقع النجوم

قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: 75، 76]

أولاً: التفسير الإجمالي للآية:

أقسم تعالى بمواقع النجوم[1] منازلها وأماكن دورانها في أفلاكها، "وهذا القسم لو كنتم من أهل العلم لعلمتم عظمته، ولآمنتم وانتفعتم به؛ لأن النجوم ومنازلها ومطالعها ومساقطها ومغاربها التي تغرب فيها أمور عظيمة في خلقها وتدبيرها مما يدل على عظيم القدرة، وكمال الحكمة، وفرط الرحمة" [2].

ثانياً: حقائق علمية حول مواقع النجوم:

أثبت العلم الحديث أن النجوم التي نشاهدها في السماء ليست النجوم نفسها، ولكنها مواقع النجوم، التي كانت فيها قبل سنوات عديدة؛ لأن النجم يكون قد انتقل إلى موقع آخر، فالذي نبصره هو ضوء النجم الذي وصل إلينا من الموقع الذي كان فيه قبل سنوات عديدة [3].

---

(1) "عن مجاهد، قوله:﴿ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ قال في السماء، ويقال مطالعها ومساقطها". تفسير جامع البيان، الطبري، ج23/148. وهذا التفسير أخرجه الطبري بسند صحيح، ينظر: الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، ج4/ 439.

(2) صفوة التفاسير، الصابوني، ج3/ 296.

(3) الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، د. سمير عبد الحليم، ص17.بتصرف يسير.

ثالثاً: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

سبق القرآن العلم الحديث بإشارته إلى حقيقة من أدق حقائق علم الفلك، وهي أن الإنسان على هذه الأرض لا يرى النجوم أبداً، بل يرى موقعاً وهمياً للنجم غير الموقع الذي انشق منه ضوءه، وذلك بالنظر لانحناء الضوء في صفحة السماء، فإن النجوم تبدو لنا في مواقع ظاهرية غير مواقعها الحقيقية، وقد أثبتت الدراسات الفلكية الحديثة أن نجوماً قديمة قد خبت أو تلاشت منذ أزمنة بعيدة، والضوء الذي انبثق منها في عدد من المواقع التي مرت بها لا يزال يتلألأ في ظلمة السماء في كل ليلة من ليالي الأرض إلى اليوم الراهن، ومن هنا كان هذا القسم القرآني بمواقع النجوم، وليس بالنجوم ذاتها، على عظم قدر النجوم والتي كشف العلم عنها أنها أفران نووية كونية عجيبة يخلق الله تعالى لنا فيها كل صور المادة والطاقة التي ينبني منها هذا الكون المدرك، وقد أحصى علماء الفلك من النجوم في الجزء المدرك من السماء الدنيا أكثر من سبعين مليار تريليون نجم[1].

فمن الذي أخبر محمداً ﷺ بهذه الحقيقة الفلكية المبهرة، وكيف جاء البيان القرآني بهذا الوصف الدقيق، إلا أن يكون ذلك وحياً إلى النبي الكريم من الله الذي خلق هذه النجوم العظيمة وضبط حركتها، فبعد هذه الحقائق التي أثبتها العلم ما لنا إلا أن نقف موقنين بصدق الوحي وصدق النبي محمداً ﷺ وأنه ﷺ نبيه الخاتم.

---

(1) ينظر: السماء في القرآن الكريم، زغلول النجار، ص201-208.

المطلب الثاني:

سقوط النجم

قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى *مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى*وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى *إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: 1 – 4].

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿وَالنَّجْمِ﴾: نجم: أصل صحيح يدل على طلوع وظهور، والنجم: الثريا [1].

وفي المراد بالنجم عند المفسرين خمسة أقوال:

الأول: أنه الثُّريّا، والعرب تسمي الثريا– وهي ستة أنجُم– نجماً. وقيل هي سبعة، فستة ظاهرة، وواحد خفي.

الثاني: الرُّجوم من النُّجوم، يعني ما يرمى به الشياطين.

الثالث: القرآن لنزوله نجوماً متفرِّقة.

الرابع: كل نجوم السماء.

الخامس: الزُّهَرةُ[2].

واختار الإمام الرازي أنها النجوم التي هي في السماء لأنها أظهر عند السامع، بدلالة قوله:﴿ إِذَا هَوَى﴾ ، ثم بعد ذلك القرآن، ثم الثريا[3].

﴿ هَوَى ﴾: خرّ وسقط ؛ فقوله تعالى:﴿ إِذَا هَوَى﴾ إذا سقط[4] ، يقال: هوى يهوي هويا أي سقط إلى أسفل، والهوي النزول والسقوط [5].

ويرى ابن عطية أن النَّجْمِ هنا اسم جنس، والمقصود به النجوم إذا هوت، ويكون معنى هَوى:

1– عند جمهور المفسرين: هَوى إلى الغروب.

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج5/ 396.

(2) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ج4/ 183.

(3) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج28/ 233.

(4) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج ج5/ 69، التفسير الحديث، محمد عزة دروزة، ج2/ 75.

(5) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج17/ 83.

2- هَوى عند الانكدار في القيامة.

3- هوى في الانقضاض رجوماً للشياطين.

ويرى كذلك أن التأويلات في هَوى محتملة، وكلها قوية [1].

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

أقسم تعالى بالثريا أو بجنس النجوم إذا غربت أو انتثرت يوم القيامة، على أن محمداً ﷺ مهتدٍ راشدٌ، وليس كما تزعمون من نسبتكم إياه إلى الضلال والغي، وما أتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه، بل هو وحي من عند الله يوحى إليه، لا نطقاً عن الهوى[2].

ثانياً: حقائق علمية حول سقوط النجوم:

إن النجم إذا استنفذ وقوده؛ يعد غير قادر على إنتاج الضوء والحرارة، وبالتالي يبدأ بالسقوط على نفسه باتجاه مركزه، ويؤكد العلماء إن أفضل وصف لحالة هذا النجم هي أن نقول إنه يتهاوى على نفسه وتسقط مادته باتجاه المركز، حيث إن مركز النجم هو مركز الجاذبية فيه، وبالتالي تتسارع مادة النجم باتجاه مركزه، ويعد العلماء هذه العملية بمثابة سقوط لمادة النجم باتجاه مركز جاذبيته [3].

ثالثاً: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

يقول الله سبحانه: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى *مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى*وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى *إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [النجم: 1- 4] وفي هذه الآيات قسم رباني في معرض التوكيد بأن النبي ﷺ لم يذهل ولم ينحرف عن الحق والصدق، ولم ينطق بما نطق كذباً أو شفاء لهوى النفس وخيلائها، وبأن ما أخبر به هو وحي أوحي إليه، وقد أبلغه إياه رسول رباني قوي صادق[4].

فعندما تستهلك طاقه النجم ينفجر، لكن كيف؟ ليس كالانفجار العادي، تبدأ الكتل الغازية المحيطة بهذا المركز الحديدي تنهار على المركز الحديدي، فتهوي إلى الأسفل في اتجاه مركز النجم إذ قال هنا والنجم إذا هوى إلى أسفل فالانفجار العادي يؤدي إلى بعثرة المادة، أما

---

(1) ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج5/ 195.

(2) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ج3/ 389.

(3) ينظر: (والنجم إذا هوى)، عبد الدايم الكحيل، موسوعة الكحيل باختصار(موقع إلكتروني).

(4) ينظر: التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، ج2/ 76.

انفجار النجوم فإنها تهوي، وإلى يومنا هذا تستخدم الكتب العلمية كلمات انفجار النجوم، أو موت النجوم لكن كلام الخالق أدق في وصفه، فقال سبحانه: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾.

وهذه لفتة علمية رائعة تبين لكل ذي بصيره بأن القرآن الكريم لم يكن صناعة بشرية بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم رسله ﷺ بنفس لغة وحيه اللغة العربية، حتى يبقى إلى آخر الكون شاهداً لكل العقلاء أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، ولا يمكن أن يكون صناعة بشرية لدقته الفائقة في كل إشارة من إشاراته العلمية والتي كشف عنها العلم بعد قرون متطاولة[1].

فلو سأل سائل هل درس محمد ﷺ علم الفلك والمجرات؟ وهل كانت عنده أجهزة دقيقة حتى يستطيع الكشف بها عن ماهية تهاوي النجوم وسقوطها؟ بالطبع لا، فكيف استطاع أن يشير إلى سقوط النجم قبل قرون بعيدة جداً، من وصول العلماء إلى هذه الحقائق الثابتة؟ وبعبارة هي أدق من تسمية العلماء لها!

وإجابة كل منصف أن الذي أخبره بهذا هو من خلق هذه النجوم العظيمة وقدر حياتها، إذن ما جاء به من القرآن هو كلام الله حقاً، ولكن كيف أخبره؟ إنه الوحي، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52] ، وعليه فهو ﷺ رسول الله الخاتم إلى خلقه حقاً ويقيناً.

(1) ينظر: تفسير سورة النجم، د. زغلول النجار. (موقع إلكتروني).

المطلب الثالث:

المطارق الكونية

قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ [الطارق: 1 - 3]

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿ الطَّارِقِ ﴾: من طرق، والمعنى اللغوي للكلمة يرجع إلى أصول أربعة:

الأول: الإتيان مساءً.

الثاني: الضرب.

الثالث: جنس من استرخاء الشيء.

الرابع: خصف شيء على شيء [1]، والطارق النجم؛ فهو طارق إذا جاء ليلاً [2].

﴿ الثَّاقِبُ﴾: والثاقب في قوله تعالى: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ [الطارق: 3] قالوا: هو نجم ينفذ السماوات كلها نوره، من ثقب بمعنى أن ينفذ الشيء [3].

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

هذا قسم إلهي حيث أقسم تعالى بالسماء والطارق وأراد طارقاً معييناً، فخم من شأنه بالاستفهام عنه الدال على تهويله لما كان لفظ الطارق يشمل كل طارق آت بليل، ثم بينه بقوله ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ وكل نجم هو ثاقب للظلام بضوئه [4].

ثالثاً: حقائق علمية حول المطارق الكونية:

1- حديثاً ظهر ما يسمى بالنجوم (النيوترونية)، ففي عام1967م رصد العلماء موجات راديوية كهرطيسية من خلال بعض التلسكوبات الراديوية الموجودة لديهم، لقد التقطت إشعاعات لنجوم مجهولة، ومن ثم تبين أنها عبارة عن نجوم تبث هذه الأمواج الراديوية بصورة دقيقة ومنتظمة.

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج3/ 449.

(2) ينظر: مختار الصحاح، زين الدين الرازي، ص 189.

(3) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج 1/ 382.

(4) ينظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج5/ 553.

2- وبعدما قام العلماء بدراسة هذه النجوم دراسة دقيقة على مدى أكثر من ثلاثين عاماً وجدوا بأن هذه النجوم أكبر من الشمس بعدة أضعاف، وتتشكل نتيجة انفجار النجوم، فعندما ينفجر هذا النجم ويتهاوى على نفسه فإن مادته تتحول إلى نيوترونات.

3- يبدأ هذا النجم بالدوران حول نفسه بشكل هائل، فيدور مئات الدورات في الثانية مما يولد حوله مجالاً كهرطيسياً قوياً جداً، هذا المجال يولد أيضاً صوتاً يشبه صوت المطرقة، لذلك فإن العلماء وجدوا أن أفضل تسمية لهذه النجوم هي المطارق العملاقة0

4- كما يؤكدون أن هذه النجوم تبث إشعاعات هي الألمع من نوعها، فهي تطلق أشعة تبهر الأبصار.

5- هذه النجوم تصدر موجات أسموها موجات جذبية، تشبه موجات الجاذبية الأرضية، ولكن أقوى بملايين المرات، تثقب وتخترق أي شيء تصادفه.

6- تصدر هذه النجوم أشعة كونية من مادة اسمها النيوترينو، وهي جسيمات صغيرة جداً لا شحنة لها، وتصل إلى الأرض، وتخترق الغلاف الجوي، وتخترق أجسامنا، وتخترق الأرض بالكامل[1].

ثالثاً: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

"يرى الدكتور زغلول النجار أن الوصف القرآني "بالطارق النجم الثاقب" ينطبق على مصادر الإشعاع الراديوي المميز بالسماء الدنيا ومن أهمها: النجوم النيوترونية شديدة التضاغط والمعروفة باسم النجوم النابضة أو النابضات أو النوابض.

وإن في سبق القرآن الكريم بالإشارة إلى تلك المراحل من حياة النجوم والتي لم يعرفها الإنسان إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين لهو من الشهادات الناطقة بربانية القرآن الكريم وبنبوة خاتم المرسلين ﷺ "[2].

---

(1) موسوعة الكحيل، عبد الدايم الكحيل، ج48/15-69. بتصرف.

(2) المعجزة الخالدة، الصلابي، ص83.

المطلب الرابع:

الجوار الكنس

قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ [التكوير: 15 – 17].

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿ بِالْخُنَّسِ ﴾: الكواكب كلها، لإنها تخنس في المغيب أو لأنها تخفى بالنهار، ويقال: أنها الكواكب السيارة، أو التي تخنس في مجراها وتكنس، أي تستتر كما تكنس الظباء في المغار[1].

وللمفسرين في معنى قوله سبحانه: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: النجوم [2] التي تخنس بالنهار.

الثاني: الأنجم الخمسة وهي: زحل وعطارد والمشتري والمريخ والزهرة ، وفي تخصيصها بالذكر وجهان:

1- لأنها لا تستقبل الشمس.

2- لأنها تقطع المجرة.

الثالث: أنها بقر الوحش.

الرابع: الظباء.

الخامس: الملائكة لأنها لا تُرى.

﴿ الْجَوَارِ﴾ أي السيارات [3].

﴿ الْكُنَّسِ﴾: أصلها من(كنس) والمعنى اللغوي يرجع إلى أصلين هما:

---

(1) ينظر: الصحاح، الجوهري، ج3/ 925.

(2) ينظر: "أخرج الطبري بسنده الصحيح عن علي بن أبي طالب ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ قال: هي النجوم، تخنس بالنهار، وتكنس بالليل. وأخرج الطبري بسنده الحسن عن قتادة: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ قال: هي النجوم تبدو بالليل: تخنس بالنهار" الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ. د. حكمت ياسين ج4/ 599.

(3) ينظر: أنوار التنزيل، البيضاوي، ج5/ 290.

الأول: سفر شيء عن وجه شيء، وهو كشفه، ومنه: كنس البيت، وهو سفر التراب عن وجه أرضه، والمكنسة: آلة الكنس، والكناسة: ما يكنس.

الثاني: يدل على استخفاء، فالكناس: بيت الظبي، والكانس: الظبي يدخل كناسه[1]، والكنس جمع لكانس وكانسة [2].

أولاً: التفسير الإجمالي للآية:

"فلا أقسم بالخنس، الجوار الكنس أي أقسم بجميع الكواكب التي تخنس أي تختفي بالنهار تحت ضوء الشمس، والتي تجري في أفلاكها، وتكنس بالليل، أي تظهر بالليل في أماكنها، كما تظهر الظباء من كنسها، أي بيوتها، وهي جمع كناس: وهو الذي يختفي فيه الوحش. وقوله: فلا أقسم يراد بها القسم في أسلوب العرب، ويراد بها تأكيد الخبر، كأنه في ثبوته وظهوره لا يحتاج إلى قسم؛ وإنما أقسم سبحانه بهذه الكواكب، لما في تبدل أحوالها من الظهور والخفاء من الدلالة على قدرة مبدعها ومصرفها.

ويرى الجمهور: أن المراد بها الكواكب السيارة كلها، ويرى بعضهم أنها ما عدا الشمس والقمر "[3].

وقد فسر الدكتور: زغلول النجار: قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ [التكوير: 15 – 17]: بأنه ينطبق انطباقاً كاملاً مع حقيقة كونية مبهرة تمثل مرحلة من مراحل حياة النجوم، يسميها علماء الفلك باسم الثقوب السوداء، وهذه الحقيقة اكتشفها العلم حديثاً في أواخر القرن العشرين[4].

ثانياً: حقائق علمية حول الثقوب السوداء:

يعرف الثقب الأسود بأنه أحد أجرام السماء التي تتميز بكثافتها الفائقة وجاذبيتها الشديدة بحيث لا يمكن للمادة ولا لمختلف صور الطاقة "ومنها الضوء" أن تفلت من أسرها ويحد الثقب

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج5/ 141.

(2) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج6/ 198.

(3) التفسير المنير، الزحيلي، ج30/ 88- 89.

(4) ينظر: المعجزة الخالدة ، د. علي الصلابي، ص83.

الأسود سطح يعرف باسم أفق الحدث، وكل ما يسقط داخل هذا الأفق لا يمكنه الخروج منه، أو إرسال أية إشارة عبر حدوده، وقد أفادت الحسابات النظرية في الثلث الأول من القرن العشرين إلى إمكانية وجود مثل هذه الأجرام السماوية ذات الكثافة الفائقة والجاذبية الشديدة إلا أنها لم تكتشف إلا في سنة 1971م، بعد اكتشاف النجوم النيوترونية بأربع سنوات.

ففي سنة 1971م اكتشف علماء الفلك أن بعض النجوم العادية تصدر وابلاً من الأشعة السينية، ولم يجدوا تفسيراً عملياً لذلك إلا وقوعها تحت تأثير أجرام سماوية غير مرئية ذات كثافات خارقة للعادة ومجالات جاذبية عالية الشدة، وذلك لأن النجوم العادية ليس في مقدورها إصدار الأشعة السينية من ذاتها.

وقد سميت تلك النجوم الخفية باسم الثقوب السود لقدرتها الفائقة على ابتلاع كل ما تمر به أو يدخل في نطاق جاذبيتها من مختلف صور المادة والطاقة من مثل الغبار والغازات الكونيين، والأجرام السماوية المختلفة ووصفت بالسواد لأنها معتمة تماماً لعدم قدرة الضوء على الافلات من مجال جاذبيتها على الرغم من سرعته الفائقة المقدرة بحوالي الثلاثمائة ألف كلم/ الثانية "299792,458كلم/ث".

وقد اعتبرت الثقوب السود مرحلة الشيخوخة في حياة النجوم العملاقة وهي المرحلة التي قد تسبق انفجارها وعودة مادتها إلى دخان السماء دون أن يستطيع العلماء حتى هذه اللحظة معرفة كيفية حدوث ذلك [1].

ثالثاً: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

فسبحان الذي خلق النجوم وقدر لها مراحل حياتها ... وسبحان الذي أوصلها إلى مرحلة الثقب الأسود، وجعله من أسرار الكون المبهرة.. وسبحان الذي أقسم بتلك النجوم المستترة، الحالكة السواد، الغارقة بالظلمة، وجعل لها من الظواهر ما يعين الإنسان على إدراك وجودها على الرغم من تسترها واختفائها، وسبحان الذي مكنها من كنس مادة السماء وابتلاعها وتكديسها، ثم وصفها القرآن المعجز فقال سبحانه : ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ**﴾ [التكوير: 15 - 17].ولا أجد وصفاً لتلك المرحلة من حياة النجوم المعروفة باسم الثقوب السود أبلغ من وصف الخالق سبحانه لها بالخنس الكنس، فهي خانسة أي دائمة الاختفاء والاستتار

(1) ينظر: السماء في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، ص215- 231.

بذاته،ا وهي كانسة لصفحة السماء، تبتلع كل ما تمر به من المادة المنتشرة بين النجوم، وكل ما يدخل في نطاق جاذبيتها من أجرام السماء، وهي جارية في أفلاكها المحددة لها، فهي خنس جوار كنس، وهو تعبير أبلغ بكثير من تعبير الثقوب السود الذي اشتهر وذاع بين المشتغلين بعلم الفلك ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: 87].

ومن العجيب أن العلماء الغربيين يسمون هذه الثقوب السود تسمية مجازية عجيبة تنطبق انطباقاً دقيقاً على الوصف القرآني "الخنس الجواري الكنس" كما فصلناه آنفاً، وذلك حين يسمونها بالمكانس الشافطة العملاقة التي تبتلع أو تشفط كل شيء يقترب منها إلى داخلها(1)..

ومن المبهر حقاً أن يشهد علماء الفلك اليوم 90% من مادة الكون المنظور . ممثلة بمادة المجرات العادية . هي مواد خفية لا يمكن للإنسان رؤيتها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ولكن يمكن تقديرها حسابياً فقط، وأن من هذه المواد الخفية : الثقوب السود، والمادة الداكنة، واللبنات الأولية للمادة وغيرها، وأن كتلة المدرك من الكون تقدر حسابياً بأكثر من مائة ضعف الكتلة الظاهرة، فسبحان الذي أنزل في محكم كتابه قبل ألف وأربعمائة سنة قوله الحق ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ *وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الحاقة: 38، 39].

وسبحان الذي وصف لنا " الثقوب السود" بوصفه الرباني ﴿بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ وهو وصف يفوق التسمية العلمية لها باسم الثقوب السود دقة وشمولاً وإحاطة، ويشهد لمنزله في محكم كتابه بالألوهية والربوبية والوحدانية المطلقة، كما يشهد للقرآن الكريم بأنه كلام الله الخالق الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: 42] (2).

كما يشهد لمحمد بأنه نبي الله الذي يأتيه الوحي من السماء فلا يزيد عليه، ولا ينقص منه، وقد صدق الله في وصفه له فقال: ولو تقول ..حاجزين إنه دليل على صدق النبوة، كما أنه دليل على صدق الوحي، وبأن القرآن كلام الله حقاً ويقيناً، لا ريب في ذلك.

---

(1) ينظر: السماء في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، ص215- 231.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص227- 231.

المبحث الرابع

آيات علمية قرآنية حول الرياح والسحاب ودلالتها على صدق الوحي والنبوة.

سنتحدث في هذا المبحث في الأدلة العلمية لآياتٍ كونيةٍ حول الرياح والسحاب ودلالتها على على صدق الوحي والنبوة من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول:

الرياح لواقح

قال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ [الحجر: 22].

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿ لَوَاقِحَ ﴾:المعنى اللغوي يدل على إحبال ذكر لأنثى، ثم يقاس عليه ما يشبه، مثل لقاح النعم والشجر، ورياح لواقح: تلقح السحاب بالماء، وتلقح الشجر [1].

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

"لقد سخر الله تعالى رياح الرحمة تلقح السحاب، كما يلقح الذكر الأنثى، فينشأ عن ذلك الماء بإذن الله، فيسقيه الله العباد ومواشيهم وأرضهم، ويبقى في الأرض مدخراً لحاجاتهم وضروراتهم، فالله تعالى بقدرته يخزنه لكم رحمة بكم وإحسانا إليكم، ويسلكه ينابيع في الأرض، فلا قدرة لكم على خزنه وادخاره" [2].

ثالثاً: حقائق علمية حول الرياح اللواقح:

تلعب الرياح دورًا هاماً في عملية نقل اللقاح في النبات التي تفتقد الأزهار ذات الرائحة والرحيق والألوان الجاذبية للحشرات حيث تقوم الرياح بنشر اللقاح على مسافات واسعة، ففي قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ إشارته إلى أن الرياح تقوم بعملية التلقيح الريحي للنبات؛

(1) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج5/ 261.

(2) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص430.

فقال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ وهذا ما كشف عنه علماء النبات في القرون الأخيرة[1].

وإن أنعمنا النظر في الآية الكريمة سنجد أنها تحمل دلالة على نوعٍ آخر من التلقيح، وهو تلقيح السُحب، ويظهر ذلك جلياً في قوله تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ حيثُ نجد فيها ربطاً صريحاً بين الرياح اللواقح وإنزال المطر من السماء.

العلوم الحديثة تُفصل عملية تلقيح السُحب:

إن الرياح تلعب دوراً رئيسياً بعملية إسقاط المطر من خلال تلقيح السُحب. وقد قسم العلماء عملية التلقيح إلى ثلاثة أنواع:

النوع الاول: تلقيح السحب الحارة بالسحب الباردة، مما يزيد عملية التكاثف وبالتالي بمشيئة الله تسقط الأمطار.

النوع الثاني: تلقيح السحب موجبة الشحنة بالسحب سالبة الشحنة، وهو ما يحدث تفريغاً وشرراً كهربياً، فيكون المطر مصحوباً بالبرق ما يُحدث البرق والصواعق الرعدية .

النوع الثالث: وهو من أهم أنواع التلقيح، وذلك من خلال أنوية التكاثف التي تحملها الرياح التي تُلقح بها السُحب كالشوائب والجسيمات الدقيقة وحبات الغبار التي تحملها الرياح والتي تجتمع حولها جزيئات بخار الماء مُكونة نقطاً من الماء نامية داخل السحب، هي المكونات الأولى من المطر تحملها الرياح إلى مناطق إثارة السحب، وقوام هذه النويات هو أملاح البحار، وما تذروه الرياح من سطح الأرض، والأكاسيد والأتربة كلها لازمة للإمطار، أي أن الرياح عامل أساسي في تكوين السحب، وتلقيحها ونزول المطر.

والسحاب نوعان: نوع ممطر، ونوع غير ممطر، والفرق بين السحابة التي تمطر والتي لا تمطر هو: أن الأولى لها مدد مستمر من بخار الماء، ونوى التكاثف بواسطة الرياح أو الهواء الصاعد، أما الثانية فليس لها أي مدد؛ ومن هنا تكون (الفاء) في قوله تعالى ﴿ ..**فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ..**﴾ هي فاء السببية، أي نجم عن هذا التلقيح نزول المطر[2].

---

(1) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، جامعة المدينة، ص312.

(2) ينظر: الموسوعة الميسرة، شحاته صقر، ص424-425.

أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

نحن أمام حقيقة علمية كشف عنها القرآن الكريم قبل أكثر من 1400 عام، وها هي العلوم الحديثة أتت لتتبع كتاب الله عز وجل، وتُثبت للعالم أجمع صدق ما جاء به نبي الله ﷺ.

"أشار القرآن الكريم إلى وظيفة هامة تقوم بها الرياح، هذه الوظيفة هي عملية التلقيح، يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ فتقوم الرياح بالتلقيح الريحي للنباتات، وكشف العلم عن نوع آخر من التلقيح هو تلقيح السحاب، فالرياح بمشيئة الله تعالى تثير السحاب بتزويد الماء بالرطوبة اللازمة، وإن إرسال الرياح بنوى التكثف المختلفة يعين بخار الماء الذي بالسحاب على التكثف، كما يعين قطرات الماء المتكثفة في السحاب على مزيد من النمو حتى تصل إلى الكتلة التي تسمح لها بالنزول مطراً أو ثلجاً أو برداً بإذن الله تعالى إلى حيث يشاء.

وهذه حقائق لم يدركها الإنسان إلا في أوائل القرن العشرين، وورودها في كتاب الله بهذه الدقة والوضوح والكمال العلمي مما يقطع بأن مصدرها الرئيسي هو الله الخالق العليم ، ويجزم بأن القرآن الكريم هو كلامه ، كما يجزم بالنبوة والرسالة لهذا الرسول الخاتم ، فلم يكن لأحد من الخلق أدنى إلمام بدور الرياح في حمل دقائق المادة إلى السحاب حتى تعين على تكثف هذا البخار ، فينزل بإرادة الله مطراً في زمن تنزل الوحي ولا لقرون متطاولة من بعده"[(1)].

وفي كل مرة نجد أن العلم الحديث بحقائقه جاء متوافقاً مع الإشارات القرآنية الكونية بدقة متناهية، مما يدل بما لا مجال للشك فيه أن القرآن كلام الله الخالد وأن محمداً ﷺ عبده ورسوله جاء بالصدق من عند الله، لتقام الحجة على الخلق أجمعين بهذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يده ولا من خلفه قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ .

لقد ظهر الحق بأن القرآن الكريم كلام الله سبحانه، وأن محمداً ﷺ هو رسول الله الموحى إليه من ربه عز وجل، وهذا هو دليل صدق الوحي والنبوة، والحمد لله على وضوح الأمر وجلائه.

---

(1) ينظر: الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي، جمع وترتيب: شحاته صقر، ص425-426.

المطلب الثاني:

السحاب الركامي

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [سورة النور:43].

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿يُزْجِي﴾ يدفع الشيء برفق، والريح تزجي السحاب، بمعنى تسوقه[1].

﴿يُؤَلِّفُ﴾ الأصل اللغوي للكلمة يدل على انضمام الشيء إلى الشيء، والأشياء الكثيرة أيضاً، والمُؤَلَّف: ما جمع من أجزاء مختلفة، ورتّب ترتيباً قدّم فيه ما حقه أن يقدّم، وأخّر فيه ما حقّه أن يؤخّر[2].

﴿رُكَامًا﴾ ركم: ركم الشيء يركمه إذا جمعه وألقى بعضه على بعض، وارتكم الشيء وتراكم إذا اجتمع، والركم: جمعك شيئاً فوق شيء حتى تجعله ركاماً مركوماً؛ كركام الرمل والسحاب، وفي التنزيل العزيز: ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ يعني السحاب، والركام: السحاب المتراكم بعضه فوق بعض[3].

﴿الْوَدْقَ﴾ ودق يدق ودقاً أي قطر، ودق إلى الشيء: دنا، وودق به: أنس، والودق: المطر كله شديده وهينه، لأنه يدق، أي يجيء من السماء [4]. و قيل: ما يكون من خلال المطر كأنه غبار، وقد يعبّر به عن المطر، قال تعالى: ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ [5].

﴿سَنَا بَرْقِهِ﴾ السَّنَا: الضّوء الساطع، والسنا ضوء النار والبرق، وقد أسنى البرق إذا دخل سناه عليك بيتك أو وقع على الأرض أو طار في السحاب، والسنا: سنا البرق.

---

(1) ينظر: الصحاح، الجوهري، ج6/ 2367- 2367.

(2) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص81، مقاييس اللغة، ابن فارس، ج1/ 131.

(3) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج251/12.

(4) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج6/ 96، لسان العرب، ابن منظور، ج10/ 372- 373.

(5) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص861.

وفي التنزيل العزيز: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [1] .

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

"انظر أيها الرسول الكريم إلى السحاب، ويسوقه الله بقدرته أول ما ينشئه، ثم يجمع بين ما تفرق من أجزائه ثم يجعل بعضه متراكما فوق بعض، فينزل المطر من فتوقه، وحينا ينزل منه قطعا كبيرة من البرد كأنها الجبال، فيصيب بما ينزل منه من يشاء من عباده، فيناله الخير والنفع العميم أو الضرر الشديد إذا كان فوق الحاجة، ويصرفه عمن يشاء أن يصرفه، وإلى ما فى هذا السحاب من برق يضيء بشدة وسرعة حتى ليكاد يخطف الأبصار، وهذا من أقوى الدلائل على كمال القدرة، إذ فيه توليد الضد من الضد، ففيه توليد النار من الماء.

وانظر أيضا إلى اختلاف الليل والنهار وتقلبهما بزيادة أحدهما ونقص الآخر، وإلى تغير أحوالهما بالحرارة والبرودة، إن فى هذا لعبرة لمن اعتبر، وعظة لمن تأمل فيه ممن له عقل، فهو واضح الدلالة على أن له مدبرا ومقلّبا لا يشبهه شيء [2]".

ثالثاً: حقائق علمية حول السحاب الركامي:

بتطور علم الأرصاد الجوية، واستخدام الأجهزة الحديثة، كالرادارات والطائرات والأقمار الصناعية، وبمساعدة الحاسبات الإلكترونية، استطاع علماء الأرصاد دراسة تفاصيل دقيقة عن مكونات السحب وتطورها، والسحاب الركامي هو ضمن ما درسه علماء الأرصاد، واهتموا به ويتميز هذا النوع بسمك كبير، وقد يصل إلى أكثر من (15كم) ويشبه الجبال، وهو النوع الوحيد الذي قد يصاحبه برد وبرق ورعد[3].

السحاب الركامى في علم الأرصاد:

1- **بداية التكوين:** يبدأ تكون السحاب الركامي بأن تسوق الرياح قطعاً من السحب الصغيرة إلى مناطق تجميع، يؤدى سوق قطع السحاب لزيادة كمية بخار الماء في مسارها، وهذا السوق ضروري لتطور السحب الركامية في مناطق التجمع .

---

(1) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج403/14.

(2) تفسير المراغي، المراغي، ج117/18.

(3) ينظر: "السحاب" في القرآن الكريم، د.علي محمد محمد الصلابي، (موقع إلكتروني)

2- **التجميع:** من المعلوم أن سرعة السحب تكون أبطأ من سرعة الرياح المسيرة لها، وكلما كبر حجم السحابة كانت سرعتها أبطأ، وذلك بسبب تأثير قوى الإعاقة، كذلك تقل سرعة الرياح عامة كلما اتجهنا إلى مناطق التجمع، وعلى ذلك يؤدى العاملان السابق ذكرهما إلى أن قطع السحب تقترب من بعضها، ثم تتلاحم.

3- **الركم:** إذا التحمت سحابتان أو أكثر فإن تيار الهواء الصاعد داخل السحابة يزداد بصفة عامة، ويؤدى ذلك إلى جلب مزيد من بخار الماء، من أسفل قاعدة السحابة، والذي بدوره يزيد من الطاقة الكامنة للتكثف، والتي تعمل على زيادة سرعة التيار الهوائي الصاعد دافعاً بمكونات السحابة إلى ارتفاعات أعلي، وتكون هذه التيارات أقوى ما يمكن في وسط السحابة، وتقل على الأطراف مما يؤدى إلى ركم هذه المكونات على جانبي السحابة، فتظهر كالنافورة أو البركان الثائر، الذي تتراكم حممه على الجوانب .

وإجمالاً فإن تجميع قطع السحب يؤدى إلى زيادة ركمه وبالتالي إلى زيادة سمكه التي تدل على قوة هذا السحاب من ناحية أمطاره ورعده وبرقه، وهناك سحاب ركامي يصل إلى ارتفاعات شاهقة ويشتمل على قطرات ماء في القاعدة، وخليط من ماء شديد البرودة وحبات برد في الوسط، أما القمة فتسودها بلورات الثلج، وهذا السحاب هو الذي تكون زخاته من الماء أو البرد أو كليهما، ويحدث به برق ورعد وهو السحاب الركامى المزنى الذي يكون في شكل الجبال[1].

4- الظواهر الجوية المصاحبة: الهطول (زخات من المطر أو البرد أو كليهما):

تتحرك السحب الركامية إلى ما شاء الله لها وعامل الركم والبناء مستمر طالما كانت تيارات الهواء الصاعدة قادرة على حمل مكونات السحاب من قطرات ماء، أو حبات برد وعندما تصبح الرياح الرأسية غير قادرة على حمل هذه المكونات تتوقف عملية الركم وتبدأ مكونات السحاب في الهبوط مباشرة إلى أسفل كمطر من ماء أو برد أو كليهما.

وفي هذه المنطقة تكون هناك قطرات من ماء شديد البرودة، وذلك لعدم كفاية نويات التثلج وهذه القطرات غير مستقرة بمعنى أنها تتجمد فور اصطدامها بأي جسم آخر، وفي حالة وجود تيار هوائي شديد صاعد داخل السحاب الركامى ونتيجة اختلاف سرعات القطرات شديدة

(1) ينظر: الإعجاز القرآني في وصف السحاب الركامي، الشيخ عبد المجيد بن عزيز الزنداني، ود. محمد أيمن عبد الله، وآخرون ، (موقع إلكتروني)

البردة تحدث تصادمات ينتج عنها تحول قطرات الماء شديدة البرودة إلى ثلج، يغطى حبات البرد، فتكبر وتستمر في الكبر حتى يثقل وزنها، ولا يستطيع التيار الرأسي حملها فتهبط برداً، والظواهر المخبرية والمشاهدات الميدانية قد أقامت الدليل على أن البرد قد يكون سبباً في تولد البرق، وهذا ما قرره القرآن الكريم قبل 1400عام[1] ، ففي عام 1985م قُدّم لأول مرة مؤتمر دولي أن البرد هو السبب الحقيقي لتكوين البرق، فعندما يتحول البرد من سائل إلى جسم صلب تتكون الشحنات الكهربائية الموجبة والسالبة وعندما تدور حبة البرد توزع الشحنات الموجبة والشحنات السالبة عندما يستمر الدوران تقوم بعملية التوصيل، فالبرق من البرد[2].

ثالثاً: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

الآية الكريمة تصف ترتيب مراحل تكوين السحاب الركامي خطوة خطوة، مشيرة إلى التدرج الزمني؛ فمن أخبر محمداً ﷺ بأن أول خطوة في تكوين السحاب الركامي وصفًا دقيقًا، تكون بدفع الهواء للسحاب قليلًا قليلًا ﴿**يُزْجِي سَحَابًا**﴾، وهذا أمر لم يعرفه العلماء إلا بعد دراسة حركة الهواء عند كل طور من أطوار نمو السحاب؟ ومَنْ بين له أن الخطوة الثانية هي التأليف بين قطع السحب؟ قوله: ﴿**ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ**﴾ ومَنْ أخبره بهذا الترتيب؟ ومن بيَّن له أن ذلك يستغرق فترة زمنية حتى يعبر عنه بلفظ ﴿**ثُمَّ**﴾؟ ومَن أخبره أن عامل الركم للسحاب الواحد هو العامل المؤثر بعد عملية التأليف؟ ومَنْأخبره أن هذا الركم يكون لنفس السحاب وأن ذلك الانتقال من حالة التأليف يستغرق بعض الوقت ﴿**ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا**﴾؟ هذه المسائل لا يعرفها إلا من درس أجزاء السحاب، ورصد حركة تيارات الهواء بداخله؛ فهل كان يملك الرسول ﷺ الأجهزة والطائرات؟ ومن الذي أخبر محمداً ﷺ أن في السحاب مناطق خلل؛ وهي التي ينزل منها المطر، وهذا أمر لا يعرفه إلا مَنْ أحاط علمًا بدقائق تركيب السحاب المسخر بين السماء والأرض وبحركة الهواء داخل السحاب؟ ومَنْ أخبر محمداً ﷺ بأن الشكل الجبلي وصف للسحاب الذي ينزل منه البرد؛ فهل أحصى الرسول ﷺ كل أنواع السحاب حتى تبين له هذا الوصف الذي لا بد منه لتكوين البرد؟ ومَنْ أنبأه عن نوبات البرد التي لا بد منها في السحاب الركامي لكي يتكون البرد؛ قال تعالى: ﴿**وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ**﴾ [النور: 43].

(1) ينظر: الإعجاز القرآني في وصف السحاب الركامي، الشيخ عبد المجيد بن عزيز الزنداني، ود. محمد أيمن عبد الله، وآخرون (موقع إلكتروني)

(2) ينظر: "السحاب" في القرآن الكريم بقلم الدكتور: علي محمد محمد الصلابي ، (موقع إلكتروني)

إن هذا السر لا يعرفه إلا مَنْ تمكن من مراقبة مراحل تكوين البرد داخل السحاب، ومن الذي أنبأه بأن للبرد برقًا، وأن البرد هو السبب في حصوله، وأنه يكون أشد أنواع البرق ضوءًا؟ إن ذلك لا يعرفه إلا مَنْ درس الشحنات الكهربائية داخل السحاب واختلاف توزيعها ودور البرد في ذلك؛ قال تعالى: ﴿**وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ**﴾ [النور: 43] (1).

(1) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مناهج جامعة المدينة، ص314- 315.

الفصل الثاني

الآيات العلمية القرآنية الأرضية ودلالتها على صدق الوحي والنبوة

المبحث الأول

آيات علمية قرآنية في الأرض وحركتها ونعمة إنزال الحديد، ودلالة ذلك على صدق الوحي والنبوة.

إنَّ في الأرض آياتُ بيناتُ، وشواهدٌ ناطقةٌ بمصدر هذا القرآن، وصدق من أرسل إليه ﷺ وسيبرز ذلك من خلال المطالب الأربعة الآتية:

المطلب الأول:

دوران الأرض

قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: 88].

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿ تَحْسَبُهَا ﴾: من حسب، والمعنى اللغوي للكلمة يرجع لأصول أربع:

1- العد، والحسبان، والظن.

2- الكفاية، تقول شيء حساب، أي كاف.

3- الحسبان، وهي جمع حسبانة، وهي الوسادة الصغيرة.

4- الأحسب: الذي ابيضت جلدته، كأنه أبرص [1].

﴿ جَامِدَةً ﴾: جمد الماء وغيره يجمد جموداً: ضد سال، وقد يراد بالجامد: ما سكن وثبت لأنه في مقابلة السائل الذي يلزمه عدم القرار، قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ أي تحسبها في رأي العين ساكنة ثابتة في أماكنها، والحال أنها تمر مر السحاب[2].

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

آية كونية في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ أي: تظنها ثابتة، وتحكم عليها بعدم الحركة؛ وليس الأمر كما تظن؛ لأنها تتحرك وتمر كما يمرّ السحاب، لكنك لا تشعر

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ج2/60- 61.

(2) ينظر: معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن، حسن عز الدين الجمل، ج1/331.

بهذه الحركة؛ فلا تتعجب، فالمسألة من صُنع الله وهندسته وبديع خَلْقه، واختار هنا من صفاته تعالى: ﴿الذي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ يعني: كل خَلْق عنده بحساب دقيق مُتقَن.

والبعض فهم الآية على أن مرَّ السحاب سيكون في الآخرة، واستدل بقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة: 5]، وقد جانبه الصواب، فالمعنى أنها ستتفتت وتتناثر، لا أنها تمر، وتسير، والأخرى أن الكلام هنا مبنيٌّ على الظن ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ وليس في القيامة ظن؛ لأنها إذا قامتْ أحداثها مُتيقنةٌ، ثم إن السحاب لا يتحرك بذاته، إنما يُحرِّكه الهواء، كذلك الجبال حركتها ليست ذاتيةٌ فيها، فحركة الجبال تابعة لحركة الأرض. ومن الأدلة أن قوله تعالى ﴿صُنْعَ الله الذي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ امتنان من الله تعالى بصنعته، و الامتنان علينا الآن ونحن في الدنيا[1].

ثالثاً: حقائق علمية حول حركة الأرض:

يوجد للأرض حركتان: واحدة حول نفسها(محورها الوهمي)، والثانية حول الشمس.

أولاً: حركة الأرض حول نفسها:

تدور الأرض حول نفسها في مدة :(23ساعة و56دقيقة و4.096ثانية)، وينتج عن حركة الأرض المحورية (أي دورانها حول نفسها) ثلاث ظواهر فلكية:

1- تعاقب الليل والنهار.

2- اختلاف التوقيت على سطح الأرض حسب شروق الشمس وغروبها.

3- نشوء القوة النابذة المركزية التي أدت إلى انتفاخ الأرض في المنطقة الاستوائية.

ثانياً: حركة الأرض حول الشمس:

الأرض تعدّ ثالث الكواكب بعداً عن الشمس، وتدور الأرض حول الشمس في مدة سنة واحدة (ثلاثمئة وستين يوماً وربع اليوم)، ويبلغ متوسط دورانها حول الشمس (30كلم/ث) [2].

رابعاً: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

ومن الآيات الدالة على دوران الأرض، آية مرور الجبال مر السحاب: وفيها يقول

---

(1) ينظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي، ج10857/17- 10860.

(2) ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي، يوسف الحاج أحمد، ص207-208.

الخالق سبحانه وتعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: 88]، ومرور الجبال مر السحاب هو كناية عن دوران الأرض حول محورها، وعن جريها وسبحها في مداراتها، وذلك لأن الجبال جزء من الأرض، ولأن الغلاف الغازي للأرض الذي يتحرك فيه السحاب مرتبط كذلك بالأرض برباط الجاذبية، وحركته منضبطة مع حركة كل من الأرض والسحاب المسخر فيه[1].

إن دوران الأرض في مدارها حول الشمس مما لم يعرفه علم الفلك حتى القرن السادس عشر الميلادي، فقد كان سائداً قبل ذلك الوقت أن الأرض ثابتة في مركز الكون، فيما وضع العالم كوبرنيكوس تصوره لكون مركزه الشمس وتدور حولها الأرض والكواكب المعروفة آنذاك، ثم جاء كبلر في القرن السابع عشر الميلادي وأثبت الحقيقة العلمية، وهي أن كل ما في الكون من نجوم وكواكب تابعة لها تدور في مسارات خاصة.

وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم فإننا نجد أن قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: 88]، فيه إشارة صريحة إلى أن الجبال تدور دوراناً سريعاً كالسحاب لكن الإنسان يراها ثابتة مستقرة.

وها هو العلم يثبت أن الأرض تدور بمن عليها من مخلوقات جامدة وحية بنفس السرعة، فلذلك نحسب أن الجبال ثابتة، بينما هي في حقيقتها تدور مع الأرض، وقد ضرب العلماء مثلاً تقريبياً لذلك فإننا إذا تصورنا قطارين انطلقا في نفس الوقت والاتجاه والسرعة، فإن الراكب في أحدهما إذا نظر إلى الركب الموازي له في القطار الآخر،يظنه جامداً لا يتحرك، وهكذا حركة الجبال مع الأرض.

فسبحان الله القائل ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ..﴾ إن هذه الآية تقرر أن جميع الأجسام التي تخضع لجاذبية الأرض مثل الجبال والبحار والغلاف الجوي..، تشترك مع الأرض في دورتها اليومية حول محورها، ودورتها السنوية حول الشمس، وبذلك يصبح نصف وجه الأرض في ظلام دامس في الليل بينما نصفها الآخر في النهار نتيجة لدوران الأرض حول نفسها، لكن هذه الدورة لا تدرك بالحس، فهي مثل حركة السحاب في الجو [2].

---

(1) ينظر: الإشارة العلمية إلى كروية الأرض في القرآن الكريم، (موقع إلكتروني)

(2) ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي، يوسف الحاج أحمد، ص208-209.

المطلب الثاني:

صدوع الأرض

قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ [الطارق: 12]

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿ الصَّدْعِ﴾: من صدع، والصدع: الشق، يقال: صدعته فانصدع هو، أي انشق[1].

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

أقسم تعالى بالأرض ذات التشقق عن النباتات والزروع المختلفة على أن القرآن الكريم قول فصل وحكم عدل في كل ما اختلف فيهن الحق والباطل، فما أخبر به وحكم فيه من أنه لا إله إلا الله وأن محمداً ﷺ رسول الله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، هو الحق الذي لا مرية فيه والصدق الذي لا كذب معه [2].

ثالثاً: حقائق علمية حول صدع الأرض:

إن صدع الأرض من أكثر الظواهر إبهاراً للعلماء، ويعتبر من أشدها لزوماً لجعل الأرض كوكباً صالحاً للحياة، فعَبْر هذه الصدوع العملاقة خرجَ كلٌ من الغلافين المائي والغازي للأرض، ولا يزالان يتجددان، وعبر النشاط الملازم لها تحركت ألواح الغلاف الصخري الأولى للأرض فتكونت الجزر البركانية، والقارات والسلاسل الجبلية، وتجددت قيعان المحيطات ولا تزال تجدد، وتزحزحت القارات ولا تزال تتحرك، وتبادلت اليابسة والمحيطات، وثارت البراكين لتخرج قدراً من الحرارة الأرضية الحبيسة في داخل الأرض، والتي كان من الممكن أن تفجرها لو لم تتواجد تلك الصدوع، وخرجت كميات هائلة من المعادن والصخور ذات القيمة الاقتصادية مع هذه الثورات البركانية، ونشطت ديناميكية الأرض وثبتت ألواح غلافها الصخري بالجبال، ولا زالت دينامكية الأرض تحرك ذلك كله بأمر الله تبارك وتعالى[3].

---

(1) ينظر: الصحاح ، الجوهري، ج1241/3.

(2) ينظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج554/5.

(3) ينظر: المعجزة الخالدة، د. علي الصلابي، ص136-137.

في صدوع الأرض أبعادٌ ثلاثة:

1- بعدٌ لا يتعدى عدة ملليمترات، أو بضعة سنتيمترات في انصداع التربة عن النبات.

2- وبعدٌ آخر في صدوع اليابسة التي تمتد الحركات الأرضية عبر مستوياتها من عشرات السنتيمترات إلى مئات الأمتار.

3- وبعدٌ في الصدوع العملاقة التي تنتشر أساساً في قيعان المحيطات، كما توجد في بعض اليابسة على هيئة أغوار سحيقة [1].

رابعاً: أدلة صدق الوحي والنبوة:

"منذ بداية القرن العشرين بدأ العلماء يلاحظون أن القشرة الأرضية مع الطبقة التي تليها، ليست قطعة واحدة، بل مقسمة إلى ألواح، وتفصل بين هذه الألواح شقوق تمتد لآلاف الكيلومترات، وبدأوا يرسمون الخرائط الخاصة بشبكة الشقوق أو الصدوع والتي توضح هذه الألواح.

ولكن الذي يثير العجب أنهم اكتشفوا صدعاً ضخماً، فقد اكتشف العلماء صدعاً يمتد لأكثر من 40 ألف كيلو متر، واسموه حلقة النار Pacific Ring of Fire، هذه الحلقة موجودة في قاع المحيط الهادئ، وتمتد على طول الساحل الغربي، لأمريكا مروراً بآلاسكا، ثم اليابان والفلبين، وأندونيسيا، ثم جزر المحيط الهادئ الجنوبية الغربية ثم نيوزيلاندا.

إن النشاط الزلزالي في هذه الحلقة ينتج عن اصطدام الألواح الأرضية بعضها ببعض، ويؤكد العلماء أن 90% من براكين العالم تتركز في هذه الحلقة، وكذلك 90% من زلازل العالم تتركز في هذه الحلقة حسب وكالة الجيولوجيا الأمريكية (USGS) إن هذه الحلقة تمثل أطول صدع في العالم، وهي من المناطق الأكثر خطورة ويعتبرها العلماء ظاهرة جيولوجية غريبة وفريدة من نوعها على سطح الأرض" [2].

فسبحان الذي وصف الأرض من قبل ألف وأربعمائة سنة بأنها ذات صدع؛ لأن هذه الشبكة من الصدوع العملاقة أو الأودية الخسيفة التي تمزق الغلاف الصخري 65- 150كيلو

---

(1) المعجزة الخالدة، د. علي الصلابي، ص134-137.بتصرف يسير.

(2) ينظر: الأرض ذات الصدع رؤية جديدة، عبد الدايم الكحيل، ، (موقع إلكتروني)

متراً وتمتد لعشرات الآلاف من الكيلومترات لتحيط بالأرض إحاطة كاملة في كل الاتجاهات، تتصل بعضها البعض، وكأنها صدع واحد..

ومن هنا كان القسم القرآني بالأرض ذات الصدع من قبل ألف وأربعمائة سنة، والعلم الكوني لم يصل إلى كشف تلك الحقيقة إلا في أواخر الستينات وأوائل السبعينات من القرن العشرين، ولم يكن لأحد في زمن الوحي ولا لقرون متطاولة من بعده إلمام بتلك الحقيقة الأرضية، أو إدراك لشيء من جوانبها، ولا يمكن لعقل أن يتصور مصدراً لها قبل ألف وأربعمائة من السنين غير الله الخالق.

وهذا السبق القرآني بالإشارة إلى تلك الحقيقة الأرضية وإلى غيرها من الحقائق الكونية، يؤكد أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، وأن هذا النبي الخاتم والرسول الخاتم الذي أوحي إليه القرآن كان دوماً موصولاً بالوحي، ومُعلَّماً من قبل خالق السموات والأرض [1].

فلا يملك أي منصف بعد هذه الحقائق البليغة إلا الإذعان بصدق هذا النبي الكريم ﷺ ، والسير على نهجه واتباع هديه، لأنه طريق الهداية والنجاة والسعادة الأبدية في الدارين، فهو المبلغ عن الخالق سبحانه؛ وهو الصادق الوعيد الأمين ﷺ .

فالقرآن إذن هو كلام الله، ومحمد ﷺ إذن هو رسول الله وهذا ما يعرف بصدق الوحي والنبوة.

---

(1) ينظر: الأرض في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، ص182.

المطلب الثالث:

أخفض منطقة على سطح الأرض

قال تعالى: ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ *فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ *بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم: 2 - 5]

أولاً: المعاني اللغوية والتفسيرية:

﴿ أَدْنَى الْأَرْضِ ﴾: الدّنوّ: القرب ذاتاً أو حكماً، ويستعمل في المكان والزّمان والمنزلة، بالذّات، أو بالحكم[1]، وأدني: هو اسم تفضيل أكثر دنواً، ويكون بمعني أقرب وبمعني أقل[2].

والدون خلاف الجيد، والأدنى: السفل، والأدْنَيانِ: وادِيانِ، والدون: الأصغر يقال: فلان دون فلان في السن، وقمت دون فلان، إذا وقيته بنفسك، ودونك هذا الشيء، إذا عرضك وأمكنك، والدون: الخسيس من الشيء[3].

ويرد الأدنى بمعنى الأصغر فيقابل بالأكبر، ويعبر به عن الأرذل فيقابل بالخير، وتارة عن الأول فيقابل بالآخر، وأخرى عن الأقرب فيقابل بالأقصى [4].

وعند الطبري ﴿ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ﴾ في طرف الشام[5]، حيث انتصر أهل فارس على الروم فِي أَدْنَى الْأَرْضِ والمقصود بها أرض الأردن وفلسطين[6].

﴿بِضْعِ﴾ "البِضع: ما بين الثَّلاثة إِلى مَا دون العشرة"[7].

---

(1) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص318.

(2) ينظر: معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن، الجمل، ج119/2.

(3) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج273/14، القاموس المحيط، الفيروزآبادى، ص1284، جمهرة اللغة، ابن دريد الأزدي، ج686/2.

(4) ينظر: تاج العروس، الزَّبيدي، ج38/ 74.

(5) ينظر: جامع البيان، الطبري، ج74/20، سنده حسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. ينظر: الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، ج78/4.

(6) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان، ج3/ 406.

(7) ينظر: تهذيب اللغة، الأزهري، ج309/1.

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

لقد غلب جيش الروم في أقرب أرضهم إلى فارس، وهم من بعد انهزامهم وغلبة فارس عليهم سيهزمون الفرس وينتصرون عليهم [1].

ثالثاً: حقائق علمية حول أخفض منطقة على سطح الأرض:

تأكد علمياً بأن منطقة أغوار وادي عربة، البحر الميت، الأردن، تحوي أخفض منطقة على سطح الأرض، وفي عصر البعثة النبوية كانت المنطقة محتلة من قبل الروم البيزنطيين، وعلى حدودها الشرقية كانت الإمبراطورية الفارسية الساسانية، وكان الصراع بين هاتين الإمبراطوريتين الكبيرتين في هذا الزمن على أشده ولابد أن كثيراً من معاركهما الحاسمة قد وقعت في أرض الأغوار [2].

رابعاً: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

هذا الكتاب الخالد معجزة الله تعالى تؤيد صدق رسوله الخاتم هذه الآيات الكريمة تشتمل على دليلين من أدلة صدق النبي ﷺ .

الدليل الأول:

"إخبار القرآن الكريم بانتصار الروم على الفرس بعد هزيمتهم الساحقة، بعد بضع سنوات، والبضع هو رقم بين الخمسة والسبعة أو بين الواحد والتسعة كما يقول علماء اللغة العربية، وقد تحقق ما وعد به القرآن الكريم بعد سبع سنوات، قبل أن تمضى تسع سنوات – وكان المشركون قد فرحوا بانتصار فارس، وقالوا للمسلمين: سنغلبكم كما غلبت فارس الروم التى هى من أهل الكتاب – قد حقَّق الله وعده، فانتصر الروم على فارس فى الأجل الذى سمَّاه، فكان ذلك آية بينة على صدق محمدﷺ (فى دعواه وصحة ما جاء به، لله الأمر والقضاء من قبل كل شئ ومن بعد كل شئ، ويوم ينتصر الروم على فارس يفرح المؤمنون بنصر الله الذى يؤيد من يشاء، وهو الغالب على أعدائه، الرحيم بأوليائه" [3]

فمن أخبر محمداً ﷺ بذلك لولا أنه وحي من عند الله نزل به جبريل على رسول اللهﷺ، فدل على صدق الوحي وصدق النبوة.

---

(1) ينظر: صفوة التفاسير، الصابوني، ج433/2.

(2) ينظر: المعجزة الخالدة، د. علي الصلابي ص95-96.

(3) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر الشريف، ص603

الدليل الثاني:

تحديد القرآن الكريم لأخفض منطقة على سطح الأرض وبين أنها قرب بيت المقدس، حيث دارت المعركة بين الفرس والروم كما جاءت الإشارة إلى ذلك في قوله تعالى ﴿**غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ**﴾ وأدنى تأتي بمعنى أقرب، وتأتي بمعنى أخفض، والمفسرون رضوان الله عليهم ذهبوا إلى معنى أدنى الأرض أي أقرب الأرض إلى جزيرة العرب، ولكن المعنى الثاني أيضاً مقصود، وهكذا القرآن الكريم اللفظ الواحد منه يحمل معاني كثيرة[1].

فما هي المنطقة على سطح الأرض والتي تتصف بهذه الصفات الثلاث؟ إنها منطقة غور البحر الميت، فهي:

1- **الأصغر:** هي الأصغر مقارنة بمساحة سطح الأرض، والتي تزيد على ملايين الكيلو مترات المربعة، ومساحة الغور صغيرة جداً لا تتجاوز الكيلو مترات المعدودة.

2- **الأقلّ:** لا يوجد في العالم كله أدنى من هذه النقطة؛ فهي المنطقة الأقل ارتفاعاً على سطح اليابسة، حيث تنخفض عن سطح البحر بما يقرب400 متراً تقريباً.

3- **الأقرب:** فهي أقرب أرض الروم إلى أرض العرب [2].

إن المتأمل في الآية القرآنية يلاحظ أنها وصفت ميدان المعركة الأولى بين الفرس والروم بأنه أدنى الأرض، وكلمة أدنى بمعنى أقرب وأخفض، فهي من جهة أقرب منطقة لشبه الجزيرة العربية، ومن جهة أخرى هي أخفض منطقة على سطح الأرض، إذ إنها تنخفض عن مستوى سطح البحر ب(392متراً)، وهي أخفض نقطة سجلتها الأقمار الاصطناعية على اليابسة، كما ذكرت الموسوعة البريطانية، وهذا تصديق للآية القرآنية الكريمة فسبحان الله القائل: ﴿**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [النمل: 93]، وهذا ما أخبر به القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً [3] .

---

(1) ينظر: إنه الحق، عبد المجيد الزنداني، ص24.

(2) ينظر: المعجزة الخالدة، د. علي الصلابي ص95-96.

(3) ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي، يوسف الحاج أحمد، ص270-271.

فنحن أمام حقيقة كونية، وأخرى تاريخية تشهد أن المعركة وقعت في أكثر مناطق العالم انخفاضاً، والتي لم تكن لتقاس في غياب تقنيات القياس الحديثة، فكيف لنبي أمي في أمة بدائية أن يأتي بوصف هذه الحقائق إلا أن يكون ذلك من الذي يعلم السر وأخفى، مما يجلى لنا أدلة جديدة على صدق الوحي والنبوة.

المطلب الرابع:

الجبال أوتاد الأرض

في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: 6، 7].

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿ أَوْتَادًا ﴾ جمع وتد وهو ما رز في الحائط أو الأرض من الخشب، وتد بمعنى ثبت، ووتدته: أثبته قال سبحانه: ﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ (1).

وعند الطبري: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ والجبال للأرض أوتاداً أن تميد بكم(2)،أي: لتسكُنَ ولا تتكفأ ولا تميل بأهلها، فيكمل كون الأرض مهاداً بسبب ذلك (3).

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

لقد جعل الله من آيات قدرته العظيمة بسط الأرض وجعلها ممهدة للاستقرار عليها والسير في أنحائها، ومن آياته العظيمة الدالة على قدرته خلقه للجبال الرواسي، وجعلها أوتاداً تثبت الأرض(4).

ثالثاً: حقائق علمية حول الجبال:

لقد أثبتت علوم الأرض حديثاً أن الجبال لها جذور عميقة جداً لتثبيت الألواح الأرضية بل والكرة الأرضية ككل، فما نراه فوق سطح الأرض من جبال ما هو إلا قمم لكتل ضخمة من الصخور مخترقة لطبقة الليثوسفير وطافية في طبقة (الأثنوسفير) (5).

"فالجبل له جذر يخترق طبقات الأرض، ويمتد تحت سطح الأرض حتى يصل إلى طبقة الغطاء السيما، وهذا الجذر يعادل من 5- 10 أضعاف ارتفاع الجبل فوق سطح الأرض؛ وبما أن طبقة القشرة حيث توجد الجبال هي طبقة صلبة وبما أن طبقة الغطاء التي تحتها هي

(1) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج444/3.

(2) ينظر: جامع البيان، الطبري، ج151/24، أخرجه الطبري بسند حسن عن قتادة، الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، ج581/4.

(3) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج31/ 8.

(4) ينظر: المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، ص877.

(5) ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي، يوسف الحاج أحمد، ص237.

طبقة لزجة في أسفلها، فلا بد بسبب دوران الأرض أن يحصل اضطراب وتزلزل وتصدع لطبقة القشرة التي ستنزلق على طبقة الغطاء، فكان لا بد من شيء يربط الطبقتين ببعضهما لكي يمنع الاهتزازات على طبقة القشرة، لذلك جعل الله عز وجل للجبال جذوراً تنزل في أعماق طبقة الغطاء، بحيث تصبح الجبال أوتاداً فكما أن الأوتاد تثبت الخيام على الأرض، فكذلك الجبال تثبت القارات على الأرض وتمنعها من التحرك"[1].

رابعاً: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

اكتشف علم الجيولوجيا شيئا فشيئا أن القشرة الأرضية عبارة عن قطع متجاورات سميت بالألواح أو الصفائح القارية، وأن الجبال الضخمة تطفو على بحر من الصخور المرنة الأكثر كثافة تقع دونها، وأن للجبال جذوراً تساعدها على الطفو، وتثبيت تلك الألواح حتى لا تميد وتضطرب وحقيقة الألواح الأرضية التي تأيدت عام 1969 تبيّن أن الجبال تقوم بحفظ توازن كل لوح من ألواح القشرة الأرضية.

وقد نشر على موقع هيئة المساحة والجيولوجيا الأمريكية: أنه من المعترف به أن معظم الجبال تمتلك جذوراً تمتد داخل الأرض، وتطفو عبر الغلاف الصخري بشكل مرن، أي أن الجبال تشبه الأوتاد فهي تملك جذوراً عميقة في الأرض، هذه الجذور ممتدة بعمق في الأرض ولذلك فإن شكل الجبل يشبه الوتد[2].

"والوتد قطعة من الخشب أو الحديد لتثبيت الخيمة ويدق الوتد حتى يغوص الجزء الأكبر منه تحت الأرض، ويمكن وضع المقارنة بين الجبال والأوتاد: فالأوتاد تغوص تحت الأرض بقوة المطرقة والجبال تغوص تحت الأرض بقوة الجاذبية – الأوتاد تمسك الخيمة وتثبتها وأما الجبال فتمسك الأرض المحيطة بالجبال، وتساهم أيضاً في تثبيت الغلاف الجوي على سطح الأرض ومنعه من الهروب، وكأن الجبال أوتاد تثبت الخيمة الجوية التي تعلو رؤوسنا وتحفظنا من الإشعاعات الخطيرة والشهب، ويمكن اعتبار القشرة السطحية للأرض كما لو كانت سجادة بواسطة أوتاد (الجبال)" [3].

---

(1) الموسوعة العلمية في الاعجاز القرآني، سمير صقر، ص44.

(2) ينظر: الأرض ذات الصدع رؤية جديدة، عبد الدايم الكحيل، ، (موقع إلكتروني)

(3) الموسوعة العلمية في الاعجاز القرآني، سمير صقر، ص44.

كما أن عدداً من العلماء الغرب يستخدمون كلمة wedge وهي تعني (وتد) فقد استخدموا هذه الكلمة وهم لم يقرأوا القرآن، لماذا؟ الجواب لأنهم وجدوا أوتاداً حقيقية للجبال، ولذلك وضعوا هذه الكلمة في بحثهم، ولكنهم نسوا أن القرآن سبقهم إلى ذلك بأربعة عشر قرناً!

فلو كان هذا القرآن من تأليف محمد ﷺ وهو نبي أمّي لم يتلَقَّ العلم ولم يكن في زمنه من العلوم إلا الأساطير التي تُنسج حول الجبال، فكيف عبَّر بدقة متناهية وسمَّى هذه الجبال بالأوتاد؟ إن الذي علَّمه هذا المصطلح العلمي هو ربّ الجبال ومنَزّل القرآن سبحانه وتعالى[1]

وبالإمعان فيما تقدم فلا بد لكل ذي لب، أن يجزم بما لا يدع مجالاً للشك بأن هذا الكتاب ليس من صنع البشر ، فهو غير داخل ضمن الطاقة البشرية فمهما امتلك محمدٌ ﷺ من ذكاء وفطنة وعبقرية فلا يمكنه أن يصل لوصف حقائق كونية من أدق ما توصل إليه العلم الحديث بكل إمكاناته، فالقرآن الكريم كلام الله تعالى خالق هذا الكون، والعالم بحقيقته وتكوينه قال عز وجل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: 14].

(1) ينظر: الأرض ذات الصدع رؤية جديدة، عبد الدايم الكحيل، (موقع إلكتروني)

المطلب الخامس:

نعمة إنزال الحديد

قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [الحديد: 25]

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿ **وَأَنْزَلْنَا** ﴾: نزول الشيء انحِطَاطه من عُلْوّ، يقال: نَزَلَ عن دابَّته[1]، ويقال: وأنزال الله الشيء من نعمة أو نقمه: خلقه أو هدي إليه، وذلك أن هذه الأشياء ترجع إلي أسباب سماوية كالمطر وأشعة الكواكب، ومن ذلك إنزال الأنعام، وإنزال الحديد، أو أنها مكتوبة في اللوح المحفوظ وتنزل الملائكة الموكلة بإظهارها في العالم السفلي، فينسب الإنزال بذلك إليها[2].

﴿ **بَأْسٌ** ﴾ البأس: الشدة في الحرب، ويأتي بمعنى العذاب [3].

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

"وقوله تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ**﴾ أي وكما أنزلنا الكتاب للدين، والعدل للدنيا، أنزلنا الحديد لهما معاً، للدين والدنيا فيما فيه من البأس الشديد في الحروب، فهو لإقامة الدين بالجهاد ﴿**وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**﴾ إذ سائر الصناعات متوقفة عليه فهو للدنيا.

وقوله تعالى: ﴿**وَلِيَعْلَم اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ**﴾ أي من الحكمة في إنزال الحديد أن يعلم الله من ينصره أي ينصر دينه ورسله بالجهاد معهم، والوقوف إلى جانبهم، وهم يبلغون دعوة ربهم بالغيب أي وهم لا يشاهدون الله تعالى بأعينهم وإن عرفوه بقلوبهم. قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ إعلام بأنه لا حاجة به إلى نصرة أحد من خلقه وذلك لقوته الذاتية وعزته التي لا ترام، وإنما كلف عباده بنصرة دينه ورسله وأوليائه تشريفاً لهم وتكريماً، وليرفعهم بذلك إلى مقام الشهداء"[4].

---

(1) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص799.

(2) ينظر: معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن، الجمل، ج5/ 47.

(3) ينظر: الصحاح، الجوهري، ج3/ 906.

(4) ينظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج5/ 276- 277.

ثالثاً: حقائق علمية حول نزول الحديد:

إذا سألنا كيف تكون الحديد، فإن العناصر المختلفة تتجمع فيها الجسيمات المختلفة من الكترونات وبروتونات وغيرها، لكي تتحد هذه الجسيمات في ذرة كل عنصر تحتاج إلى طاقة، وعند حساب الطاقة اللازمة لتكوين ذرة الحديد يجب أن تكون كطاقة المجموعة الشمسية أربع مرات، ولذلك يعتقد العلماء أن الحديد عنصر نزل إلى الأرض ولم يتكون فيها.

ولقد اكتشف العلماء التجريبيون حقيقة إنزال الحديد إلى الأرض؟ في الربع الأخير من القرن العشرين، حيث وجدوا أن الطاقة اللازمة لتكوين ذرة واحدة من الحديد يحتاج إلى أربعة أضعاف الطاقة الموجودة في المجموعة الشمسية، مما جعلهم يجزمون بأن الحديد لا يمكن أن يكون قد خُلق في نجم خارج المجموعة الشمسية، ونزل إلى الأرض في صورة حديد [(1)].

رابعاً: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

يقول د. زغلول النجار – حفظه الله– : "لقد أصبح من الثابت علمياً أن كل حديد الأرض قد أنزل إليها إنزالاً من السماء، وليس هذا فقط؛ بل إن الحديد في مجموعتنا الشمسية كلها قد أنزل كذلك إليها من السماء، وهي حقيقة لم يتوصل العلماء إلى فهمها إلا في أواخر الخمسينات من القرن العشرين، وقد جاء ذكرها في سورة الحديد، وهي السورة الوحيدة من سور القرآن الكريم التي سميت باسم عنصر من العناصر المعروفة لنا، ولا يمكن لعاقل أن يتصور مصدراً لهذه الحقيقة الكونية في القرآن الكريم غير الله الخالق الذي انزل هذا القرآن العظيم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً على نبي أمي ﷺ وفي أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين ، أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده، في نفس لغة وحيه– اللغة العربية– وحفظه حفظاً كاملاً: آية آية، وكلمة كلمة، وحرفاً حرفاً، وأورد فيه مثل هذه الحقائق الكونية لتكون شاهدة على جميع الخلق إلى قيام الساعة بأن القرآن هو كلام الله الخالق، وأن سيدنا محمداً ﷺ ما كان ينطق عن الهوى﴿ **إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾ [النجم: 4، 5] [(2)] ".

حقاً إنه دليل كوني على صدق الوحي والنبوة بما يثبت قطعاً أن القرآن كلام الله، وكذلك يثبت قطعاً أن محمداً ﷺ هو رسول الله، مما يضيف لنا دليلاً ثابتاً على صدق الوحي والنبوة.

---

(1) ينظر: المعجزة الخالدة، د. علي الصلابي، ص122–123.

(2) السماء في القرآن الكريم، د. زغول النجار، ص 127.

المبحث الثاني

آيات كونية حول الليل والنهار، والظلمات والنور ودلالتها على صدق الوحي والنبوة.

إن الله تبارك تعالى قد خلق هذا الكون بنظام دقيق محكم، بشمسه وقمره وليله ونهاره فكل ما في هذا الكون دال عليه سبحانه..

وقد بث في ثنايا كتابه الخالد بينات صدق رسوله ﷺ والتي جاءت بإشارات كونية دقيقة كشف عن دلالتها العلم الحديث مما يؤكد بيقين أن نبينا محمد ﷺ كان ما يتلقاه من القرآن وحياً من الله تعالى، وأنه ﷺ صادق فيما أخبرنا به عن ربه تبارك تعالى، وسيظهر ذلك من خلال المطالب الثلاثة الآتية:

المطلب الأول:

سلخ النهار من الليل

قال الله تعالى: ﴿**وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ**﴾ [يس: 37].

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿ **نَسْلَخُ** ﴾: سلخ أصله إخراج الشيء عن جلده، وأصله سلخت جلدة الشاة سلخاً. وسلخت المرأة درعها: نزعته، ومن المجاز قولك سلخت الشهر، إذا صرت في آخر يومه، وانسلخ الشهر، وانسلخ النهار من الليل المقبل[1].

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

"أي ومن آيات قدرته تعالى العظيمة: خلق الليل والنهار، أي ومن أدلة قدرته تعالى العظيمة: خلق الليل والنهار دائبين، فينزع النهار من الليل فيأتي بالضوء وتذهب الظلمة، وينزع الليل من النهار، فيصبح الخلق في ظلمة ويذهب الضوء، وهكذا يتعاقبان، يجيء هذا فيذهب هذا،ويذهب هذا فيجيء هذا، كما قال تعالى:(يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا)[الأعراف:54] نتيجة لدوران الأرض حول محورها من الغرب إلى الشرق، فتشرق الشمس على نصف الكرة الأرضية، وتغيب عن النصف الآخر، وفي كل من الظلمة والنور نفع وخير، ففي الظلام ترك العمل وسكون النفس والراحة من العناء، وفي النور متعة ولذة وحركة وعمل من أجل كسب

(1) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج94/3.

الرزق، وقوله (فإذا هم مظلمون)أي فهم داخلون في الظلمة مفاجأة وبغتة، لا يد لهم بعدئذ، ولا بد من الدخول فيه"[1].

ثالثاً: حقائق علمية حول سلخ النهار من الليل:

ثبت أن سمك طبقة النهار حول نصف الأرض المواجه للشمس لا يتعدى المائتي كيلو متر فوق مستوى سطح البحر، وإذا نسب ذلك إلى المسافة التي تفصل بيننا وبين الشمس المقدرة بحوالي المائة والخمسين مليوناً من الكيلو مترات فإنها لا تتجاوز الواحد الى سبعمائة وخمسين ألفاً تقريباً، وإذا نسبت إلى نصف قطر الجزء المدرك من الكون (والمقدر بأكثر من عشرة آلاف مليون من السنين الضوئية (9.5 مليون كيلو متر) اتضحت ضآلته[2].

لقد كشف العلم الحديث أن الليل يحيط بالأرض من كل مكان، وأن الجزء الذي تتكون فيه حالة النهار هو الهواء الذي يحيط بالأرض، ويمثل قشرة رقيقة تشبه الجلد، وإذا دارت الأرض سلخت حالة النهار الرقيقة التي كانت متكونة بسبب انعكاسات الأشعة القادمة من الشمس على الجزيئات الموجودة في الهواء مما يسبب النهار، فيحدث بهذا الدوران سلخ النهار من الليل .. [3].

رابعاً: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

يقول الله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ "معنى ذلك أن الله تعالى ينزع نور النهار من أماكن الأرض التي يتغشاها الليل بالتدريج كما ينزع جلد الذبيحة عن كامل بدنها بالتدريج، ولا يكون ذلك إلا بدوران الأرض حول محورها أمام الشمس، وفي هذا النص القرآني سبق بالإشارة إلى رقة طبقة النهار في نصف الكرة الأرضية المواجه للشمس، وهي حقيقة لم يدركها الإنسان إلا بعد ريادة الفضاء في النصف الثاني من القرن العشرين، ولقد شبه انحسار طبقة النهار الرقيقة عن ظلمة الليل بسلخ جلد الذبيحة الرقيق عن كامل بدنها، وفي التأكيد على أن الظلام هو الأصل في الكون، وأن نور النهار ظاهرة رقيقة عارضة لا تظهر إلا في الطبقات الدنيا من الغلاف الغازي للأرض في نصفها المواجه للشمس، والذي يتحرك باستمرار مع دوران الأرض حول محورها أمام الشمس" [4].

---

(1) التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي،ج15/23.

(2) السماء في القرآن الكريم زغلول النجار، ص172.بتصرف يسير.

(3) موسوعة الإعجاز العلمي، يوسف الحاج أحمد، ص209.بتصرف يسير.

(4) السماء في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، ص172.

المطلب الثاني:

النهار يجلي الشمس

قال الله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ [الشمس: 1 – 3]

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿ **جَلَّاهَا**﴾: (جلو) وهو انكشاف الشيء وبروزه، وجلوت السيف جلاء، ويقال تجلى الشيء، إذا انكشف، ورجل أجلى، إذا ذهب شعر مقدم رأسه، ويقال: هو ابن جلا، إذا كان لا يخفى أمره لشهرته [(1)].

﴿**والنّهارِ إذا جَلاَّها**﴾ عند المفسرين فيه أوجه محتملة: **أحدهما:** أضاءها، يعني الشمس لأن ضوءها بالنهار يجلي ظلمة الليل.

الثاني: أظهرها، لأن ظهور الشمس بالنهار.

ويحتمل ثالث وهو: أن النهار جلّى ما في الأرض من حيوانها حتى ظهر لاستتاره ليلاً وانتشاره نهاراً[(2)].

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

يقسم الله تعالى بالشمس وضوئها إذا أشرقت وقام سلطانها، وبالقمر إِذَا تبعها في الضياء والنور وبالنهار إذا أظهر الشمس للرائين، وذلك عند انتفاخ النهار وانبساطه، لأن الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء[(3)].

ثالثاً: حقائق علمية حول إظهار النهار لضوء الشمس:

النهار يجلي الشمس حقيقة لم يدركها العلماء إلا بعد ريادة الفضاء في النصف الأخير من القرن العشرين، فنور النهار المبهج لا يتعدى سمكه مائتي كيلو متر فوق مستوى سطح البحر في نصف الكرة الأرضية المواجه للشمس، وأن هذا الحزام الرقيق من الغلاف الغازي

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج468/1.

(2) ينظر: النكت والعيون، الماوردي، ج282/6.

(3) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ج647/3.

للأرض يطفو بالتدريج من هباءات الغبار، وقطيرات الماء وبخاره ومن كثير من الملوثات، كما تقل كثافته بالارتفاع عن سطح الأرض، ويقوم ذلك التركيز وتلك الهباءات من الغبار بالمساعدة على تشتيت ضوء الشمس، وتكرار انعكاسه مرات عديدة حتى يظهر لنا باللون الأبيض المبهج الذي يميز النهار كظاهرة نورانية مقصورة على النطاق الأسفل من الغلاف الغازي للأرض في نصفها المواجه للشمس، بينما يعم الظلام الكون المدرك في غالبية أجزاءه (1).

رابعاً: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

"وتبدو الشمس بعد تجاوز نطاق نور النهار قرصاً أزرقاً في صفحة سوداء، ومن هنا فهمنا المعنى المقصود من أن الله يجلي الشمس، بينما ظل كل الناس حتى أواخر القرن العشرين وإلى يومنا الراهن فيما عدا قلة قليلة من العلماء وهم ينادون أن الشمس هي التي تجلي النهار، فسبحان الذي أنزل تلك الحقيقة الكونية من قبل ألف وأربعمائة سنة، والتي لم يكتشفها العلم التجريبي إلا في النصف الأخير من القرن العشرين" (2).

وهذه الإشارة العلمية الكونية التي وردت في كتاب الله على رجل أمي في بيئة صحراوية بدائية، وأثبتها العلم التجريبي، لتدل دلالة واضحة بما لا مجال للشك فيه، أن القرآن الكريم وحي ممن خلق هذا الكون وأودع فيه أسراره، وتقدم الدليل العلمي القاطع على صدق الوحي والنبوة.

---

(1) ينظر: السماء في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، ص173.

(2) ينظر: المرجع السابق، ص173-174.

المطلب الثالث:

الظلمات والنور

قال الله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: 1]

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿الظُّلُمَاتِ﴾: من(ظلم) وهذا الأصل يدل على أحد معنيين:

الأول: خلاف الضياء والنور، فالأول الظلمة، والجمع ظلمات. والظلام: اسم الظلمة، وقد أظلم المكان؛ بمعنى ما سد بصرك في الرؤية.

والثاني: وضع الشيء غير موضعه تعدياً، يقال: ظلمه يظلمه ظلماً. والأصل: وضع الشيء في غير موضعه (1).

﴿النُّورَ﴾: مفرد أنوار، وهو الضياء (2).

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

سورة الأنعام "تبدأ بالحمد لله، ثناءاً عليه، وتسبيحاً له، واعترافاً بأحقيته للحمد والثناء، على ألوهيته المتجلية في الخلق والإنشاء..، بذلك تصل بين الألوهية المحمودة وخصيصتها الأولى الخلق، وتبدأ بالخلق في أضخم مجالي الوجود، السماوات والأرض، ثم في أضخم الظواهر الناشئة عن خلق السماوات والأرض وفق تدبير مقصود، الظلمات والنور، فهي اللمسة العريضة التي تشمل الأجرام الضخمة في الكون المنظور، والمسافات الهائلة بين تلك الأجرام، والظواهر الشاملة الناشئة عن دورتها في الأفلاك، لتعجب من قوم يرون صفحة الوجود الضخمة الهائلة الشاملة تنطق بقدرة الخالق العظيم كما تنطق بتدبيره الحكيم، وهم بعد ذلك كله لا يؤمنون ولا يوحدون ولا يحمدون بل يجعلون لله شركاء يعدلونهم به ويساوونه"(3)

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج3/ 468.

(2) ينظر: الصحاح، الجوهري، ج838/2.

(3) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج2/ 1030.

ثالثاً: حقائق علمية حول الظلمات والنور:

تعددت الظلمات في كوننا على النحو التالي:

1- الظلمة الأولية للكون:

قد استغرقت الفترة من بعد الانفجار العظيم وحتى بدايات الاندماج النووي، وتقدر بنحو الثلاثين مليون سنة من سنينا الحالية، وقد تميزت هذه الفترة بالكثافة العالية لمادة الكون في صورها الأولية، وبالعتمة الكاملة، والإظلام التام.

2- الظلمة الحالية للكون:

وقد استغرقت الفترة من بعد عملية الانفجار العظيم وحتى بدايات عملية الاندماج النووي الحراري بداخلها، ولا تزال مستمرة إلى يومنا الحالي بعد أكثر من عشرة مليارات من السنين وإلى أن يشاء الله سبحانه وتعالى، وبذلك بدأت النجوم في ارسال أضوائها إلى فسحة السماء وإن كانت أغلب الأضواء غير مرئية.. وإذا تجاوزنا طبقة النهار فإننا نرى الشمس قرصاً أزرقاً في صفحة سوداء شديدة الإظلام، وهذه هي ظلمة الكون الحالي التي وصفها الحق تبارك وتعالى بقوله عزو وجل ﴿**وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ**﴾ [الحجر: 14، 15].

3- ظلمة أعماق البحار والمحيطات:

من الثابت أن قيعان البحار العميقة والمحيطات تغرث في ظلام دامس؛ وذلك لأن أعماقها تتراوح بيزن مئات الأمتار 11034متراً، بمتوسط يقدر بنحو 3795متراً،وأشعة الشمس لا يمكنها الوصول إلى تلك الأعماق أبداً، فمن الثابت أن نطاق الأوزون في الغلاف الغازي للأرض يرد أغلب الموجات فوق البنفسجية إلى خارج نطاق الأرض، بينما تعكس السحب نحو30% وتمتص نحو 19%...

إن معظم موجات الضوء المرئي من أشعة الشمس يمتص على عمق يصل إلى100م تقريباً من مستوى سطح الماء في البحار والمحيطات، ويعرف هذا النطاق باسم النطاق المضيء ويستمر فقط 1% فقط من أشعة الشمس إلى عمق 150م،0.01% إلى عمق 200متر في الماء الصافي الخالي من العوالق، ويظل هذا القدر الضئيل من الضوء المرئي يتعرض للانكسار والتشتت والامتصاص حتى يتلاشى تماما على عمق لا يكاد يصل على

الألف متر تحت مستوى سطح البحر حتى لا يبقى من ضوء الشمس شيىء.

يذكر (جزء من عشرة تريليونات جزء)، هذا إذا لم تحل الأمواج العميقة حيلولة كاملة دون وصول الضوء إلى تلك الأعماق ، ويبدأ تكون تلك الأمواج على عمق 40مترا تقريبا من مستوى سطح البحر ، وقد تتكرر على أعماق دون ذلك..ويصف القرآن الكريم ظلمة قيعان البحار العميقة بقول الحق تبارك وتعالى:﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: 40]

ظلمات الأرحام:

ويصفها الحق تبارك وتعالى بقوله ﴿..يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: 6]

وقد فسرت هذه الظلمات الثلاث بظلمة البطن ، يليها إلى الداخل ظلمة الرحم يليها إلى الداخل ظلمة المشيمة بأغشيتها السلوية وما بها من سائل مخاطي [1].

رابعاً: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

من عجائب القرآن أن الله تعالى تحدث عن بدايات الخلق وذكر الظلمات قبل ولو تتبعنا آيات القرآن كلها التي تتحدث عن بداية الخلق نلاحظ أن الله تعالى يذكر الظلمات قبل النور دائما، وهذا ما يقوله العلماء اليوم، حيث أن الكون يحوى أكثر من 96% من مادة مظلمة وطاقة مظلمة! قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: 1]مثنياً على ذاته العلية بخلقه للسموات والأرض، ثم ليؤكد لنا حقيقة علمية وهي أن الظلام أولاً ثم النور بقوله: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ ، لأن الظلام والنور هما نتيجة لخلق السموات والأرض، فالله تعالى خلق مادة السماء والأرض، ومرت هذه المادة بعصور مظلمة ثم انبق الضوء؛ وبالتالي فإن كلمة جعل هي الكلمة المناسبة في هذا المقام من الناحية العلمية.

(1) السماء في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، ص207.بتصرف.

كذلك فإن القرآن دائماً يعبر عن الظلام بالجمع ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ وعن النور بالمفرد ﴿وَالنُّورَ﴾ ، أي أن معظم الكون هو ظلمات .

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ نجد ثلاث إشارات علمية :

1- أشارت الآية إلى أن الظلمات والنور هما نتيجة خلق السماء والأرض، وهذا صحيح علمياً.

2- أشارت الآية إلى أن الظلام وجد قبل النور، وهذا ما يؤكده العلماء اليوم.

3- تشير الآية من خلال كلمة ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ بالجمع وكلمة ﴿النُّورَ ﴾ بالمفرد، إلى أن الظلام أكبر بكثير من النور في الكون .

ونقول كما قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [النمل: 93] [1].

فبعد هذا العرض نخلص بدلالة قاطعة أثبتها الدليل العلمي على صدق الوحي والنبوة، فلا يمكن لأي عاقل تصور أن للقرآن مصدراً، إلا ممن أودع في هذا الكون أسراره، وخلق الظلمات والنور، لتكون براهين صدق الرسول ﷺ في العصر الحاضر.

---

(1) ينظر: الظلمات والنور رؤية علمية، عبد الدايم الكحيل ، (موقع إلكتروني)

الفصل الثالث

آيات علمية قرآنية في عالم المياه والنبات

ودلالتها على صدق الوحي والنبوة

المبحث الأول

تكوين الماء على الأرض، ودورة المطر في الطبيعة.

"يعد الماء المادة الوحيدة على الأرض التي توجد بحالاتها الثلاث(الصلبة والسائلة والغازية)، وكوكب الأرض هو أغنى كواكب مجموعتنا الشمسية في المياه،ولذلك يطلق عليه اسم الكوكب المائي، أو الكوكب الأزرق، وتغطي المياه نحو 71% من مساحة الأرض، بينما تشغل اليابسة نحو 29% فقط من مساحة سطحها، وتقدر كمية المياه على سطح الأرض بنحو 1360مليون كيلو متر مكعب، ولقد حبا الله سبحانه وتعالى الأرض بالماء الذي يلعب دوراً مهماً في الحياة على الأرض"[1].

وسوف نبرز دلالة الآيات الكونية القرآنية المتعلقة بتكوين الماء على الأرض ودورة المطر في الطبيعة في المطالب الآتية:

المطلب الأول:

تكوين الماء على الأرض

قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ * أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ [النازعات: 30- 31]

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿ دَحَىٰهَآ ﴾: من دحو: والدحو معناه البسط، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ "[2].

وعن ابن عباس: " دحوها: أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينهما في يومين آخرين، فذلك قوله: ﴿دَحَىٰهَآ﴾" [3].

ومعنى قول ابن عباس – رضي الله عنهما– :أن دحوها إخراج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل[4].

---

(1) سيلان المياه وتكون المعادن في القشرة الخارجية للأرض، د. مصطفى موكينا، ص122.

(2) ينظر: مجمل اللغة، ابن فارس،ص348.

(3) صحيح البخاري، الإمام البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ .. ﴾ [الزمر: 68]، ج127/6.

(4) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج316/8.

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

"والأرض بعد ذلك دحاها أي بسط الأرض ومهدها وجعلها مفلطحة كالبيضة بعد خلق السماء، إلا أنها كانت مخلوقة غير مدحوة قبل خلق السماء، ثم دحيت بعد خلق السماء، كما جاء في سورة السجدة (فصلت): ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ*وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: 9- 11] ، فهذه الآيات دليل على أن خلق السموات كان بعد خلق الأرض، إلا أن دحو الأرض وتمهيدها كان بعد خلق السموات، ثم أوضح ما تم في أثناء الدحو من إعداد وسائل الحياة والعيش، فقال: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا *وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا* مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات: 30- 33] ، أي فجر من الأرض الأنهار والبحار والعيون والينابيع، وأنبت فيها النبات لبني آدم قوتاً كالحبوب والثمار، وللأنعام مرعى كالأعشاب والحشائش"[1].

ثانياً: حقائق علمية حول أصل تكون الماء:

وضعت نظريات عديدة لتفسير نشأة الغلاف المائي للأرض، تقترح إحداها نشأة ماء الأرض في المراحل الأولى من خلق الأرض، وذلك بتفاعل كل من غازي الأيدروجين والأكسجين في حالتهما الذرية في الغلاف الغازي المحيط بالأرض، وتقترح أخرى أن ماء الأرض أصله من جليد المذنبات، وترى أخرى أن كل ماء الأرض قد أخرج أصلاً من جوفها، ولا يزال خروجه مستمراً من داخل الأرض عبر الثورات البركانية، والقرآن الكريم جاء مؤكداً أن الله تعالى أخرج كل ماء الأرض من داخلها، ودوره بين السماء والأرض في عملية مستمرة دائمة من أجل تطهيرها، وإنزاله ماء طهوراً على هيئة المطر، قال تعالى: ﴿..وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: 48] ، حيث يعدُّ ماء المطر أنقى ماء طبيعي على وجه الأرض.

وبتحليل الأبخرة المتصاعدة من فوهات البراكين في أماكن مختلفة من الأرض، اتضح أن بخار الماء تصل نسبته إلى أكثر من70%من مجموع تلك الغازات والأبخرة البركانية، وقد كانت الثورات البركانية في بدء خلق الأرض أشد تكراراً وعنفا، والحسابات التي أجريت على ما

(1) التفسير المنير، د.وهبة الزحيلي، ج30/45-46.

تنتجه الفوهات والشقوق البركانية النشيطة والخامدة الموجودة على سطح الأرض أعطت رقماً قريباً جداً من الرقم المحسوب بكمية المياه على سطح الأرض[1].

فبعد أن تكونت القشرة الأرضية الصلبة بدأ الماء يخرج من باطن الأرض على شكل بخار مع الحمم التي تقذفها البراكين من باطن الأرض، فالماء الموجود على سطح الأرض قد خرج من باطنها، ولو أن جميع ما في الأرض من ماء قد خرج من باطنها، واستقر على سطحها لما وسعته المحيطات، ولوصل ارتفاع الماء إلى ثلاثين كيلو متراً، ولكن من لطف الله تعالى بالناس أن 90% من هذا الماء ما زال محبوساً تحت القشرة الأرضية[2].

رابعاً: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

على عادة القرآن الكريم فإنه عبر عن تلك الحقائق الكونية المتضمنة إخراج كل من الغلافين المائي والغازي للأرض من داخل الأرض بأسلوب لا يفزع العقلية البدوية في صحراء الجزيرة العربية وقت تنزله، فقال سبحانه: ﴿**وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ *أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا**﴾ والعرب في قلب الجزيرة العربية كانو يرون الأرض تنفجر منها عيون الماء، ويرون الأرض تكتسي بالعشب الأخضر بمجرد سقوط المطر، ثم نأتي نحن اليوم فترى في الآيتين رؤية جديدة مفادها أنه سبحانه قد هيأ الأرض للعمران بإخراج كل من أغلفتها الصخرية والمائية والغازية من جوفها، حتى تصل درجات الحرارة إلى آلاف الدرجات المئوية، مما يشهد بطلاقة القدرة، كما يشهد للنبي الخاتم الذي تلقى هذا الوحي بأنه ﷺ كان موصولاً بالوحي، ومعلماً من قبل خالق السموات والأرض.

فلم يكن لأحد من الخلق وقت تنزل القرآن الكريم ولا لقرون متطاولة من بعده إلمام بحقيقة أن كل ماء الأرض وكل هواء الأرض قد أخرجه ربنا تبارك وتعالى من داخل الأرض، وهي حقيقة لم يدركها الإنسان إلا في العقود المتأخرة من القرن العشرين، فسبحان منزل القرآن من قبل أربعة عشر قرناً ووصفه بقوله الكريم: ﴿**قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا**﴾ [الفرقان: 6] فكان القرآن وحياً منزلاً من الله تعالى بلغه النبي الصادق فبلغ الرسالة حتى أتاه اليقين، قال تعالى: ﴿**لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا**﴾ [النساء: 166] [3].

---

(1) الأرض في القرآن الكريم، د. زغلول النجار،ص135-136.بتصرف.

(2) ينظر: الماء في القرآن الكريم والعلم الحديث،د. عبد الغني سلامة، ص10.

(3) مجمل اللغة، ابن فارس، ص712.بتصرف.

المطلب الثاني:
تفجير المياه من الحجارة

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 74]

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿يَتَفَجَّرُ﴾:انفجر الماء انفجاراً: انفتح، والفجرة موضع تفتح الماء، وفجر الفجر: انفجار الظلمة عن الصبح، والفجور : الكذب والمضي في المعاصي، والفجر الكرم والتفجر بالخير، ويوم الفجار: يوم للعرب استحلت فيه الحرمة، والفاجر: المائل[1].

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

في الآية بيان لما طرأ على قلوب بني إسرائيل من بُعْدٍ عن الاعتبار، وعدم تأثرٍ بالعظات، وإعراضٍ عن الإنابة والإذعان لآيات الله، وتحللٍ من المواثيق التي أقروا بها على أنفسهم حيث يبين الله تبارك وتعالى قسوة قلوبهم وصلابتها من بعد ما رأوا من الآيات، منها إحياء القتيل أمام أعينهم، بل إن قلوبهم تفوق الحجارة في قسوتها وصلابتها، فمن الحجارة ما فيه ثقوب متعددة فتتدفق منه مياه الأنهار، ومنها ما يتصدع تصدعاً قليلاً فيخرج منه ماء العيون والآبار، ومنها ما يتردى من رأس الجبل إلى الأرض والسفح من خوف الله وخشيته، أما أنتم يا بني إسرائيل فإن قلوبكم لا تتأثر بالمواعظ، ولا تنقاد للخير، ولا تطيع، مهما تعاقبت عليكم النعم والنقم والآيات[2].

ثالثاً: حقائق علمية حول الدلالات العلمية للآية الكريمة:

تعدُّ قسوة الحجارة من أهم خصائصها الميكانيكية وتعتمد على نشأة الحجر، وتركيبه الكيميائي والمعدني، وبنيته ونسيجه، وعلى تاريخه في الأرض، والتغيرات التي يتعرض لها، مما يؤثر على شدة تماسكه، وتنقسم الأحجار إلى قليلة، ومتوسطة، وشديدة الانضغاط، وبالنسبة لمتانة الأحجار فإنها تقاس بمعاملي القدرة على مقاومة الاحتكاك، وشدة تلاصق المكونات،

---

(1) ينظر: الكون، جمع واختيار صالح المسند، ص42.

(2) ينظر: التفسير الوسيط، طنطاوي،ج173/1.

وكلاهما يعتمد كذلك على نشأة الحجر، وتركيبه المعدني والحبيبي(الميكانيكي)، والروابط بين مكوناته، ودرجة الرطوبة فيه[1].

وقد "أثبتت البحوث الجيولوجية أن الحجارة قد تتأثر وتتفاعل تحت ظروف خاصة، تقوم بعمليات من التفاعل بينها في باطن الأرض الحار جداً، ينتج عن هذا التفاعل تفجر الماء منها كنتيجة للتفاعل، حيث يدخل في تركيبها عنصرا الأيدروجين والأكسجين، ومن حرارة التفاعل الهائل ينتج هذا الماء الذي يخرج من طبقات الأرض ومن بين الصخور كذلك، فتنشق الأرض عنه، أو يخزن في تجاويف الأرض مع المياه الجوفية، فإذا كثر الماء ولم تتسع له هذه المحاضن الجوفية بحث له عن مكان يخرج منه إما بانفجار من بين الصخور، أو بالتشقق وتسيل المياه بشكل أضعف من الانفجار، بحيث يمكنها أن تكون الأنهار أو الينابيع "[2].

وتتعرض الحجارة في الأرض لأنواع مختلفة من الإجهاد الخارجي والداخلي **وبيان ذلك:**

الحالة الأولى: تكون نتيجة للضغط الخارجي عليها بواسطة وزن كتلة الصخور التي تعلوها، أو من خلال الضغوط الجانبية الناتجة عن تحول ألواح الغلاف الصخري للأرض، مما ينتج عنه العديد من البنيات الأرضية من مثل خطوط التصدع والفواصل والتشققات الأرضية التي تؤدي إلى تفجر الماء المخزون تحت سطح الأرض.

الحالة الثانية: فإن ذلك يتم بواسطة الموائع المختزنة في الحجارة (كالماء ، النفط، الغاز).

وكل نوع من هذين النوعين من إجهاد الأحجار قد يكون قوياً أو ضعيفاً، وقد يكون سريعاً أو بطيئاً، وقد يكون في اتجاه واحد أو في أكثر من اتجاه، والنتيجة النهائية تعتمد على شدة ذلك الإجهاد، وعلى نوع الحجارة، وعلى الظروف المحيطة بها من الضغط ودرجة الحرارة، وتتمثل في استجابة الحجارة للإجهاد بتغيرات ملحوظة في الحجم والهيئة قد تنتهي بتقليل قسوتها وتكييفها بتصدعها، أو بتشققها وتكسرها، وحينئذ يفيض الماء منها، كما تؤثر عمليات التعرية المختلفة كالنحر الرأسي للمجاري المائية، وتكوين المساقط والشرف النهرية والقنوات العميقة على تفجير الماء المخزون تحت سطح الأرض[3].

---

(1) ينظر: ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة..، د. زغلول النجار، (موقع إلكتروني)

(2) الماء في القرآن الكريم–دراسة موضوعية–، رسالة ماجستير للباحث: فتحي العبادسة،ص242–243.

(3) ينظر: ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة..، د. زغلول النجار، (موقع إلكتروني)

وكثير من الأنهار أو جداولها تحت سطح الأرض، كما تحفر الكهوف، أو تكوّن صدوعاً في الصخور، حيث تندفع الشلالات هابطة، وفي بعض المناطق يجري الماء في باطن الأرض لمئات الأميال بطريقة أفقية فوق الصخور الحمراء قبل أن يظهر رأسياً على السطح ثانياً، وهناك ظاهرة نهرية وهي خاصية تفجير للكتل الصخرية، وكذلك للجبال الشاهقة بواسطة الأنهار الجليدية في الأصقاع الباردة، فالماء المتسرب بين طبقات الصخور حين يتجمد فإنه يزيد حجمه، ويتمدد بقوة هائلة تصدع الجبال، وتحطم الصخور، ثم يسيل النهر ويجرف ما تحطم معه في مجراه النهري، وقد فجر الجبال[1].

رابعاً: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

جاءت الآية الكريمة بوصف إلهي دقيق للنفسية اليهودية المريضة، والخارجة عن منهج الله وهدايته، والمليئة بالأسقام والعلل، كما جاءت بوصف علمي دقيق للحجارة وتفاونها في درجات القساوة بأسلوب فيه من الدقة العلمية والشمول والإحاطة على الرغم من ورود ذلك في مقام التشبيه.

وبيان ذلك يتضح في الآتي:

أولاً: كشف دخائل النفس اليهودية المريضة:

" ويتعاظم إجرام متهودي اليوم على أرض فلسطين ... والتي سرقها اليهود من أهلها، واغتصبوها من بين أيدي أبنائها بمؤامرة دولية حقيرة، وفجروا في معاملة المدنيين العزل، الذين يقتلونهم اليوم بشراسة لم تعرف لها البشرية مثيلاً في غلظتها وقسوتها وتجبرها واستعلائها، موظفين في ذلك أحدث الآلات العسكرية الأمريكية تطوراً من الطائرات، والدبابات والمصفحات، والمدافع والصواريخ، وغير ذلك من الأسلحة المحرمة دولياً وغير المحرمة، التي تستخدم في كل يوم لهدم المنازل والمدارس، والمستشفيات، والمساجد وغيرها من دور العبادات، كما توظف في تجريف الأراضي الزراعية وحرق كل ما عليها من الأشجار والثمار والمحاصيل، وفي حصار المدن وتدمير جميع بنياتها الأساسية، والخدمات الواصلة إليها، والحيلولة دون إسعاف المصابين، وتركهم ينزفون حتى الموت، ومنع علاج الحوامل والمرضى المزمنين ، وحرمانهم من الإسعافات الأولية، والعلاجات الضرورية لهم، وقتل الأطفال، والنساء، والشيوخ، والشبان،

(1) ينظر: الماء في القرآن الكريم–دراسة موضوعية–، فتحي العبادسة، ص242–243.

واعتقال من لا يقتلون منهم لتعذيبهم بوحشية بشعة في سجونهم ومعتقلاتهم... ولن ينسى المجتمع الدولي كل هذه الجرائم اللاإنسانية، واللاأخلاقية ...

فلن ينسى إغتيال الطفل (محمد الدرة) بدم بارد وهو يحتمي بحضن أبيه المفجوع ....، ولن ينسى تجريد الأسرى من ملابسهم، واقتيادهم إلى ساحات التعذيب معصوبي الأعين، ومقيدي الأيدي والأرجل كما فعل الأمريكان النتهودون من قبل...ولن ينسى مذابح دير ياسين ، وقبيه، وصابرا وشاتيلا، وبحر البقر، وأبي زعبل، وبيروت وجنين، وغيرها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم..." [1].

فاليهود من أقسى البشر قلوباً إلى اليوم، إذ كل عام يرمون البشرية بقاصمة الظهر وهم ضاحكون، وتظهر صدق نبوة الرسول محمد ﷺ وتقريرها أمام اليهود، إذ يخبرهم بأمور جرت لأسلافهم لم يكن يعلمها غيرهم، وذلك إقامة الحجة عليهم، كما تتجلى أيضاً في الكشف عن نفسيات اليهود وهم يتوارثون الكفر والمكر والخداع[2].

والحجارة التي يقيس قلوبهم إليها، هي حجارة لهم بها سابق عهد، فقد رأوا الحجر تتفجر منه اثنتا عشرة عيناً، ورأوا الجبل يندك حين تجلى عليه الله وخر موسى صعقاً؛ فإذا قلوبهم منها أجدب وأقسى قلوب لا تلين ولا تندى، ولا تتصف بخشية ولا تقوى، قلوب قاسية مجدبة كافرة..يعج تاريخها بالكفر والتكذيب، والالتواء[3].

"ووجه تفضيل تلك القلوب على الحجارة في القساوة أن القساوة التي اتصفت بها القلوب مع كونها نوعاً مغايراً لنوع قساوة الحجارة قد اشتركا في جنس القساوة الراجعة إلى معنى عدم قبول التحول كما تقدم، فهذه القلوب قساوتها عند التمحيص أشد من قساوة الحجارة؛ لأن الحجارة قد يعتريها التحول عن صلابتها وشدتها بالتفرق والتشقق، وهذه القلوب لم تجد فيها محاولة[4]"

---

(1) ينظر: ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة..، د. زغلول النجار (موقع إلكتروني)

(2) ينظر: أيسر التفاسير، الجزائري،،ص71-72.

(3) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب،ج80/1-81.

(4) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج564/1

ثانياً: الإشارات العلمية التي اكتشفها العلم الحديث:

وذلك لأن الحجارة الخازنة للماء قد تتفجر منها الأنهار بفعل الضغوط الداخلية الهائلة عليها، ومنها ضغط الماء المخزون فيها، أو بفعل الضغوط الخارجية عليها، أو بهما معاً، ومن أهم الضغوط الخارجية ما يحدثه تحرك ألواح الغلاف الصخري للأرض، وقد تتشقق تلك الحجارة فيخرج منها الماء على هيئة الينابيع، والعيون، والنافورات الطبيعية، والآبار الارتوازية، وقد تنهار تلك الحجارة من قمم الجبال وعلى سفوحها هابطة من خشية الله القائل : ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**﴾ [الإسراء: 44] . [1].

هذا وبإنعام النظر إلى النص القرآني وما فيه من الإشارات العلمية التي اكتشفها العلم العلم الحديث، والتي لم يكن لأحد أن يطلع عليها قبلَ أكثرِ من أربعة عشر قرناً من الزمان، لايمكن لكل باحث منصف إلا اليقين بأن ذلك لم يكن إلا وحياً من الذي أودع هذه الأسرار في الكون الذي أبدعه بقدرته، واطلع خاتم رسله ﷺ على هذه الخفايا ليكون برهان صدق نبوته في عصر العلم، وذلك إبرازاً لعالمية هذه الرسالة، ومناسبة براهين صدق النبي في كل زمان ومكان بأسلوب بليغ حكيم، لا يشق على من استمع إليه وقت نزوله، وباشارات موجزة دقيقة جامعة يتفكر فيها ويستنبط هداياتها العلماء على مدى الزمان، مما يشهد لكل لب وانصاف أن النبي محمداً ﷺ قد تلقى القرآن وحياً من الله، وأن محمداً ﷺ رسوله إلى البشرية جمعاء قال تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ**﴾ [فصلت: 53]

(1) ينظر: ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة..، د. زغلول النجار، (موقع إلكتروني)

المطلب الثالث:

دورة المطر في الطبيعة:

قال الله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا﴾ [الفرقان: 48] .

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿طَهُورًا﴾: من طهر، والطهر: ضد الدنس، والتطهر: التنزه عن الإثم وكل قبيح.

والطهور: يقصد به الماء، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا﴾، والطهور: الطاهر بنفسه المطهر لغيره، والمطاهر الأواني[1].

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

"الله سبحانه وحده هو الذي يرحم عباده، ويمنحهم رزقه بإرسال الرياح مبشرات بين يدي رحمته، وهو المطر لأنه رحمة من الله لخلقه، فثار السحاب وتألف وصار كسفاً، وألقحته وأدرته بإذن آمرها، والمتصرف فيها، ليقع استبشار العباد بالمطر قبل نزوله لأنه رحمة من الله لخلقه، ثم ينزله سبحانه ماءً يطهر من الحدث والخبث ويطهر من الغش والأدناس"[2].

ثالثاً: حقائق علمية حول دورة المطر في الطبيعة:

هناك دورة مائية استمرت منذ أن أخرج الله تعالى ماء الأرض من داخلها إلى يومنا الراهن، وبهذه الدورة يتحرك الماء من الغلاف المائي للأرض إلى غلافها الهوائي؛ ليتطهر مما يتجمع فيه من ملوثات ومواد ذائبة وعالقة به، حيث تبخر أشعة الشمس كمّاً هائلاً من ماء الأرض؛ فيرتفع بخاراً يعلق بأجزاء من الغلاف الغازي للأرض، ثم يتكثف في أجزاء منها على هيئة قطيرات دقيقة من الماء مكوناً السحب بإذن الله تعالى.

---

(1) مجمل اللغة، ابن فارس،ص588.بتصرف يسير.

(2) تيسير الكريم الرحمن ، السعدي،ص584.

ويقدر ما يرتفع من الأرض إلى غلافها الغازي سنوياً بنحو(380.000كيلومتراً مكعباً) من الماء، يتبخر أغلبه من أسطح البحار والمحيطات(320.000كيلو متراً مكعباً)، ويرتفع الباقي من اليابسة(60.0000كيلو متراً مكعباً).

ويعود كل ما يتبخر من ماء الأرض إليها ثانية(380.000 كيلو متراً مكعباً في السنة) ينزل منه بتقدير الله (284.000 كيلو متراً مكعباً) فوق البحار والمحيطات، (96.000كيلو متراً مكعباً) فوق اليابسة، وفي عودته إلى الأرض يصرفه كيف يشاء، ومن ذلك أن الفرق بين البخر من أسطح البحار والمحيطات والمطر فوقها (ناقص36.000 كيلو متراً مكعباً) هو نفسه الفرق بين الأمطار على اليابسة والبخر الصاعد منها (زائد 36.000 كيلو متراً مكعباً) والزائد على اليابسة يفيض إلى البحار والمحيطات للمحافظة على مستوى منسوب الماء فيها في كل فترة زمنية محددة[1].

رابعاً: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

إن مياه الامطار التي تتساقط على الأرض تتخزن بعضها في باطن الأرض تجنباً من ضياعها، ثم تخرج على سطح الأرض بشكل ينابيع وأنهار تجنباً لجفاف الأنهار التي تصب في البحار، ولو شاء الله لمنع مياه باطن الأرض من الخروج على سطحها ولجفت الينابيع والأنهار وانعدمت الحياة على سطح الأرض.

وبالمقابل فإن المحيطات تسترجع نفس كمية الماء التي فقدتها بالتبخر عن طريق الأنهار التي تصب فيها بدون زيادة أو نقصان، فالماء يتبخر من البحار، فيشكل سحاباً في الهواء، ثم يعود على سطح الأرض بشكل أمطار، يشرب منها الإنسان والحيوان والنبات، وبعد هذا الاستهلاك من جميع الأحياء يعود الماء إلى الأرض بدون زيادة أو نقصان، وهذا ما يطابق العلم مع القرآن في أن دورة المياه الأرضية ثابتة[2].

إن الدورة المائية يتم بواسطتها تطهير الماء، وتلطيف جو الأرض، وتوفير نسبة معينة من الرطوبة في كل من غلافها الغازي وتربتها، فتسمح للكائنات الحية بما تحتاجه منها، وبواسطة هذه الدورة المائية تتم تسوية الأرض، وشق الفجاج والسبل فيه، ويتم تفتيت الصخور،

---

(1) وأنزلنا من السماء ماء طهورا، د.زغلول النجار، (موقع إلكتروني). بتصرف.

(2) الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، د. سمير عبد الحليم، ص56-57.بتصرف.

وتكوين كل من التربة والصخور الرسوبية، وخزن قدر من ماء الأرض فيها وفي غيرها من صخور قشرة الأرض، وتركيز عدد من الخامات الاقتصادية[1].

وإلى هذا المعنى يوجد إشارة من حبر الأمة ابن عباس رضي الله عنهما حيث يقول:" ما عام بأكثر مطراً من عام، ولكن الله يصرفه بين خلقه، قال ثم قرأ: ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ ..** ﴾ [الفرقان: 50] [2].

فمن أخبر النبي محمداً ﷺ بهذه الحقائق والأسرار، التي جاء وصفها دقيقاً في الآيات الكريمة التي تتحدث عن دورة الماء على سطح الأرض، ومنها قوله تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَاب* بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ**﴾ [المؤمنون: 18] وهذا ما سنتحدث عنه في المطلب التالي.

فالذي أخبر محمداً ﷺ هو من خلق الكون وأودع فيه هذه الحقائق والسنن، فالقرآن إذن هو كلام الله سبحانه، قد نزل به الوحي على النبي ﷺ ، وهذا ما يعرف بصدق الوحي والنبوة.

(1) ينظر: وأنزلنا من السماء ماء طهوراً ، د. زغلول النجار (موقع إلكتروني)

(2) ينظر: المرجع السابق (موقع إلكتروني)

المطلب الرابع:

تسكين المياه في الأرض

قال تعالى: : ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ*بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون: 18] .

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿ بِقَدَرٖ ﴾:القدر :مبلغ كل شيء، من (قدر) فأصل الكلمة يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، وقدرت الشيء أقدره من التقدير، والقدر: قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها [1].

﴿فَأَسۡكَنَّٰهُ﴾: من (سكن) والمعنى يدل على خلاف الاضطراب والحركة، يقال سكن الشيء يسكن سكوناً فهو ساكن، والسكن: الأهل الذين يسكنون الدار، والسكن: النار [2].

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

"يذكِّر الله تعالى عباده بنعمة إنزاله القطر من السماء بحسب الحاجة، لا كثيراً فيفسد الأرض والعمران، ولا قليلاً فلا يكفي الزروع والثمار، بل بقدر الحاجة إليه من السقي والشرب والانتفاع به، وجعل الماء إذا نزل من السحاب يخلد في الأرض والعمران، ولا قليلاً فلا يكفي الزروع والثمار، بل بقدر الحاجة إليه من السقي والشرب والانتفاع به، وجعل الماء إذا نزل من السحاب يخلد في الأرض، وجعل في الأرض قابلية له، تشربه ويتغذى به ما فيها من الحب والنوى.

ولوشاء الله ألا تمطر لفعل، ولوشاء لصرفه عنكم إلى السباخ والبراري والبحار والقفار، ولوشاء لجعله أجاجاً لا ينتفع به لشرب ولا لسقي، ولو شاء لجعله لا ينزل في الأرض، بل ينجر على وجهها، ولو شاء لجعله إذا نزل فيها يغور إلى مدى لا تصلون إليه ولا تنتفعون به، ولكن بلطفه ورحمته ينزل عليكم الماء من السحاب عذباً فراتاً زلالاً، فيسكنه في الأرض ويسلكه ينابيع في الأرض، فيفتح العيون والأنهار، فيسقي به الزروع والثمار، وتشربون منه ودوابكم وأنعامكم، وتغتسلون منه وتتطهرون وتتنظفون، فله الحمد والمنة"[3].

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة ، ابن فارس، ج62/5.

(2) ينظر: المرجع السابق، ج88/3.

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي، ج470/5-471.

ثالثاً: حقائق علمية حول تسكين المياه في الأرض:

قد كان الاعتقاد السائد قديماً أن باطن الأرض هو المصدر الوحيد لكل المياه التي تجري فوق سطحها، ولقد ظل هذا الإعتقاد راسخاً في أذهان العلماء حتى أثبت العلم أن دورة المياه تتكون خلال الجو عن طريق تبخر مياه البحار والمحيطات ثم سقوطها أمطاراً[1].

وتفيد العلوم الحديثة والكشوف العلمية أن المياه الجوفية ناشئة من المياه السطحية الآتية من المطر، وأنها تتسرب إلى باطن الأرض، حيث يسكن فيها الماء هذا الماء، ودليل ذلك أنه كلما كانت نسبة الأمطار أكثر كلما زاد هذا الماء في مكامن تحت سطح الأرض[2].

وتتوزع مياه الأمطار الساقطة على الأرض كما يأتي:

1- جزء يتبخر مباشرة ويعود إلى الغلاف الجوي.

2- الماء المنطلق وهو الجزء الذي يجري على السطح، وتتكون منه الأنهار والجداول.

3- الماء المتخلل والذي يتخلل إلى مستودعات المياه الجوفية، وهو الذي يدخل إلى التربة، ويتسرب منها إلى الصخور التي تحتها[3].

ونستطيع إجمالاً أن نقول إن حركة المياه الجوفية في باطن الأرض تتوقف على ثلاث صفات رئيسة للصخور، وهذه الصفات هي:**1- المسامية. 2- الإنفاذ. 3- الإمرار.**

أولاً: مسامية الصخور: يسمى الصخر مسامياً إذا كان يحتوي على فتحات صغيرة دقيقة بين حبيباته تسمى المسام، ولمسامية الصخور أهمية قصوى في جيولوجية المياه الجوفية، ومسامية الصخور تتوقف على عدة أشياء منها: درجة التقارب بين الحبيبات المكونة للصخر، وشكل الحبيبات المكونة للصخر، وطريقة ترتيب ورص الحبيبات، كذلك درجة تماسك الصخر.

ثانياً: الإنفاذ: هو سهولة مرور الماء وسرعة تحركه بين حبيبات الصخر وهذا ما نسميه نفاذية الصخور؛ فالطين مثلاً صخر غير منفذ، بينما الرمل منفذ جيد، والسبب في ذلك أن حبيبات الطين دقيقة جداً، ولذلك فإن الماء يمسك في هذه المسام بواسطة الخاصية الشعرية، وعلى ذلك

(1) ينظر: الموسوعة العلمية، شحاته صقر، ص426.

(2) ينظر، الماء في القرآن الكريم، العبادسة، ص426.

(3) ينظر، الموسوعة العلمية، شحاته صقر،ص426.

لا يسمح الطين بمرور الماء فيه، بل يمتصه ويبقيه بداخله، أما الرمل إن حبيباته كبيرة نسبياً ومتباعدة بعضها عن بعض، فيمر الماء خلاله بسهولة ويسر.

ثالثاً: الإمرار: هناك صخور تسمح بمرور الماء فيها بالرغم من أنها ليس بها مسام تُذكر بين حبيباتها؛ فالجرانيت مثلاً مساميته ضئيلة جداً، وكذلك الصخر الجيري الدولوميتي، ولكن غالباً ما تسمح بمرور الماء فيها، وذلك لوجود شقوق وفواصل تعمل كأنابيب تسمح بمرور الماء؛ فالماء هنا لا يمر خلال الصخر نفسه بين حبيباته، بل يمر خلال هذه الشقوق والفواصل[1].

ومن هنا نستطيع تقسيم الصخور بالنسبة لدراسة المياه الأرضية إلى أربعة أنواع هي:

1- صخور مسامية منفذه للمياه الأرضية، مثل الرمل.

2- صخور مسامية غير منفذه، مثل الطين.

3- صخور غير مسامية وممره مثل الحجر الجيري.

4- صخور غير مسامية وغير ممرة، مثل الكوارتزيت.

ومن الصفات السابقة نجد أنه قد أمكن تقسيم المياه الأرضية إلى نوعين:

1- المياه الأرضية الحرة: والتي لا يقيد حركتها إلا الجاذبية الأرضية.

2- المياه الأرضية المقيدة: والتي يقيد حركتها وجود طبقة مانعة كالطين مثلاً، إما فوقها أو تحتها، أو كلاهما معاً[2].

رابعاً: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

أكد العلم الحديث أن المياه الجوفية ناشئة من المياه السطحية الآتية من المطر، وأنها تتسرب إلى باطن الأرض فتحفظ هناك، بدليل أنه كلما كانت نسبة الأمطار أكثر، كلما زاد هذا الماء في مكامن تحت سطح الأرض، يسكن فيها هذا الماء قال تعالى: ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ والقرآن يقرر هذه الحقيقة منذ أربعة عشر قرناً من الزمن[3].

---

(1) تسكين المياه في الأرض، دز أحمد عبد العزيز مليجي، (موقع إلكتروني).بتصرف.

(2) المرجع السابق، (موقع إلكتروني). بتصرف.

(3) المرجع نفسه، (موقع إلكتروني). بتصرف.

إن الأمطار المتساقطة على الأرض تتسرب إلى مسامات التربة والفراغات بين الصخور وتختزن لآلاف السنين، كخزانات ضخمة وموارد محتملة للمستقبل، وهذا ما حدثنا عنه القرآن الكريم بقوله تعالى: : ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون: 18]

ولولا مسامية ونفاذ بعض الصخور ما تجمع ماء المطر، ولا سكن في الأرض، ولولا التغيرات الرأسية والجانبية في كل من المسامية والنفاذية ما أمكن خزن أي من ماء المطر، ولا أمكن إسكانه في صخور الأرض على هيئة مكامن مائية لآلاف السنين في بعض الأحوال، حتى يستفيد به أجيال من الخلق، ولولا حفظ هذه المكامن المائية من أخطار الحركات الأرضية مثل التصدعات الأرضية، والثورات البركانية، والمتداخلات النارية ما بقيت تلك المكامن المائية بل دمرت بالكامل، ولذلك قال تعالى: ﴿..وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون: 18]

كما يعد الغلاف الجوي أيضاً خزاناً للمياه حيث يحتوي على بخار الماء والغيوم بشكل دائم، وكذلك الأنهار خزانات جيدة للماء، على الرغم من مضي ملايين السنين على وجود هذه الأنهار فإن الماء لا يزال عذباً وصالحاً للشرب، والسر في ذلك هو أن هذا الماء في حركة مستمرة؛ فالنهر هو وسيلة الاتصال بين الينابيع العذبة والمياه السطحية الناتجة عن الأمطار من جهة أخرى؛ إذ هناك تحول دائم من الماء العذب إلى المالح، وعلى الرغم من ذلك تبقى كميات المياه العذبة والمالحة متوازنة، ولا يطغى هذا الماء مع مرور الزمن، هذه حقائق تشهد للقرآن الكريم بأنه كلام الله الخالق، كما تشهد لمحمد ﷺ بالنبوة والرسالة، لأنه لم يكن لأحد في زمن البعثة المحمدية علم بهذه الحقائق العلمية[1]، إلا أن يكون ذلك وحياً من الله لنبيه الأمي ﷺ، وهذا ما يعرف بدليل صدق الوحي والنبوة، وهو دليل مستوحى من الآيات الكونية القرآنية من جهة مع ما يتوافق ويتطابق معها مما يثبته العلم الحديث بعد أربعة عشر قرناً من نزول القرآن من جهة أخرى.

---

(1) ينظر، الماء في القرآن الكريم والعلم الحديث، د. محمد سلامة، ص40-43.

المبحث الثاني

البرزخ بين البحرين وبعض الظواهر البحرية

يزخر عالم البحار بالظواهر العجيبة التي تحدث عنها القرآن الكريم قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام، والتي تعدُّ من شواهد الصدق الدالة على ربانية هذا القرآن وصدق من أرسل إليه، وسنبين ذلك من خلال المطالب الثلاثة الآتية:

المطلب الأول:

البرزخ بين البحرين والحجر المحجور

قال الله تعالى: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا**﴾ [الفرقان: 53]

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿ **مَرَجَ** ﴾ الأصل اللغوي للكلمة يدل على مجيء وذهاب واضطراب، وقوله تعالى: ﴿**مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ**﴾ [الرحمن: 19] ، كأنه جل ثناؤه أرسلهما فمرجا(1).

﴿**فُرَاتٌ**﴾: ماء فرات شديد العذوبة(2).

﴿**أُجَاجٌ**﴾: ماء أجاج ملح؛ ومنه المحرق من شدة ملوحته، وقيل: مر؛ أو شديد المرارة، ومن معاني الأجاج الشديد الحرارة(3).

﴿**بَرْزَخًا**﴾: البرزخ هو ما بين كل شيئين؛ فهو الحاجز والحد بين الشيئين، والبرزخ: ما بين الدنيا والآخرة قبل الحشر (4).

﴿**حِجْرًا**﴾ والحِجْر: الممنوع منه بتحريمه، قال تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً**﴾ [الفرقان: 22]، كان الرجل إذا لقي من يخاف يقول ذلك، فذكر تعالى أنّ الكفار إذا رأوا الملائكة قالوا ذلك؛ ظنّا

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة، ابن منظور، ج315/5.

(2) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، مختار، ج1683/3.

(3) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ج207/2.

(4) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص118، تاج العروس، الزبيدي، ج234/7.

أنّ ذلك ينفعهم، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً﴾ [الفرقان/ 53] ، أي: منعاً لا سبيل إلى رفعه(1).

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

والله هو الذى أجرى البحرين البحر العذب والبحر الملح، وسمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين، وخلاّهما متجاورين متلاصقين أحدهما شديد العذوبة حتى يقرب إلى الحلاوة، والآخر صفتة شدة الملوحة، وجعل المجرى لكل واحد يجاور المجرى الآخر، ومع ذلك لا يختلطان، نعمة ورحمة بالناس (2).

"ومرْج البحرين آية كوينة تدل على قدرة الله تعالى، فالماء مع ما عُرف عنه من خاصية الاستطراق يعني: يسير إلى المناطق المنخفضة، يسير المالح والعذب معاً دون أن يختلط أحدهما بالآخر، ولو اختلطا لَفَسدا جميعاً؛ لأن العَذْب إنْ خالطه المالح أصبح غيْرَ صالح للشرب، وإنْ خالط المالح العذب فسد المالح، وقد خلقه الله على درجة معينة من الملوحة بحيث تُصلحه فلا يفسد، وتحفظه أن يكون آسناً.

فالماء العذب حين تحصره في المكان يأسن ويتغير، أمّا البحر، فقد أعدَّه الله ليكون مخزن الماء في الكون ومصدر البَخْر الذي تتكون منه الأنهار؛ لذلك حفظه، وجعل بينه وبين الماء العذب تعايشاً سِلْمياً، لا يبغي أحدهما على الآخر رغم تجاورهما"(3).

ومع وجود البحرين في مكان واحد فقد جعل الله بينهما برزخاً ساتراً مانعاً من اختلاطهما، فلا يبغي هذا على هذا بأن يعذب الملح أو يملح العذب (4).

ثالثاً: حقائق علمية حول البرزخ الكائن بين البحار والأنهار:

البحار المالحة تلتقي مع بعضها في المضايق، كما تلتقي الأنهار العذبة مع البحار في المصبات، وهناك تحدث ظواهر عجيبة لا يمكن أن يراها الإنسان، فالانطباع المعروف بأذهان الناس أن البحر المالح هو بحر واحد، لكن علماء البحار اكتشفوا أن البحار المالحة يختلف

---

(1) ينظر: تاج العروس، الزبيدي، ص220.

(2) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ج2/ 544، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، نخبة من العلماء، ص538.

(3) تفسير الشعراوي، الشعراوي، ج17/ 10469– 10470.

(4) ينظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج3/ 623.

بعضها عن بعض، وهذا الاختلاف يكون بدرجة الحرارة، ودرجة الملوحة، والكثافة، وكذلك الأحياء المائية والأسماك، فتبين أن هناك بحرين مالحين يفصل بينهما حاجز مركب من ماء ثالث، يتميز بخصائص مختلفة ومستقلة عن البحرين الذي يفصل بينهما، وقد تم اكتشاف هذه الظاهرة العجيبة عام 1962م على يد بعثة ألمانية أقامت في باب المندب، وهذا الحاجز أصبح الآن مرئياً ويمكن تصويره بالسفن الفضائية، وأضاف العلماء أن هذا الحاجز ليس ثابتاً في مكانه طوال السنة ولكنه يتحرك ويتردد بسبب الأمواج والرياح والمد والجزر وعمقه في البحر يقارب ألف متر وهذا ما يطابق الآية في كلمة مرج(1).

"ومع تقدم العلم وانطلاقه لاكتشاف أسرار الكون، وبعد مسح لعدد كبير من مناطق اللقاء بين الأنهار والبحار، اتضحت للعلماء بعض الأسرار التي كانت محجوبة عن الأنظار، واكتشف الباحثون أن المياه تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

1- **مياه الأنهار:** وهي شديدة العذوبة.

2- **مياه البحار:** وهي شديدة الملوحة.

3- **مياه في منطقة المصبّ**، مزيج من الملوحة والعذوبة، وهي منطقة فاصلة بين النهر والبحر، متحركة بينهما بحسب مدّ البحر وجزره، وفيضان النهر وجفافه، وتزداد الملوحة فيها كلما قربت من البحر، وتزداد درجة العذوبة كلما قربت من النهر.

4- **يوجد برزخ مائي يُحيط بمنطقة المصبّ**، ويحافظ على هذه المنطقة بخصائصها المميزة لها، حتى ولو كان النهر يصب إلى البحر من مكان مرتفع في صورة شلال.

5- عدم اللقاء المباشر بين ماء النهر وماء البحر في منطقة المصب، بالرغم من حركة المد والجزر وحالات الفيضان والانحسار، التي تُعتبر من أقوى عوامل المزج؛ لأن البرزخ المحيط بمنطقة المصب يفصل بينهما على الدوام.

6- يمتزج ماء النهر بماء البحر بصورة بطيئة، مع وجود المنطقة الفاصلة من مياه المصب، والبرزخ المائي الذي يُحيط بها، ويحافظ على جوّدِها.

7- تختلف الكتل المائية الثلاث؛ ماء النهر، ماء البحر، ماء المصب؛ في الملوحة والعذوبة"(2).

---

(1) ينظر:الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني ، د.سمير صقر، ص51.

(2) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، جامعة المدينة، ص323-324.

8- قرر العلماء بأن معظم الكائنات الحية التي تعيش في البحر أو النهر أو المصب لا تستطيع أن تعيش في غير بيئتها وتموت إذا خرجت منها، وقد تم بواسطة الأقمار الصناعية تصوير الحاجز الذي يحفظ به الله منطقة المصب، وحدود هذه الكتل المائية الثلاث[1].

رابعاً: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

"تزيد غزارة بعض أنهار أمريكا على ثلاثمئة ألف متر مكعب في الثانية، وتصب في المحيط الأطلسي، ويمتد مسيرها في البحر ثمانين كيلو مترا، هذا الماء العذب يسير داخل الماء المالح، ومع ذلك لا يختلطان، ولا يتمازجان، لأن: ﴿**بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ**﴾ ، فهناك بين الماء العذب، والماء المالح حجر محجور، ففي الحجر المحجور حجر على هذه الأسماك من أن تنتقل إلى الماء المالح، وحجر على تلك الأسماك أن تنتقل إلى الماء العذب، وحينما اطلع بعض هؤلاء العلماء، وهم في نشوة اكتشافهم هذا، على أن في القرآن الكريم إشارة إلى هذا الكشف العلمي، وهي قوله تعالى: ﴿**مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ [الرحمن: 19- 21]، أخذتهم الدهشة، وقد اكتشفوا أيضا أن بين البحرين الملح الأجاج، والعذب الفرات شيئين.. حاجزا يمنع مياه كل بحر أن تطغى على الآخر، كما هو بين البحرين المالحين، وحاجزا يمنع أسماك المياه العذبة أن تنتقل إلى المياه المالحة، ويمنع أسماك المياه المالحة أن تنتقل إلى المياه العذبة، فلا يبغي بحر على بحر، بل يحافظ كل بحر على كثافة مياهه، ودرجة ملوحته، ومكوناته، وهذا الحاجز بين البحرين ليس ثابتاً، بل هو متحرك بفعل الرياح، وحركة المد والجزر، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الكشف العلمي الثاني، فسمى الحاجز الأول برزخاً، وسمى الحاجز الثاني حجراً، فقال تعالى: ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا**﴾ [الفرقان: 53] "[2].

لقد دلَّ الوصف التاريخي على تطور علوم البحار، وعلى عدم وجود أيَّة معلومات علمية في هذا الموضوع، قبل أربعة عشر قرنًا وهو زمن نزول القرآن الكريم على رسول الله ﷺ، فعلوم البحار لم تتقدم إلا في القرنين الأخيرين، وخاصة في النصف الأخير من القرن العشرين،

---

(1) ينظر: المعجزة الخالدة، د.علي الصلابي، ص174.

(2) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د.محمد راتب النابلسي، ج2/ 101 بترقيم الشاملة آليا.

وقبل ذلك كان البحر مجهولًا مخيفًا، تكثر عنه الأساطير والخرافات، وجل ما يعتني به راكبوه السلامة، وصحة مسارهم أثناء رحلاتهم الطويلة [1].

إن القرآن الكريم جاء بإشارات علمية بأدق وصف لأدق الأسرار في زمن يستحيل على البشر فيه معرفتها ليدل على مصدره الإلهي، كما يدل على أن الذي أنزل عليه الكتاب رسول يوحى إليه وصدق الله القائل: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: 53] [2].

فمن أخبر النبي الأمي في الأمة الأمية في البيئة الصحراوية، حيث لا وجود لنهر ولا لمصبِّه عن هذه الأسرار الدقيقة، وكم استخدم من الآلات الدقيقة والأجهزة الحديثة حتى تمكن من الوصول إلى هذه الحقائق، التي جَرَت على لسان النبي الأمي قبل ألف وأربعمائة عام بأوجز تعبير وأوضح بيان، من أين جاء هذا العلم لسيدنا محمد – عليه الصلاة والسلام، إن لم يكن من عند الله الذي ﴿..أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [الطلاق: 12] [3] .

لقد اندهش العالم الفرنسي المشهور جاك كوستو وهو من أكبر علماء البحار في فرنسا وصاحب الأفلام التلفزيونية عن البحار بعد إعلانه اكتشاف وجود حاجز من ماء بين بحرين مالحين يختلف في تركيبه عن تركيب كل من البحرين بسبب سبق القرآن إلى هذه الحقيقة فقال:"إذا كان هذا حقاً قد وجد في القرآن فأشهد أن هذا لا يكون إلا من عند الله وأن محمداً هو رسول الله" [4].

والسؤال الذي يطرح نفسه هو هل امتلك النبي محمد ﷺ في زمنه من أبحاث وآلات ودراسات ما تيسر للعلماء الذين اكتشفوا تلك الأسرار بالبحث والدراسة، والواقع أن الذي تيسر لرسول الله ﷺ أكبر من ذلك، فقد جاءه النبأ من العليم الخبير، الذي أنزل عليه ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ .. ﴾ [الفرقان: 6] وهل كان رسول الله ﷺ يملك تلك المحطات البحرية، وأجهزة تحليل كتل المياه، والقدرة على تتبع حركة الكتل المائية المتنوعة، وهل قام

---

(1) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، جامعة المدينة، ص337.

(2) ينظر: الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني ، د.سمير صقر، ص53.

(3) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، جامعة المدينة، ص325–326.

(4) ينظر: المعجزة الخالدة، د. علي الصلابي،ص177.

بعملية مسح شامل، وهو الذي لم يركب البحر قط، وعاش في زمن كانت الأساطير هي الغالبة على تفكير الإنسان، وخاصة في ميدان البحار [1].

والإجابة بيقين أنه ﷺ نبي أمي علمه الله تعالى بالوحي، وحباه بأدلة تشهد بصدقه يكتشفها أهل كل عصر لتكون بينات تدل الباحثين عن الحقيقة بموضوعية فيهتدوا إلى صدق الوحي والنبوة بمعنى أن القرآن هو كلام الله قطعاً، وأن محمداًﷺ هو رسول الله قطعاً.

(1) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، جامعة المدينة،ص337-338.

المطلب الثاني:

ظلماتٌ وأمواجٌ ضخمة في أعماق المحيطات:

قال الله تعالى: ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: 40] .

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿لُّجِّيٍّ﴾: لُجَّةُ البحر تردّد أمواجه[1]، وبحر لجي واسع اللجة [2] ، واللجة: الماء الكثير الذي لا يرى طرفاه، ولجة البحر: حيث لا يدرك قعره [3]، وذكر الطبري بسنده في معنى قوله تعالى: ﴿بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ عميق[4].

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

"ضرب الله مثلاً لأعمال الكفار في الأصل الذي بنيت عليه من الخطأ والفساد والضلالة والحيرة، وأنها على غير هدى، مثل ظلمات في بحر عميق كثير الماء، يغشى البحر موج، ومن فوق الموج موج آخر يغشاه، ومن فوق الموج الثاني الذي يغشى الموج الأول سحاب فجعل الظلمات مثلا لأعمالهم، والبحر اللجي مثلا لقلب الكافر، الذي غمره الجهل، وتغشته الضلالة والحيرة، كما يغشى هذا البحر اللجي موج من فوقه موج من فوقه سحاب، فكذلك قلب هذا الكافر الذي مثل عمله مثل هذه الظلمات، يغشاه الجهل بالله، بأن الله ختم عليه، فلا يعقل عن الله، وعلى سمعه، فلا يسمع مواعظ الله، وجعل على بصره غشاوة ، فلا يبصر به حجج الله، فتلك ظلمات بعضها فوق بعض"[5].

---

(1) ينظر: المفردات في غريب القرآن،الراغب الأصفهاني، ص736.

(2) ينظر: العين، الخليل ابن أحمد الفراهيدي، ج19/6.

(3) ينظر: تاج العروس، الزبيدي، ج180/6.

(4) ينظر: جامع البيان، الطبري ج331/17، الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، حكمت بشير ياسين، ج475/3.

(5) جامع البيان، الطبري، ج17/ 329-330.

يقول الإمام القرطبي: "والمراد بهذه الظلمات ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة الليل وظلمة البحر، فلا يبصر من كان في هذه الظلمات شيئاً ولا كوكباً، ﴿ **إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ** ﴾ يعني الناظر﴿ **لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ** ﴾ أي من شدة الظلمات.

وأصح الأقوال في هذا أن المعنى لم يقارب رؤيتها، فإذا لم يقارب رؤيتها فلم يرها رؤية بعيدة ولا قريبة ﴿ **وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا** ﴾ يهتدي به أظلمت عليه الأمور" [1].

"وأخرج الطبري بسنده الحسن عن أبي بن كعب رضي الله عنه: أن الكافر يتقلب في خمس من الظلم، فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة إلى النار" [2].

ثالثاً: حقائق علمية حول الأمواج الداخلية في أعماق المحيطات:

تحجب السحب بالانعكاس والتشتيت والامتصاص حوالي49% من أشعة الشمس، والأمواج السطحية للبحار تعكس5% أخري منه، ويتوهن ضوء الشمس المرئي بمروره في ماء البحار والمحيطات حيث يتعرض لعمليات كثيرة من الانكسار، والتحلل إلي الأطياف المختلفة والامتصاص، ولذلك يضعف الضوء المار في الماء بالتدريج مع العمق، يتم امتصاص الطيف الأحمر الكامل على عمق لا يتجاوز عشرة أمتار، ويليه في الامتصاص الطيف البرتقالي، ثم الأصفر والذي يتم امتصاصه بالكامل على عمق لا يتجاوز الخمسين متراً ويلي ذلك الطيف الأخضر، والذي يتم امتصاصه بالكامل على عمق مائه متر في المتوسط.

ويستمر الطيف الأزرق بعد ذلك ليتم امتصاصه على عمق يزيد قليلاً على المائتي متر، فبعد مائتي متر من أسطح تلك الاوساط المائية يبدأ الإظلام شبه الكامل، حيث لا ينفذ بعد هذا العمق سوي أقل من0،01% من ضوء الشمس، ويظل هذا القدر الضئيل من الضوء المرئي يتعرض للانكسار والتشتت والامتصاص حتى يتلاشى تماماً على عمق لايكاد يصل إلي كيلومتر واحد تحت مستوى سطح البحر؛ وعليه فإن أعماق المحيطات تغرق في ظلام دامس[3].

---

(1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج12/ 285.

(2) جامع البيان، الطبري، ج17/ 331، الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، ج3/ 475.

(3) أو كظلمات في بحر لجي، د. زغلول النجار، موقع الدكتور زغلول النجار.(موقع إلكتروني).بتصرف

وقد "وصف العلماء بأن البحر ينقسم إلى قسمين: بحر سطحي وبحر عميق (لجي) بينهما فاصل وفي هذا الفاصل بينهما ينشأ موج كبير يغطي البحر العميق، وفوق هذا الموج يوجد البحر السطحي الذي يغطيه الموج السطحي، وأن الأمواج تحدث ظلمة، وهذه الظلمة تبدأ بعد 200متر تحت سطح البحر، فلا يرى بعد ذلك إلا ظلام دامس، لا يستطيع المرء أن يرى يده، كما أن البحر السطحي والبحر العميق هما مختلفان من حيث درجة الحرارة والكثافة والأسماك والنور"[1].

بالإضافة إلي تحلل الضوء الأبيض عند مروره في ماء البحار والمحيطات، فإن السبب الرئيس في إحداث الإظلام التام الأمواج الداخلية، وتتكون الأمواج الداخلية عند الحدود الفاصلة بين كل كتلتين مائيتين مختلفتين في الكثافة، وهي أمواج ذات أطوال وارتفاعات تفوق أطوال وارتفاعات الأمواج السطحية بمعدلات كبيرة، حيث تتراوح أطوالها بين عشرات ومئات الكيلومترات، ويصل ارتفاع الموجة إلى مائتي متر، وتتحرك بسرعات تتراوح بين100- 5 سنتيمتر في الثانية، لمدد تتراوح بين أربع دقائق وخمس وعشرين ساعة[2].

نشرت جريدة تيلي غراف في 2007/12/13 مقالاً بعنوان: العلماء يكتشفون الأمواج العميقة في المحيط Deep ocean waves discovered by scientists حيث إن علماءً بريطانيون اكتشفوا أمواجاً تتدفق في أعماق المحيط الهادئ، وجاء في هذا الخبر أن اكتشاف هذه الأمواج العميقة في المحيط قد سببت مفاجأة للعلماء؛ لأنهم لم يتوقعوا أن يشاهدوا أمواجاً تشبه تلك التي نعرفها في أعماق المحيط، لقد توقعوا أن يجدوها على عمق 50 متراً كما أشارت إلى ذلك الصور القادمة من الأقمار الاصطناعية، ولكن الذي فاجأهم وجودها على عمق 1500 متراً[3].

رابعاً: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ**

(1) الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، د. سمير صقر، ص52-53.

(2) أو كظلمات في بحر لجي، د. زغلول النجار، موقع الدكتور زغلول النجار.(موقع إلكتروني). بتصرف

(3) أمواج كناطحات السحاب في أعماق المحيطات،عبد الدايم الكحيل، (موقع إلكتروني). بتصرف.

مِن نُّورٍ ﴾ [النور: 40] إن مثل الظلمات دل على حقائق علمية تتصل بالعلوم الدنيوية المادية التطبيقية أو النظرية، فقد أثبت القرآن الكريم:

1"- **وجود ظلمات في البحر العميق**، وقيد وصف البحر بلفظ "لُجِّي" ليعلم قارئ القرآن الكريم أن هذه الظلمات لا تكون إلا في بحر لجي أي عميق ﴿**أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ** ﴾ ويخرج بهذا القيد البحر السطحي الذي لا توجد فيه هذه الظلمات، وهذه الظلمات تتكون بسبب العمق في البحر اللجي فالبحر اللجي يكون قعره مظلماً جداً.

2- **وذكر القرآن الكريم: أن للبحر العميق موج يغشاه من أعلاه**: قال تعالى: ﴿**أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ ..** ﴾.

3- **أشارت الآية إلى وجود موج آخر فوق الموج الأول**، قال تعالى: ﴿**..يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ..**﴾ ، وهذه صفة للبحر وهي: وجود موجين في وقت واحد أحدهما فوق الآخر، وليس أمواجاً متتابعة على مكان واحد بل هي موجودة في وقت واحد، والموج الثاني فوق الموج الأول، وتشير الآية إلى أن فوقية الموج الثاني على الموج الأول كفوقية السحاب على الموج الثاني، قال تعالى: ﴿**..يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ..** ﴾.

واشتملت الآية على ذكر ظلمات الأعماق السبعة في أولها وهي سبع ظلمات بعضها فوق بعض تنشأ من التلاشي التدريجي لألوان الطيف السبعة، وظلمات الحوائل الثلاثة: السحب، الموج السطحي، والموج الداخلي ﴿**أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا** ﴾" [1].

4- **وبينت الآية التدرج في اشتداد الظلام في البحار العميقة** باستعمال فعل من أفعال المقاربة وهو (كاد) وجعلته منفياً. قال تعالى: " ﴿**إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا**ۗ ﴾ "فدل هذا الاستعمال الدقيق على معنيين:

الأول: أن الذي يخرج يده في هذه الأعماق ليراها لا يراها البتة، لأن فعل المقاربة كاد جاء منفياً، فإذا نفيت مقاربة الرؤية دلت على تمام نفي الرؤية.

(1) أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج، الشيخ عبد المجيد الزنداني، موقع إلكتروني.

الثاني: والآية استعملت تعبيراً يدل على المعنيين معاً فتكون الرؤية بصعوبة في الأعماق البعيدة، على عمق (1000) متر تقريباً فتأمل كيف جاء التعبير القرآني الموجز دالاً على المعاني الصحيحة المتعددة بعد تطوير غواصات خاصة لدراسه تلك الاعماق، تفاجئنا البحوث العلمية بوجود بلايين الكائنات الحية التي تنتشر في تلك الظلمة الحالكة، وقد زودها خالقها بوسائل إنارة ذاتية في صميم بنائها الجسدي تعرف باسم الإنارة الحيوية، ومن العجيب أن كل نوع من أنواع هذه الأحياء الخاصة، والتي تحيا في بيئات من الظلمة التامة له أنواع خاصة من المركبات الكيميائية المنتجه للضوء.

5- **هناك سؤال يفرض نفسه:** مَنْ غيرُ اللهِ الخالق يمكنه أن يعطي كل نوع من أنواع تلك الأحياء البحرية العميقة هذا النور الذاتي؟ وهنا يتضح البعد المادي الملموس لهذا النص القرآني المعجز، كما يتضح بعده المعنوي الرفيع ﴿**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ**﴾ [(1)].

"لقد ذكر القرآن الكريم معلومات دقيقة عن وجود ظلمات في البحار العميقة، وأشار إلى سبب تكوينها، ووصفها بأن بعضها فوق بعض، ولم يتمكن الإنسان من معرفة هذه الظلمات إلا بعد بعد عام 1930م. وأخبر القرآن عن وجود موج داخلي في البحار لم يعرفه الإنسان إلا بعد عام 1900م، كما أخبر بأن هذا الموج الداخلي يغطي البحر العميق، الأمر الذي لم يعرف إلا بعد صناعة الغواصات بعد الثلاثينيات من القرن العشرين، كما أخبر القرآن عن دور الموج السطحي، والموج الداخلي في تكوين ظلمات في البحار العميقة، وهو أمر لم يعرف إلا بعد تقدم العلم في القرون الأخيرة. وما سبق من المعلومات لم يكتشفه الإنسان إلا بعد أن ابتكر أجهزة للبحث العلمي تمكنه من الوصول إلى هذه الأعماق، ودراسة هذه الظواهر، وبعد أن استغرق البحث فترة طويلة امتدت لثلاثة قرون من الزمن، واحتشد لها مئات الباحثين والدارسين حتى تمكنوا من معرفة تلك الحقائق. فمن أخبر محمداً ﷺ بهذه الأسرار في أعماق البحار؛ في وقتٍ كانت وسائل البحث العلمي فيه معدومة، والخرافة والأسطورة هي الغالبة على سكان الأرض في ذلك الزمان، وبخاصة في مجال البحار؟ كيف جاءه هذا العلم الدقيق بهذه الأسرار، وهو الرجل الأمي في أمة أمية وبيئة صحراوية، ولم يتيسر له ركوب البحر طوال حياته ؟

وحين عرضت هذه الحقائق على البرفسور (راو) وسئل عن تفسيره لظاهرة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وكيف أُخبر محمد ﷺ بهذه الحقائق منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام

---

(1) ينظر: أو كظلمات في بحر لجي، د. زغلول النجار، (موقع إلكتروني)

أجاب: (من الصعب أن نفترض أن هذا النوع من المعرفة العلمية كان موجوداً في ذلك الوقت منذ ألف وأربعمائة عام، ولكن بعض الأشياء تتناول فكرة عامة، ولكن وصف هذه الأشياء بتفصيل كبير أمر صعب جداً، ولذلك فمن المؤكد أن هذا ليس علماً بشرياً بسيطاً. لا يستطيع الإنسان العادي أن يشرح هذه الظواهر بذلك القدر من التفصيل، ولذلك فقد فكرت في قوة خارقة للطبيعة خارج الإنسان، لقد جاءت المعلومات من مصدر خارق للطبيعية)" (1).

فيما سبق دليل جازم أن العلم الذي حملته هذه الآية قد أنزله الله الذي يعلم السر في السموات والأرض، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ [الفرقان:6]، وقال تعالى: ﴿**لَّـٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا**﴾ [النساء:166]، وقال تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الْآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [فصلت:53]

إنه دليل قاطعٌ على أن القرآن كلام الله قطعاً وأن محمداً ﷺ هو رسول الله حقاً وهذا ما يعرف بصدق الوحي والنبوة.

---

(1) أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج، الشيخ عبد المجيد الزنداني،(موقع إلكتروني)

المطلب الثالث:

البحر المسجور

قال الله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ * وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ * فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ * وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ *وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ * وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴾ [الطور: 1– 7] .

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿ٱلۡمَسۡجُورِ ﴾:أصله من: سجر، ويدل المعنى على الملء، والمخالطة، والإيقاد. فأما الملء، فمنه البحر المسجور، أي المملوء. وأما المخالطة فالسجير: الصاحب والخليط. وأما الإيقاد فقولهم: سجرت التنور، إذا أوقدته[1].

وقد أخرج الطبري –رحمه الله– بسنده الصحيح ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾قال: الموقد. وكذلك بسنده الحسن قوله ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾الممتلئ. وأيضاً بسنده الحسن ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾ يقول: المحبوس [2].

و ﴿ٱلۡمَسۡجُورِ﴾له عدة معانٍ عند المفسرين:

"**المعنى الأول:** الممتلئ.

المعنى الثاني: أن البحر المسجور هو المفجور على ما قال الله تعالى في موضع آخر: {وإذا البحار فجرت} .

المعنى الثالث: أن البحر المسجور هو الموقد ناراً.

المعنى الرابع: أن البحر المسجور هو البحر الذي يبس ماؤه وذهب" [3].

ترجيح الإمام الطبري:

يقول الإمام الطبري –رحمه الله– : "وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه: والبحر المملوء المجموع ماؤه بعضه في بعض، وذلك أن الأغلب من معاني

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج3/ 135.

(2) جامع البيان، الطبري، ج21/ 568، الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، حكمت بشير ياسين، ج4/ 394.بتصرف يسير.

(3) تفسير السمعاني، أبو المظفر السمعاني، ج/ 268.

السجر: الإيقاد، كما يقال: سجرت التنور، بمعنى: أوقدت، أو الامتلاء..، فإذا كان ذلك الأغلب من معاني السَّجْر، وكان البحر غير مُوقَد اليوم، وكان الله تعالى ذكره قد وصفه بأنه مسجور، فبطل عنه إحدى الصفتين، وهو الإيقاد صحّت الصفة الأخرى التي هي له اليوم، وهو الامتلاء، لأنه كلّ وقت ممتلئ" [1] .

وإذا نظرنا إلى ترجيح الإمام الطبري فسنجد أنه يميل إلى أن الغالب من معنى السجر هو الإيقاد، ولكن ما جعله يرجح أن المسجور معناه المملوء هو عدم مشاهدته لحقيقة أن هناك بحار مسجورة بالصهارة البركانية، ولو شاهد ما شاهده العلماء اليوم لأكد معنى الإيقاد.

ومع ذلك فإن معنى المملوء والمحبوس لا يتعارضان أيضاً مع الحقائق العلمية للبحار، وهذا ما سنثبته من خلال ذكرنا للحقائق، فهذه البحار ممتلأة بالماء، وكذلك فهي محبوسة عن غمر اليابسة برحمة الله تعالى، وقد تقدم من الآثار المحتج بها من حيث إسنادها صحة اعتماد كل هذه المعاني، وهو من باب التفسير بالمأثور.

ثانياً: التفسير الإجمالي للآيات:

يقسم الحق سبحانه وتعالى بالطور، والطور اسم جنس للجبال عند أهل اللغة، وبالكتاب المكتوب أسطاراً، الذي يشمل الكتب الإلهية المنزلة كالتوراة والإنجيل والقرآن وغيرها، في الورق المبسوط المعد للكتابة، وبالكعبة المشرفة التي تعمّر كل عام بالحجاج والزوار، وبالسماء العالية التي هي كالسقف، وبالبحر المملوء ماء، المحبوس عن الأرض، إن المقسم عليه وهو عذاب الله لواقع كائن في القيامة لا محالة، لمن يستحقه من الكافرين والعصاة الذين كذبوا الرسل [2].

ثالثاً: بعض الحقائق العلمية حول البحر المسجور :

"اقتضت حكمة الله سبحانه توزيع ماء الأرض بدقة بالغة بين البيئات المختلفة بالقدر الكافي لمتطلبات الحياة، وبالأقدار الموزونة التي لو اختلت قليلاً بزيادة أو نقص لغمرت الأرض وغطت سطحها بالكامل أو انحسرت تاركة مساحات هائلة من اليابسة، فلو أن الجليد المتجمع فوق قطبي الأرض وفي قمم الجبال المرتفعة فوق سطحها انصهر، وهذا لا يحتاج إلا إلى مجرد الإرتفاع في درجة حرارة صيف تلك المناطق بحوالي خمس درجات مئوية، فإن كم الماء

(1) جامع البيان ، الطبري ج21/ 569-570.
(2) ينظر: التفسير الوسيط ، الزحيلي، ج3/ 2512.

يكاد يتجاوز الخمسمائة كيلومتراً؛ فقد مرت بالأرض فترات كانت مياه البحار فيها أكثر غمراً لليابسة من حدود شواطئها الحالية.

كما مرت فترات أخرى كان منسوب الماء في البحار والمحيطات أكثر إنخفاضاً من منسوبها الحالي؛ مما أدى إلى انحصار مساحة اليابسة، والضابط في الحالتين كمية الجليد المتجمع فوق قطبي الأرض ، وفي قمم الجبال، وفوق بعض الأجزاء الأخرى من اليابسة؛ فكلما زادت كمية الجليد انخفض منسوب الماء في البحار والمحيطات، فانحصرت عن اليابسة التي تزيد مساحتها زيادة ملحوظة، وكلما قلت كمية الجليد ارتفع منسوب المياه في البحار والمحيطات وطغت على اليابسة التي تتضاءل مساحتها تضاؤلاً ملحوظاً"[1].

وقد "ثبت لكل من علماء الأرض والبحر بالأدلة المادية الملموسة أن كل محيطات الأرض بما في ذلك المحيطان المتجمدان الشمالي والجنوبي، وأن أعداداً ا من بحارها؛ من مثل: البحر الأحمر قيعانها مسجرة بالصهارة الصخرية المندفعة بملايين الأطنان من داخل النطاق الضعيف في الأرض عبر شبكة الصدوع العملاقة التي تمزق الغلاف الصخري للأرض بالكامل، وتصل إلى نطاق الضعف الأرضي.

وتتركز هذه الشبكة من الصدوع العملاقة أساسًا في قيعان البحار والمحيطات، وأ ن كم المياه في تلك الأحواض العملاقة على ضخامته لا يستطيع أن يطفئ جذوة تلك الطفوح من الصهارة الصخرية المندفعة من داخل الأرض إطفاء كاملًا، وأن هذه الجذوة على شدة حرارتها أكثر من ألف درجة مئوية لا تستطيع أن تبخر هذا الماء بالكامل؛ وذلك لأنه عندما يتبخر الماء باندفاع الصهارة فيه فإنه يرتفع إلى أعلى ليلامس ماء أبرد فيتكثف ويعود إلى قاع البحر مرة أخرى؛ ليعاود الكرة من جديد، وهكذا ليبقى هذا الاتزان الدقيق بين الأضداد من الماء والحرارة العالية هو من أكثر ظواهر الأرض إبهارا للعلماء في زماننا، وهي حقيقة لم يتمكن الإنسان من اكتشافها إلا في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن العشرين"[2]

---

(1) الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة، شحاته صقر، ص431.

(2) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مناهج جامعة المدينة، ص224-225.

رابعاً: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

من أكثر الآيات الباهرة في البحار والمحيطات ما جاء به القرآن الكريم في وصف البحر بأنه مسجور، قال تعالى: ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ﴾ [الطور: 6] .

ومن معاني هذا القسم القرآني، أن الله تعالى يمن علينا، بأن ملأ منخفضات الأرض بماء البحار والمحيطات، وحجز هذا الماء عن مزيد من الطغيان على اليابسة؛ وذلك بحبس كميات من هذا الماء في هيئات متعددة؛ أهمها ذلك السمك الهائل من الجليد المتجمع فوق قطبي الأرض، وعلى قمم الجبال، والذي يصل إلى أربعة كيلومترات في قطب الأرض الجنوبي، وإلى ثلاثة آلاف وثمانمائة من الأمتار في القطب الشمالي؛ ولولا ذلك لغطى ماء الأرض أغلب سطحها، ولما بقيت مساحة كافية من اليابسة للحياة بمختلف أشكالها الإنسانية والحيوانية والنباتية، من هنا كان تفسير القسم ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾ بمعنى المكفوف عن اليابسة(1).

والمسجور في اللغة هو الذي أوقد عليه حتى أصبح حارا، والماء يتناقض مع النار، لأن وجود أحدهما ينقض وجود الآخر، حيث إننا نطفىء النار بالماء، فكيف يكون البحر مسجورا؟ (2).

"إن حقيقة البحر المشتعل أو (البحر المسجور) أصبحت يقيناً ثابتاً. حيث تمتد التصدعات الأرضية لتشمل قاع البحار والمحيطات، ففي قاع البحار هنالك تصدعات للقشرة الأرضية وشقوق يتدفق من خلالها السائل المنصهر من باطن الأرض، وقد اكتشف العلم الحديث هذه الشقوق حيث تتدفق الحمم المنصهرة في الماء لمئات الأمتار، والمنظر يوحي بأن البحر يحترق! هذه الحقيقة حدثنا عنها القرآن عندما أقسَم الله تعالى بالبحر المسجور أي المشتعل، يقول عز وجل: ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾ [الطور: 6] .فنحن نستطيع اليوم مشاهدة الحمم المنصهرة في قاع المحيطات وهي تتدفق وتُلهب مياه المحيط ثم تتجمَّد وتشكل سلاسل من الجبال قد يبرز بعضها إلى سطح البحر مشكلاً جزراً بركانية. هذه الحقيقة العلمية لم يكن لأحد علم بها أثناء نزول القرآن ولا بعده بقرون طويلة، فكيف جاء العلم إلى القرآن ومن الذي أتى به في ذلك الزمان؟

---

(1) ينظر: الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة، شحاته صقر، ص431.

(2) ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، النابلسي، ج2/ 96 بترقيم الشاملة آليا).

إن القرآن لو كان صناعة بشرية لامتزج بثقافة عصره، فمنذ أربعة عشر قرناً لم يكن لدى إنسان من الحقائق إلاَّ الأساطير والخرافات البعيدة عن الواقع، وإن خلوّ القرآن من أيٍّ من هذه الأساطير يمثل برهاناً مؤكداً على أنه كتاب ربِّ العالمين، أنزله بقدرته وبعلمه" [1].

"والغريب حقاً أن النبي الأمي يخبرنا منذ 1400عام عن هذه الظاهرة الغريبة، قال تعالى ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾ [الطور: 6] ، والمسجور يعني الموقود ناراً فمن كشف لسيدنا محمد ﷺ إنه الله سبحانه وتعالى الذي أخبر نبيه عن طريق الوحي ، فهذا القرآن هو حقاً كلام الله [2]

وهنا نشير إلى ما ورد على لسان البرفسور "شرويدر" وهو أكبر أساتذة علم البحار الألمان.. قال في ندوة معه في جامعة الملك عبد العزيز بالسعودية بعد أن عرضت عليه هذه الحقائق عن علم البحار.. وبعد أن سمع معنى الآيات القرآنية ووجهت إليه عدة أسئلة قال بالحرف الواحد: إن ما سمعناه في هذه المحاضرة، وما وجه إلي من أسئلة ليثبت أن كل ما نكتشفه نحن العلماء كان مذكوراً من قبل الله الخالق المجيد مما يعني أن هناك علماً واحداً وحقيقة واحدة وإلهاً واحداً، وإنني أطالب بنشر هذا العلم في مثل هذه المجامع العلمية.. ومن خلال العالم كله"[3]..

"ومن الغريب أن رسول الله ﷺ هذا النبي الأمي الذي لم يركب البحر في حياته الشريفة مرة واحدة، فضلاً عن الغوص إلى أعناق البحار... ويعجب الإنسان المتبصر لهذا السبق بالإشارة إلى حقيقة من حقائق الأرض التي لم يتوصل الإنسان إلى إدراكهاإلا في نهايات القرن العشرين، هذا السبق الذي لا يمكن لعاقل أن يتصور له مصدراً غير الله الخالق، الذي أنزل هذا القرآن الكريم بعلمه، على خاتم أنبيائه ورسله، وعلم هذا النبي الخاتم من حقائق هذا الكون ما لم يكن لأحدٍ أن يتصور له مصدراً غير الله الخالق، الذي أنزل هذا القرآن بعلمه، وعلمه رسوله الخاتم من حقائق هذا الكون ما لم يكن لأحد من الخلق إلماماً به قبل العقود الثلاثة المتأخرة من القرن العشرين، لكي تبقى هذه الومضات النورانية في كتاب الله شهادات مادية ملموسة على أن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق الذي حفظه –تعالى– على مدى أربعة عشر قرناًأو يزيد، وتعهد بذلك إلى قيام الساعة ..فسبحان الذي أنزل في محكم كتابه من قبل ألف وأربعمائة من السنين

(1) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم – جامعة المدينة» (ص226):
(2) الموسوعة العلمية في الإعجاز القر'آني، د. سمير عبد الحليم. ص53.
(3) المعجزة الخالدة، د.علي الصلابي، ص181.

هذا القسم القرآني (بالبحر المسجور)، وسبحان الذي أكد على صدق القرآن الكريم، وعلى صدق هذا النبي الخاتم في كل ما رواه عن ربه.فأنزل في محكم كتابه قوله الحق: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ: 6] "[1] .

إنه الدليل العلمي القاطع بصدق الوحي والنبوة، فسبحان من أنزل القرآن وجعل فيه أدلة متنوعة على صدق الوحي وصدق النبوة، وتبقى هذه الأدلة مستمرة لا تتوقف على مر القرون والأجيال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ لتقام الحجة على أهل كل عصر وجيل ويلزمهم الدليل المثبت لصدق الوحي والنبوة.

---

(1) الأرض في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، ص198-199.

المبحث الثالث

آيات علمية قرآنية في عالم النبات ودلالتها على صدق الوحي والنبوة

يكشف لنا العلم الحديث عن مغزى الإشارات الكونية، وما ارتبط بها من حقائق علمية تؤكد بما لا شك فيه أن القرآن كلام الله الخالق أنزله بعلمه على رسوله الكريم، وهذا ما سنشير إلى بعض منها في عالم النبات من خلال المطالب الأربعة الآتية:

المطلب الأول:

إحياء الأرض الهامدة بالماء

قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: 5] .

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿وَرَبَتْ﴾: من ربا: بمعنى الزيادة والعلو، قال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ [1].

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

"إذا تأمل المرء أحوال الأرض، يراها أولاً ميتة يابسة لا نبات فيها ولا زرع، فإذا أنزل الله عليها المطر تحركت بالنبات، ودبت فيها الحياة، وارتفعت وانتفخت بالماء والنبات، ثم أنبتت من كل صنف من النبات والزرع ما هو جميل المنظر، طيب الرائحة، متناسق الألوان أو مختلفها، لاختلاف ألوان الثمار والزروع والطعوم والروائح، والأشكال والمنافع، كما يلاحظ كل إنسان في فصل الربيع والصيف وغيرهما.

ذلك المذكور من خلق الإنسان والحيوان والنبات بسبب أن الله هو الحق الموجود الثابت الذي لا شك فيه، وأنه الإله القادر على إحياء الموتى كإحياء الإنسان والحيوان والنبات، وأنه تعالى القادر على كل شيء، فمن قدر على هذه الممكنات، فهو قادر على إعادة الأجسام إلى أرواحها"[2].

---

(1) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص340.

(2) التفسير الوسيط ، د. وهبة الزحيلي، ج2/ 1627.

ثالثاً: الحقائق العلمية في الآية:

في داخل الأرض يوجد مسامات يتخللها الهواء فحين نزول المطر على سطح الأرض يدفع ماء المطر الهواء الموجود في المسامات فيحل مكانه فيتمدد ويزيد حجمه ويسبب اهتزازات في الأرض.

إن الأرض الطينية السوداء تحبس الماء وتخزنه لأن مسامها ضيقة بينما الأرض الرملية فلا تحافظ على الماء لأن مسامها واسعة، وقد لاحظ العلماء أن جذور النبات التي تندفع في كل الاتجاهات تسبب أيضاً اهتزازات في الأرض، كما أن دودة الأرض تلعب دوراً هاماً في اهتزازات التربة، فهي العامل الأساسي في تهوية التربة حيث تحفر الأرض وتساعد الجذور على اختراقها وتساعد الهواء ثم الماء للمرور في هذه الفتحات، وقال العلماء إن القناة الهضمية لهذه الديدان تطحن 10 طن من الأتربة في السنة في الفدان الواحد ثم تعيد التراب خفيفاً صالحاً للزراعة [1].

أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

ولقد أخبر القرآن الكريم عن اهتزاز التربة وربوها بعد نزول الماء عليها، وهما عمليتان دقيقتان غير مشاهدتين ولا محسوستين، ولا ييمكن إدراكهما إلا من خلال استخدام المجهر، وهذا الاهتزاز يمكن الماء بإذن الله من التخلل بين الصفائح المكونة للتربة والفراغات بين الحبيبات، فتنتفخ الحبيبات ويزداد حجمها وتصبح مخازناً للماء، وتشرب البذور الموجودة في التربة الماء وتنبت، وتمتصه الشعيرات الجذرية للنباتات فتنمو برحمة الله سبحانه وتعالى[2].

"حينما تأتي اللحظة الحاسمة ﴿ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ تبدأ الحركات العجيبة، تهتز الأرض فعلاً، تبدأ الحويصلات الساكنة في الإنبات والحركة، الجراثيم الموجودة تنبت وتتحرك، حويصلات الديدان وبويضاتها تنشط وتتحرك، البصلات والدرنات والسيقان الأرضية، الحبوب والبذور، ملايين الكائنات تسري فيها الحياة فتتحرك الأرض وتهتز، هذا المنظر البديع المعجز يصوره ربنا سبحانه وتعالى فيقول ﴿ ٱهْتَزَّتْ ﴾ وتبدأ عمليات الإنقسام وامتصاص الماء، وتحلل الغذاء المعقد إلى وحدات أقل ارتباطاً وأكثر عدداً وحجماً ، وتبدأ عملية تأين عجيبة في جزيئات التربة، وتتجمع المياه حول جزيئات التربة، وتنشط الديدان

---

(1) ينظر: الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، د. سمير عبد الحليم،ص62.

(2) ينظر: الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة، جمع وترتيب: شحاته صقر، ص443.

الأرضية في شق الأنفاق الأرضية وابتلاع كميات من التربة المتلاصقة وإخراجها مفككة، وبهذا تزداد التربة في الحجم وتربو أي تزداد وتنتفخ، ..ولولا نزول الماء فيها واهتزازها والزيادة في الحجم، ما أصبحت هذه التربة حية، بل تظل ميتة غير صالحة للزراعة، وما كان ﷺ من علماء الأحياء والنبات ولكنه رسول الله الموحى إليه بهذا القرآن المعجز" [1].

وتفاصيل العلاقة بين اهتزاز حبيبات التربة وربوها وإنبات الأرض خفية لم يدركها الإنسان إلا بعد تقدم علم التربة وتطور أدواته المعملية، فأول ملاحظة للإهتزاز كانت في عام 1927م على الرغم من أن الميكروسكوب الضوئي وهو الأداة التي لوحظ من خلالها الإهتزاز قد اخترع عام 1590م، كما أن الميكرسكوب الإلكتروني الماسح والذي يمكن استعماله في فحص الإتحادات البنائية المكونة لحبيبات التربة لم يخترع إلا في عام 1952م، وإخبار القرآن بكل وضوح عن هذه الأسرار دليل على أنه منزل من ممن يعلم السر في السموات والارض[2]، وهذا من الأدلة الدالة على صدق الوحي والنبوة.

---

(1) الماء في القرآن الكريم(دراسة موضوعية)، فتحي العبادسة، ص219-220.

(2) ينظر: الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة، جمع وترتيب: شحاته صقر، ص443.

المطلب الثاني:
الزوجية في عالم النبات

قال الله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةًۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 7- 8]

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿ زَوْجٍ ﴾: مفرد أزواج، وأصل الكلمة يدل على مقارنة شيء لشيء(1)، **وللزوج عدة استعمالات في اللغة:** فالزوج خلاف الفرد، ويأتي بمعنى رجل المرأة، وامرأة الرجل، ويأتي بمعنى الواحد الذي معه شيء من جنسه مثل: رطب ويابس، أبيض وأسود، ويأتي بمعنى الشبيه والقرين، والصنف، واثْنان من النوع نفسه، أو متماثلان في الشكل أو الوظيفة(2).

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

أولم ينظر المشركون المكذبون بالبعث والنشور إلى الأرض، كم أنبتنا فيها بعد أن كانت ميتة لا نبات فيها من كل زوج حسن، كما يقال للنخلة الطيبة الحمل: كريمة، وكما يقال للشاة أو الناقة إذا غزرتا فكثرت ألبانهما: ناقة كريمة، وشاة كريمة، وإن في إنبات الأرض من كل زوج كريم لدلالة لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث على حقيقته، وأن القدرة التي بها أنبت الله في الأرض ذلك النبات بعد جدوبها لن يعجزه أن ينشر بها الأموات بعد مماتهم أحياء من قبورهم (3).

ثالثاً: حقائق علمية حول الزوجية في عالم النبات:

"إذا نظرنا إلى عالم النبات، فالنبات أزواج ذكر وأنثى، وأصناف، وأنواع، وقرناء في المكان الواحد، وبها المضادات، وبخصوص الذكر والأنثى النبات أزواج والكائنات الحية أزواج، فالنباتات الخزازية، والنباتات التريدية، ومعراة البذور، ومغطاة البذور تتكاثر جنسيًا، وهناك أزهار مذكرة وأزهار مؤنثة، وأزهار تحتوي أعضاء التذكير وأعضاء التأنيث، وينتج العضو الذكري حبوب اللقاح المذكرة، والعضو الأنثوي البويضات المؤنثة وهما قرناء في المكان والزمان وهذه

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج35/3.

(2) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، مختار، ج2/ 1006.

(3) ينظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري ج17/ 550.

إحدى معاني الزوجية" [1].

يقول الامام الراغب الأصفهاني في قوله تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات: 49]، "فتنبيه أنّ الأشياء كلّها مركّبة من جوهر وعرض، ومادّة وصورة، وأن لا شيء يتعرّى من تركيب يقتضي كونه مصنوعا، وأنه لا بدّ له من صانع تنبيها أنه تعالى هو الفرد، وقوله: ﴿ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ [الذاريات: 49] ، فبيّن أنّ كلّ ما في العالم زوج من حيث إنّ له ضدّا، أو مثلا ما، أو تركيبا مّا، بل لا ينفكّ بوجه من تركيب، وإنما ذكر هاهنا زوجين تنبيها أنّ الشيء- وإن لم يكن له ضدّ، ولا مثل- فإنه لا ينفكّ من تركيب جوهر وعرض، وذلك زوجان"[2].

رابعاً: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

إن الزوجية عامة في كل شيء، ومعناها أعمق من مجرد الذكورة والأنوثة، فكل شيء على الأرض فيه زوجان مما يشعر بمعنى الأزدواج فضلاً عن معنى الذكورة والأنوثة، فمثلاً الطعم الحلو والحامض، وغير ذلك مع الألوان المختلفة فيها هذا الإزدواج، ومنها تصنيف النبات في فصائل أو أزواج، وتصنيفات أخرى متوفرة في خلق الله جميعه، فاتجاه الساق واتجاه السنبلات واتجاه ما في الثمر والزهر، كله فيه معنى الشرق والغرب أو اليمين واليسار والشمال والجنوب[3].

"وهناك نباتات مذكرة، ونباتات مؤنثة، المذكر يعطي سابحات ذكرية، والمؤنثة تعطي بويضات، وأيضاً هناك عوامل جذب وتزاوج يعجز القلم عن وصفها كما خلقها ربنا، وفي النباتات الزهرية، أزهار مذكرة وأزهار مؤنثة، وأزهار خنثى(أزواج)، وقد أمد الله سبحانه وتعالى هذه النباتات بوسائل وصل واتصال قوية للغاية حتى تنتقل الأجزاء المذكرة(حبوب اللقاح) إلى الأعضاء المؤنثة(البويضة).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات: 49] تأكيد على قاعدة الزوجية المطلقة في خلق كل شيء من الأحياء والجمادات، بمعنى أن الله تعالى خلق كل شيء في زوجية حقيقية، وأن هذه الزوجية ظاهرة عامة في كل المخلوقات،

---

(1) تسع معان للزوجية في القرآن الكريم وعالم النبات، أ.د. نظمي خليل أبو العطا موسى، (موقع إلكتروني)

(2) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص384.

(3) المعجزة الخالدة، د. علي الصلابي، ص183-184.بتصرف يسير.

وعلى جميع المستويات، من اللبنات الأولية للمادة إلى الإنسان وإلى مختلف أحداث الكون، وأنها سمة من سمات التناسق والتناغم والتوافق في الخلق"[1].

"فهل هناك إنسان منذ خمسة عشر قرناً من الزمان كان يعرف هذه الحقائق العلمية، هل كان رسولنا الكريم يعلم أن النباتات أزواج وفي ذلك آية على علم الله وقدرة الله، وإحكام خلق الله ، كما هي آية على صدق رسول الله ﷺ ، وآية على صدق كتاب الله عز وجل" [2].

---

(1) المعجزة الخالدة، د. علي الصلابي، ص183-184

(2) إعجاز النبات في القرآن الكريم، د. نظمي أبو العطا، ص75-80.

المطلب الثالث

الزراعة في الأماكن المرتفعة.

قال جل جلاله: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ* بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة:256]

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿**وَابِلٌ**﴾: "الْوَابِل يأتي بمعنى المطر الثّقيل القطار" [1].

﴿**فَطَلٌّ**﴾: الطل: أضعف المطر جمعه طلال، وهو ماله أثر قليل ورد الطل مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿..**فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ**..﴾ [البقرة:652] بمعنى المطر الصغير القطر الدائم [2].

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

"مثل المنفقين أموالهم في سبيل الله كمثل بستان في مكان مرتفع من الأرض، أصابها مطر شديد، فآتت ثمرتها ضعفين بالنسبة إلى غيرها من الجنان، فإن لم يصبها مطر شديد، أصابها رذاذ، فهذه الجنة، أنها لا تمحل أبدا لأنها إن لم يصبها المطر الشديد، فالرذاذ، وأياً ما كان فهو كفايتها، وكذلك عمل المؤمن، لا يبور أبداً بل يتقبله الله، ويكثره، وينميه، لكل عامل بحسبه، وهو سبحانه عالم بأعمال عباده لا يخفى عليه شيء"[3].

ثالثاً: حقائق علمية حول الزراعة في الأماكن المرتفعة:

"تشير الآية الكريمة إلى أن الأرض المرتفعة هي أفضل في الزرع والإنتاج الذي قد يصل إلى الضعفين وهذه الحقيقة العلمية سبق بها القرآن إذ إن العلم الحديث أثبت أن الأرض كلما كانت مرتفعة، أي منخفضة مستوى الماء الأرضي، كانت أفضل في الزراعة والإنتاج؛ فالأرض المرتفعة إذا رويت رياً غزيراً فإنها تأخذ كفايتها من الماء ثم ينصرف الباقي تماماً، أما

---

(1) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص852.

(2) ينظر: مجمل اللغة، ابن فارس، ص580،المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص522، معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن، الجمل، ج3/ 51.

(3) الأساس في التفسير، سعيد حوى، ج1/ 616.

لو رويت رياً خفيفاً فإنها تحصل على حاجتها دون أن يتخلف من الماء ما تحتاج إلى التخلص منه، على هذا المبدأ وضعت أمور الصرف للمياه موضع الاهتمام .

ومن الحقائق العلمية التي أشارت إليها الآية أن وسيلة الري من الأمطار مباشرة هو أفضل من الري بواسطة الأنهار والقنوات.وذلك لأنه يوجد في الجو العناصر النادرة التي تذوب مع قطرات المطر عند نزوله فتسقط مباشرة على النبات عن طريق مسامه فيضاعف نموه، وهذا ما تتجه إليه الزراعة الحديثة بتسميد النبات عن طريق الرش عليه" [1]

إن الوابل يقوم بغسل ما قد تراكم على الأشجار وأوراقها مما قد يكون من شأنه أن يعطل أداء وظائفها الأخرى كالتمثيل الضوئي والتنفس وغيرهما، وبهذا يتآزر عاملا زراعة البستان بربوة، وسقيه بالوابل، في مضاعفة ثمارها وزيادة حجمها وحلاوتها بالنسبة إلى البستان الآخر، الذي لم يتوافر له هذان العاملان[2].

رابعاً: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

الآية الكريمة قد نبهت إلى البيئة المثلى لزراعة أشجار الثمار، ألا وهي بيئة الروابي، وهي الأرض الخصبة المرتفعة، لأنه بارتفاعها تبعد عن المياه الجوفية ليغوص المجموع الجذري في التربة من غير ماء يضره ويتضاعف عدد الشعيرات الماصة لأكبر كمية من الغذاء للسيقان والمجموع الخضري، فيتضاعف المحصول، وهذه حقيقة علمية أثبتتها التجارب على مدى عقود متتالية وورودها في كتاب الله بهذا الوصف القرآني شاهد للقرآن الكريم بأنه كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه على خاتم أنبيائه ورسله عليه الصلاة والسلام[3].

وذلك يقدم دليلاً علمياً متجدداً على صدق الوحي والنبوة، فمن الذي أخبر النبي ﷴ بهذا إنه الوحي الصادق على النبي الخاتم.

---

(1) الموسوعة العلمية في الإعجاز القرآني، د. سمير عبد الحليم، ص127.

(2) ينظر: الماء في القرآن الكريم(دراسة موضوعية)، فتحي العبادسة، ص215.

(3) ينظر: جنة بربوة، د. علي الصلابي، (موقع إلكتروني).

المطلب الرابع:

من الشجر الأخضر ناراً:

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: 80]

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿**تُوقِدُونَ**﴾: من وقد، بمعنى اشتعال نار، والوقود: فعل النار إذا وقدت، ويأتي بمعنى الحطب، والوقد: نفس النار، ووقدة الصيف أشده حراً، ومعنى توقدون في قوله تعالى: ﴿**ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ**﴾ [يس: 80] أي: تستخرجون النار[1].

ثانياً: التفسير الإجمالي للآية:

الله سبحانه هو الذي بدأ خلق الشجر من ماء، حتى صار خضراً، ثم يصبح حطباً يابساً توقد به النار، فمن قدر على ذلك قادر على البعث والنشور، فهذا التحوّل والتقلّب من عنصر الرطوبة إلى عنصر الحرارة، يدل على إمكان إعادة الرطوبة إلى ما كان يابساً بالياً، والمشاهد أن شجر السّنط يوقد به النار وهو أخضر، وقيل: المراد بذلك شجر المرخ والعفار ينبت في أرض الحجاز، فيأتي من أراد قدح نار، وليس معه زناد، فيأخذ عودين أخضرين منهما، ويقدح أحدهما بالآخر، فتتولد النار من بينهما، كالزناد تماما[2].

ثالثاً: حقائق علمية حول الآيات الكريمة:

1- "اكتشف العلماء أن الخلية الخضراء الواحدة تقوم ببناء عشرين مركباً عضوياً في دقيقة واحدة إذا عرضت لأشعة الشمس؛ فالنبات يتغذى بالماء، وبعض المواد المعدنية والعضوية، وأكثر ما يأخذ من الهواء غاز الفحم، الذي يسهم في تكوين بنية النبات، فإن بنية النبات لا كما يتوهم الإنسان أنها تتأتى من التراب، بل تتأتى من المعمل العظيم الذي أودعه الله في الأوراق الخضر، فكأن الله سبحانه وتعالى حينما قال: ﴿**ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ**﴾ ، أشار بذلك إلى أنه لولا الأوراق الخضراء في النبات لما كان الشجر، وهذه الصفة مترابطة مع الموصوف ترابطا وجوديا، ولولا عمليات البناء التي تجري في الورقة الخضراء إذا تعرضت لأشعة الشمس والهواء لما كان نبات، فلو زرعنا نباتا في

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ج6/ 132، معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن،الجمل، ج260/5.

(2) ينظر: التفسير المنير، د. وهبة الزحيلي، 56/23-ج57/23.

ظلام لم ينبت، ولو لم يتعرض لأشعة الشمس لم ينم، فهذه الأشجار الباسقة، وهذه الجذوع الكبيرة التي تزن الأطنان إنما هي نتيجة لتفاعل دقيق يجري في أوراق الأشجار" [1].

2- حركة الطاقة على الأرض تتلخص في تبادل ذرة الكربون بين الهواء والنبات والحيوان والإنسان، يأخذها النبات من الغلاف الغازي للأرض بعملية التمثيل الضوئي ويهبها لكل من الحيوان والإنسان، ثم يعاود كل من النبات والحيوان والإنسان إطلاقها إلى الغلاف الغازي للأرض أن النبات الأخضر ﴿ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ﴾ هو الذي يحول الطاقة الشمسية الضوئية إلى طاقة كيميائية مخزنة في جذور وجذوع وأوراق وثمار النبات، التي بإشعالها تتحرر تلك الطاقة على هيئة نار يستعملها الإنسان في شتى الاستعمالات المنزلية والصناعية والحياتية [2].

رابعاً: أدلة صدق الوحي والنبوة المستنبطة:

إن الله تبارك وتعالى أشار إلى أمر مهم وهو وجود طاقة في الشجر، وةهذه الطاقة على شكل نار أودعها الله في الأشجار، بقيت لآلاف السنين وبسبب العوامل الطبيعية تحولت هذه الأشجار لفحم حجري وغاز طبيعي وبترول، وهذه المكتشفات الجديدة أشار إليها القرآن إشارة خفية بكلمة (ناراً)، وبعد حرقها يتم توليد الطاقة الميكانيكية والكهربائية من هذه النار، ولو قال تعالى: إن الشجر سيتحول إلى بترول، لم يفهم أحد خطاب القرآن، ولكن الله تعالى وضع كلمة (ناراً) لتكون مناسبة لكل العصور ومهما تطور العلم؛ فسبحان الله[3].

"إن أهل البادية فهموها من قبل ألف وأربعمائة سنة بالخشب أو الحطب أو بشجرتي المرخ والعفار، ونحن نفهما اليوم في إطار كل صور الطاقة ذات الأصل العضوي من كل الفضلات النباتية والحيوانية مثل التين والقش، والحطب والخشب إلى الفحم النباتي، والفحم الحجري والغازات المصاحبة له، إلى الطَّفْلة الزيتية إلى النفط والغازات المصاحبة له، وكل هذه المصادر للطاقة يلعب الدور الرئيسي في تكوينها الشجر الأخضر ،...وعلى ذلك، فإن حركة الطاقة على الأرض تتلخص في تبادل ذرة الكربون بين الهواء والنبات والحيوان والإنسان، يأخذها النبات من الغلاف الغازي للأرض بعملية التمثيل الضوئي ويهبها لكل من الحيوان

---

(1) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د. محمد راتب النابلسي، ج2/ 117 بترقيم الشاملة آليا.

(2) ينظر: الشّجر الأخضر...أصل الطاقة ومصدر الحياة، علي الصلابي (موقع إلكتروني)

(3) ينظر: الشجر والعظام، م. عبد الدايم الكحيل، (موقع إلكتروني)

والإنسان، ثم يعاود كل من النبات والحيوان والإنسان إطلاقها إلى الغلاف الغازي للأرض بعمليات التنفس، وبين عمليتي أخذ ثاني أكسيد الكربون من الجو وإعادة إطلاقه إليه يختزن لنا ربنا . . تبارك وتعالى كمًّاً هائلاً من ذرات الكربون ليشكل مختلف مصادر الطاقة التي يحرقها الإنسان فيردها مرة أخرى إلى الغلاف الغازي للأرض، وهذه الدورة لم تكتشف إلا مؤخراً، وورود الإشارة إليها في القرآن الكريم من قبل ألف وأربعمائة سنة لمّما يقطع بأن هذا الكتاب العزيز لا يمكن أن يكون صناعة بشرية"[1].

إنّ هذا الفهم لكتاب الله ليثبت قطعاً أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى خالق هذا الكون، وأن محمداً ﷺ هو رسول الله قطعاًإذ نزل عليه الوحي بهذه الآيات التي تتضمن حقائق يكشف عنها العلم الحديث وتواكب كل عصر وجيل، إنه الدليل على صدق الوحي والنبوة.

(1) المعجزة الخالدة ، د. علي الصلابي، ص149 – 150.

الخاتمة

الحمد لله الذي أشرقت بنوره السموات والأرض، منزل القرآن وصاحب الفضل والمنة، والصلاة والسلام على من بلغ الرسالة، وجاهد في الله حتى أتاه اليقين، فأوصل رسالة الإسلام للبشرية النور والضياء، والنجاة من الضلال والشقاء، وعلى آله وصحبه السعداء، ومن اهتدى بهديه، وسار على دربه ودعا بدعوته إلى يوم الدين وبعد..

فقد منّ الله علي أن وفقني لكتابة هذا البحث والذي تناول بالدراسة: الآيات العلمية القرآنية، ودلالتها على صدق الوحي والنبوة– دراسة موضوعية– .

ومن خلال البحث الموضوعي توصلت لأهم النتائج والتوصيات الآتية:

أولاً: أهم النتائج:

أ- القرآن الكريم معجز بلفظه ونظمه ومعناه، بكل ما تحتمل هذه العبارة من مزايا النظم والتأليف؛ فيدخل فيه اختيار اللفظ للدلالة على معنى معيَّن، ثم موضعه من الجملة، ثم أثره الصوتي الذي يمثل إيقاعاً ينتظم مع غيره فتتكون بذلك ظاهرة الإيقاع الصوتي الذي يمتاز القرآن بها عن سواه.

ب- الوجه المعجز للقرآن الكريم بأنه: ذلك الأمر المتمثل في القرآن ذاته، والذي وقع به التحدي، ومن جهته كانت معارضة القرآن بمثله أمراً معجزاً خارجاً عن طوق المخلوق.

ج- التفسير العلمي نوع من أنواع التفسير بالرأي والاجتهاد، ويُقبل إذا كان منضبطاً بضوابطه العلمية المنهجية المتعلقة بالباحث من جهة، والبحث العلمي من جهة أخرى.

د- علم أدلة صدق الوحي والنبوة هو العلم الذي يبحث فيما أكرم الله به نبيه محمداًﷺ من حقائق الوحي الصادق، مما يدل على صحة مصدره الرباني، ويثبت صدق نبوتهﷺ ، وقد كانت الحقائق الكونية القرآنية واحدة من أبرز أدلة صدق الوحي والنبوة، وقد أظهرت هذه الدراسة وأبرزت هذا الدليل من خلال النقاط الآتية:

1- الإشارة القرآنية الباهرة لتوسع الكون في قوله سبحانه: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: 47]، وهي حقيقة من أهم حقائق علم الفلك لم يتمكن الانسان من إدراكها إلا في القرن الماضي، وقد سبق القرآن الكريم بإقرارها قبل أربعة عشر قرناً أو يزيد.

2- خاصية (الرجع) من خصائص طبقات الغلاف الجوي، وقد ذكرت في القرآن الكريم قبل قرون، ولم تظهر علمياً إلا في الأبحاث المتأخرة، وهذا يثبت بأن القرآن كلام الله، وأن محمداً ﷺ هو رسول الله.

3- أثبت علم الطيران والفضاء أن تعرض الإنسان للارتفاعات العالية، عندما يصعد من سطح الأرض إلى الطبقات العلوية في السماء، تُحدث له أعراضٌ عضوية، تتدرج من الشعور بالضيق، الذي يتركز في منطقة الصدر حتى يصل إلى المرحلة الحرجة التي ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ**﴾ .

4- إشارة القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، إلى تسخير كل من الشمس والقمر، وتأتي الدراسات العلمية الدقيقة لتكشف لنا عن معانٍ جلية لصور مبهرة من هذا التسخير الإلهي مما يؤكد بالدليل العلمي القاطع صدق الوحي والنبوة.

5- تركيز القرآن الكريم باستمرار على التمييز الدقيق بين ضياء الشمس ونور القمر قال عز وجل : ﴿**هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا**﴾ وهذا الفرق الدقيق لم يدركه العلماء إلا في القرنيين الماضيين، فهل لهذا القرآن مصدرٌ إلا الوحي من الله الخالق إلى نبيه محمد ﷺ .

6- القسم القرآني بمواقع النجوم فيه إشارة إلى إحدى حقائق الكون، فالإنسان لا يرى النجوم أبداً، ولكنه يرى مواقع مرت بها النجوم، ثم غادرتها، حيث إن النجوم تبدو لنا في مواقع ظاهرية غير مواقعها الحقيقية، مما يمثل دليلاً آخر على صدق الوحي والنبوة.

7- من الحقائق الكونية التي تجلى لنا أدلة جديدة على صدق الوحي والنبوة، وتحديد القرآن الكريم لأخفض منطقة على سطح الأرض في قوله تعالى: ﴿ **غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ** ﴾.

8- اكتشف علم الجيولوجيا أن للجبال جذوراً تساعدها على الطفو وتثبيت تلك الألواح حتى لا تميد وتضطرب وقد أقر القرآن الكريم هذه الحقيقة في قوله تعالى: (والجبال أوتادا) مما يجزم بما لا يدع مجالاً للشك بأن هذا الكتاب ليس من صنع البشر، فمهما امتلك محمدٌ ﷺ من ذكاء وفطنة وعبقرية فلا يمكنه أن يصل لوصف حقائق كونية من أدق ما توصل إليه العلم الحديث بكل إمكاناته.

9- أصبح من الثابت علمياً أن كل حديد الأرض قد أنزل إليها إنزالاً من السماء، وليس هذا فقط؛ بل إن الحديد في مجموعتنا الشمسية كلها قد أنزل كذلك إليها من السماء، وهي حقيقة لم يتوصل العلماء إلى فهمها إلا في أواخر الخمسينات من القرن العشرين، وقد جاء ذكرها في سورة الحديد، ولا يمكن لعاقل أن يتصور مصدراً لهذه الحقيقة الكونية في القرآن الكريم غير الله الخالق.

10- تبدو الشمس بعد تجاوز نطاق نور النهار قرصاً أزرقاً في صفحة سوداء، ومن هنا فهمنا المعنى المقصود من أن الله يجلي الشمس، بينما ظل كل الناس حتى أواخر القرن العشرين وإلى يومنا الراهن فيما عدا قلة قليلة من العلماء وهم ينادون أن الشمس هي التي تجلي النهار، فسبحان الذي أنزل تلك الحقيقة الكونية من قبل ألف وأربعمائة عام، مما يعد دليلاً متجدداً على صدق الوحي والنبوة.

11- ومن الأدلة القاطعة على صدق الوحي والنبوة قوله سبحانه: ﴿**وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ *أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا**﴾ من خلال الإشارة إلى الحقيقة الكونية المتضمنة إخراج كل من الغلافين المائي والغازي للأرض من داخل الأرض.

12- أكد العلم الحديث أن المياه الجوفية ناشئة من المياه السطحية الآتية من المطر، وأنها تتسرب إلى باطن الأرض وتحفظ هناك، بدليل أنه كلما كانت نسبة الأمطار أكثر، كلما زاد هذا الماء في مكامن تحت سطح الأرض، وهذا ما أكده قوله تعالى: ﴿..فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ..﴾.

13- ذكر القرآن الكريم للبرزخ بين البحرين، وقد أثبت العلم الحديث وجود حاجز يمنع مياه كل بحر أن تطغى على الآخر، وحاجزا يمنع أسماك المياه العذبة أن تنتقل إلى المياه المالحة، ويمنع أسماك المياه المالحة أن تنتقل إلى المياه العذبة، فلا يبغي بحر على بحر، بل يحافظ كل بحر على كثافة مياهه، ودرجة ملوحته، ومكوناته، وهذا الحاجز بين البحرين ليس ثابتاً، بل هو متحرك بفعل الرياح، وحركة المد والجزر، مما يُعَدُّ دليلاً ساطعاً على صدق الوحي والنبوة.

14- ذكر القرآن الكريم معلومات دقيقة عن وجود ظلمات في البحار العميقة، ووجود موج داخلي في البحار كما أخبر القرآن عن دور الموج السطحي، والموج الداخلي في تكوين ظلمات في البحار العميقة، وهو أمر لم يعرف إلا بعد تقدم العلم في القرون الأخيرة.

15- حقيقة البحر المشتعل ناراً حدثنا عنها القرآن عندما أقسَم الله تعالى بالبحر المسجور، حيث تمتد التصدعات الأرضية لتشمل قاع البحار والمحيطات.

16- إخبار القرآن الكريم عن اهتزاز التربة وربوها بعد نزول الماء عليها في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: 5] يعتبر من الأدلة الدالة على صدق الوحي والنبوة .

17- أثبتت التجارب على مدى عقود متتالية أن بيئة الروابي البيئة المثلى لزراعة أشجار الثمار، وهذا ما ذكره القرآن في قوله تعالى: ﴿.. كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّۗ .. ﴾ [البقرة:265]، مما يعد دليلاً آخرَ على صدق الوحي والنبوة.

ثانياً: أهم التوصيات:

1- مواصلة البحث العلمي لاكتشاف المزيد من الأدلة المتنوعة على صدق الوحي والنبوة .

2- ضرورة توظيف أبحاث أدلة صدق الوحي والنبوة في ميدان الدعوة الإسلامية المعاصرة، خاصة مع الذين لا يتكلمون العربية.

3- الالتزام بالضوابط العلمية المنهجية عند استنباط أدلة صدق الوحي والنبوة، والتثبت والتحقيق عند البحث في هذا الميدان الهام.

4- استصدار مجلة عالمية للدعوة المعاصرة بعنوان أدلة صدق الوحي والنبوة، تهدف لنشر حقائق هذا الدين، وتثبت صدق النبي ﷺ ، ومواكبة أدلة صدق نبوته لكل زمان ومكان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلمَ وباركَ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1- *اتجاهات التفسير في العصر الراهن*، د. عبد المجيد عبد السلام المحتسب، عمان- الأردن، مكتبة النهضة الإسلامية، ط3، 1402هـ- 1982هـ.

2- *اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر*، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، المملكة العربية السعودية، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والارشاد، ط1، 1407هـ

3- *الإتقان في علوم القرآن*، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (د. م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ط)، 1974م.

4- *اثبات نسب ولد الزنا بالبصمة الوراثية*، د. مازن إسماعيل هنية، *مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية،17،* (1)، 2009م.

5- *إحياء علوم الدين*، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، بيروت، دار المعرفة،(د. ط)، (د.ت).

6- *الادلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد*، د. سعود بن عبد العزيز العريفي، مكة المكرمة- المملكة العربية السعودية، دار عالم الفوائد، ط1، 1419هـ.

7- *الأرض ذات الصدع رؤية جديدة*، م. عبد الدايم الكحيل، تاريخ الاطلاع:2012/8/29م، الموقع: من أسرار الإعجاز العلمي، http://www.kaheel7.com،2010م.

8- *الأساس في التفسير*، سعيد حوى، القاهرة، دار السلام، ط6، 1424 هـ.

9- *الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير*، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة،(د، م)، مكتبة السنة، ط4، (د. ت).

10- *الأسس العلمية للبصمة الوراثية والقيافة في القرآن والسنة*، د. محمود عبدالله نجا، تاريخ الاطلاع:2014/4/2م.الموقع: شبكة الألوكةhttps://www.alukah.net/

11- *الإشارات الكونية ومغزى دلالتها العلمية*، أ.د. زغلول النجار، تاريخ الاطلاع:2001/5/14، الموقع: موقع الدكتور زغلول النجار https://www.znaggar.com،2001.

12-*الإشارة العلمية إلى كروية الأرض في القرآن الكريم*، تاريخ الاطلاع:2020/2/1م، الموقع: موقع الدكتور علي الصلابي،https://alsallabi.com ، 2020م.

13-*أصول في التفسير*، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، أشرف على تحقيقه: قسم التحقيق بالمكتبة الإسلامية،(د. م)، المكتبة الإسلامية، ط1، 2001 م.

14-*الإعجاز البياني واللغوي في القرآن الكريم*، عمر يوسف حمزة، تاريخ الاطلاع:2007/11/8م، ، الموقع: موقع مداد،https://midad.com، 2007م.

15-*الإعجاز العلمي في القرآن الكريم*، مناهج جامعة المدينة العالمية، المدينة المنورة، (د، ن)، (د، ط)، ،(د، ت).

16-*الإعجاز العلمي في القرآن الكريم*، والأولى أن يسمى: الأدلة العلمية، أ. د. عبد السلام حمدان اللوح، آفاق للطباعة والنشر والتوزيع، ط2،1423هـ - 2002م.

17-*الإعجاز العلمي في ضوء السنة النبوية*، رسالة دكتوراه للباحث: هشام محمود زقوت، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، 1996م.

18-*إعجاز القرآن الكريم*، أ. د. فضل حسن عباس، عمان- الأردن،(د. ن)، ط1،1421هـ- 1991م.

19-*إعجاز القرآن للباقلاني*، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب، تحقيق: السيد أحمد صقر، مصر، دار المعارف، ط5، 1997م.

20-*الإعجاز القرآني في وصف السحاب الركامي*، الشيخ عبد المجيد بن عزيز الزنداني، وآخرون، موقع رابطة العالم الإسلامي.https://www.eajaz.org

21-*إعجاز النبات في القرآن الكريم*، د. نظمي أبو العطا، مصر، مكتبة النور، (د. ط)، 1407هـ،1987م.

22-*الأعلام*، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، (د.م)، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.

23-*الأمواج العميقة تشهد على صدق القرآن*، عبد الدايم الكحيل، تاريخ الاطلاع:2010/2/2م، عة الموقع: أسرار الإعجاز العلمي، http://www.kaheel7.com،2010م.

24- *إنه الحق*، عبد المجيد بن عزيز الزنداني،(د، م)، (د. ن) ، (د، ط)، 2013م.

25- *الأنواء في مواسم*، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري،(د، م)، (د.ن) ، (د، ط)، (د، ت).

26- *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ.

27- *أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج، الشيخ عبد المجيد الزنداني*، تاريخ الاطلاع:2019/12م موقع إعجاز القرآن والسنة،https://quran- m.com،2019م.

28- *أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير*، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية، مكتبة العلوم والحكم، ط5، 2003م.

29- *البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع*، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، بيروت، دار المعرفة، (د. ط)، (د.ت).

30- *البرهان في علوم القرآن*، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، بيروت- لبنان، دار المعرفة، ط1، 1957م.

31- بناء آيات التحدي بين التحليل والدلالة على وجه الإعجاز البياني، أ.د. عبد السلام حمدان اللوح، *قدم إلى الندوة العالمية(الخطاب القرآني: البنية والفهم والاستنباط)، كلية الآداب- سايس فاس- المغرب*،1434هـ- 2013م.

32- *تاج العروس من جواهر القاموس*، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، (د، م)، دار الهداية، (د، ط)، (د، ت).

33- *تاريخ مولد العلماء ووفياتهم*، أبو سليمان محمد بن عبد الله الربعي، تحقيق: د. عبد الله أحمد سليمان الحمد، الرياض، دار العاصمة، ط1، ١٤١٠هـ.

34- تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، ١٤٢٢ هـ.

35- *تسع معان للزوجية في القرآن الكريم وعالم النبات*، أ. د. نظمي خليل أبو العطا موسى، تاريخ الاطلاع: 2019/12، الموقع: موقع إعجاز القرآن والسنة، https://quran- m.com، 2019م.

36- *تسكين المياه في الأرض*،أحمد عبد العزيز مليجي، تاريخ الاطلاع: 2022/02/14م، الموقع:https://search.mandumah.com

37- *التسهيل لعلوم التنزيل*، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي، تحقيق: عبد الله الخالدي، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ، ط1، 1416هـ.

38- *تعريف الدارسين بمناهج المفسرين*، د. صلاح الخالدي، دمشق، دار القلم، ط1، 2002م.

39- *تعريف العلم لغة واصطلاحاً*، الموقع: موقع مصادر، تاريخ الاطلاع:2019/7/17م lhttps://mssader.com،2019م.

40- *تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ط)،(د. ت).

41- *تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم*، أ. د. زغلول راغب النجار، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط2، 1428هـ- 2007م.

42- *تفسير التحرير والتنوير*، محمد الطاهر ابن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر، (د. ط)، 1994م.

43- *تفسير الجلالين*، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، القاهرة، دار الحديث، ط1، (د.ت).

44- *التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]*، دروزة محمد عزت، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، (د. ط)، 1383 هـ.

45- *تفسير السمعاني*، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، الرياض، دار الوطن، ط1، 1997م

46- *تفسير الشعراوي- الخواطر*، محمد متولي الشعراوي، القاهرة، مطابع أخبار اليوم، (د. ط)، 1997م.

47- التفسير العلمي بين القبول والرد (عرض ودراسة) ، أ. د. عبد السلام اللوح، تاريخ الاطلاع: 2021/12/17م الرابط: https://ebook.univeyes.com/95534/pdf

48- التفسير العلمي للآيات الكونية تاريخه ومواقف العلماء منه، د. بكر زكي عوض، *حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية*، جامعة قطر، تاريخ الاطلاع: 2022/02/25م. الموقع:https://books- library.net/free

49- *التفسير العلمي للقرآن في الميزان*، د. أحمد عمر أبو حجر، بيروت- لبنان، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع،(د. ط)،1991م.

50- *تفسير القرآن العظيم*، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، (د، م)، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420 هـ.

51- *تفسير القرآن*، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، تحقيق: د. عبد الله بن إبراهيم الوهبي، بيروت، دار ابن حزم، ط1، 1996م

52- *تفسير الماوردي = النكت والعيون*، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت ، دار الكتب العلمية، (د، ط)، (د، ت).

53- *تفسير المراغي*، أحمد بن مصطفى المراغي، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، 1946م.

54- *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دمشق، دار الفكر المعاصر، ط2، 1418هـ.

55- *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، محمد سيد طنطاوي، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ط1، 1998م.

56- *تفسير سورة النجم*[DVD]، أ. د. زغلول النجار، تاريخ الاطلاع: 2020/12/23 ،الموقع: https://www.youtube.com/watch?v=p7P5PQQ6hmA،2020م.

57- *تفسير مقاتل بن سليمان*، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، تحقيق: عبد الله محمود شحاته بيروت، دار إحياء التراث، ط1، 1423 هـ.

58- *التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم ضوابط وتطبيقات*، مرهف السقا، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان.

59- *التفسير والمفسرون*، د. محمد السيد حسين الذهبي، القاهرة، مكتبة وهبة، (د.ط)، (د.ت).

60- *تكملة المعاجم العربية*، رينهارت بيتر آن دُوزِي، العراق، وزارة الثقافة والإعلام، ط1، 2000م.

61- *تهذيب اللغة*، محمد أحمد الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001م.

62- *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام*، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م

63- *ثلاث رسائل في إعجاز القرآن*، الرماني- الخطابي- الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله- محمد زغلول سلام، مصر ،دار المعارف، ط1976،3م.

64- *ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة..*، د. زغلول النجار، تاريخ الاطلاع: 2002/7/22م، https://www.znaggar.com،2002م.

65- *جامع البيان عن تأويل آي القرآن= تفسير الطبري*، محمد بن جرير بن يزيد الآملي أبو جعفر الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي،(د، م)، دار هجر، ط1، 2001م

66- *جامع الدروس العربية*، مصطفى بن محمد سليم الغلاييني ، صيدا – بيروت، المكتبة العصرية، ط28، 1414 هـ - 1993 م.

67- *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه= صحيح البخاري*، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر،(د.م)، ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ.

68- *الجامع لأحكام القرآن*، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش ، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2، ١٩٦٤ م.

69- *جمهرة اللغة*، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، بيروت، ط1، 1987م.

70- *جنة بربوة" ... تعبير إعجازي في القرآن الكريم*، تاريخ الاطلاع: 2020/2/22م، الموقع: موقع الدكتور علي الصلابي،https://alsallabi.com، 2020م.

71- *الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: علي بن حسن، عبد العزيز بن إبراهيم، حمدان بن محمد، السعودية، دار العاصمة، ط2، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

72- *الجينات والـ(DNA) الحمض الريبي المنقوص، يضم هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي (GENES & DNA)*، ريتشارد ووكر، بيروت- لبنان، الدار العربية للعلوم، ط1، 1426هـ- 2006م.

73- *الحديث في علوم القرآن والحديث*، حسن محمد أيوب، الإسكندرية، دار السلام، ط2، 2004م.

74- *خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية*،(رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى)، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، (د. م)، مكتبة وهبة، ط1، 1992م.

75- *خلق الإنسان بين الطب والقرآن*، د. محمد علي البار، جدة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط8، 1412 هـ- 1991 م.

76- *درء تعارض العقل والنقل*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي، الدمشقي، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،ط2، 1991م

77- *دراسات في علوم القرآن الكريم*، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي،(د. م)، ط12، 2003م

78- *دلائل النبوة*، أبو نعيم الأصبهاني، من أول الفصل الثلاثون إلى نهاية الكتاب دراسة وتحقيق: د. جعفر الشيبي، أصل الكتاب رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه في الحديث وعلومه، من كلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القرى، (د. ط)، (د. ت).

79- *رجال صحيح مسلم*، أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر ابن مَنْجُويَه، تحقيق: عبد الله الليثي، بيروت، دار المعرفة، ط1، 1407هـ.

80- *روائع البيان في إعجاز القرآن*، أ. د محمد سالم محيسن، القاهرة، دار محيسن للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1435هـ- 2014م.

81- *زاد المسير في علم التفسير*، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي.

82- *السحاب في القرآن الكريم*، د. علي محمد الصلابي، تاريخ الاطلاع: يناير/2020م، الموقع: موقع الدكتور علي الصلابيhttp://alsallabi.com،2020م.

83- *سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها*، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 2002م.

84- *السماء بين الآيات القرآنية والحقائق العلمية دراسة موضوعية*، رسالة ماجستير للباحثة: أمل حمدي الكحلوت، اشراف: أ. د. محمود هاشم عنبر، الجامعة الإسلامية،2010م.

85- *سنن الترمذي*، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرين، ط3، مصر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1975م.

86- *سير أعلام النبلاء*، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، القاهرة، دار الحديث، (د. ط)، 2006م.

87- *سيلان المياه وتكون المعادن في القشرة الخارجية للأرض*، د. مصطفى موكينا، المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، كلية العلوم الإسلامية، مراكش – المغرب، تاريخ الاطلاع: 2022/5/10م، سنة النشر: 2006م، الموقع: موقع الدكتور عبد الله المصلحhttps://almoslih.net

88- *الشّجر الأخضر.. أصل الطاقة ومصدر الحياة*، تاريخ الاطلاع:2019/4/4، موقع الجزيرة، https://www.aljazeera.net،2019م.

89- *شرح العقيدة الأصفهانية*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 1425هـ

90- *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم*، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري، وآخرون، دمشق – سورية، دار الفكر، ط1، 1999م.

91- *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1407هـ.

92- *صحيح مسلم*، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د. ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

93- *صفوة التفاسير*، محمد على الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1417هـ- 1997م.

94- *ضعيف الجامع الصغير وزيادته*، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، (د. م)، المكتب الإسلامي،(د.ت).

95- *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة،(د. ط)، (د.ت).

96- ضيق الصدر والتصعد في السماء، د. عبدالجواد الصاوي، بحث منشور على موقع الهيئة العالمية للإعجاز، https://www.eajaz.org

97- *طبقات الفقهاء الشافعية*، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1992م.

98- الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد البغدادي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، بيروت، دار الكتب العلمية، ط4، 1410هـ- 1990م.

99- *طلبة الطلبة*، عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين النسفي، (د.م)، المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد، 1311هـ.

100- *الظاهرة القرآنية*، مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي، تقديم د. محمود شاكر، تحقيق: (إشراف ندوة مالك بن نبي)، دمشق- سورية، دار الفكر، الطبعة: الرابعة، 2000م.

101- *الظلمات والنور رؤية علمية*، عبد الدايم الكحيل، تاريخ الاطلاع:2012/10/17م، الموقع: أسرار الإعجاز العلمي،http://www.kaheel7.com، 2010م.

102- *علوم القرآن الكريم*، نور الدين محمد عتر الحلبي، دمشق، مطبعة الصباح، ط1، 1993م.

103- *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1416هـ.

104- *غريب الحديث*، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، دمشق، دار الفكر، 1982م.

105- *فتح الباري شرح صحيح البخاري*، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، بيروت، دار المعرفة، (د.ط)، 137هـ.

106- *الفتح الرباني في وجه الإعجاز القرآني*، للأستاذ الدكتور: عبد السلام حمدان اللوح، (مطبوع ضمن الفتاوى الكبرى المجلد الرابع) غزة ، مطبعة آفاق، ط1، (د.ت).

107- *الفصل في الملل والأهواء والنحل*، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ،القاهرة ، مكتبة الخانجي، (د. ط)، (د.ت).

108- *في ظلال القرآن*، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، القاهرة، دار الشروق، ط32، 2003م.

109- *القاموس المحيط*، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط8، 1426هـ- 2005م.

110- *كتاب العين*، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي ،(د، م)، دار ومكتبة الهلال، (د، ط)، (د، ت).

111- *كتاب دلائل النبوة*، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، تحقيق: محمد محمد الحداد، الرياض، دار طيبة، ط1، 1409هـ.

112- *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط3، 1407 هـ.

113- *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، مصطفى بن عبد الله الملقب بـ (حاجي خليفة)، بيروت- لبنان، دار إحياء التراث العربي، (د، ط)، (د، ت).

114- *كشف المشكل من حديث الصحيحين*، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، الرياض، دار الوطن، (د. ط)، (د.ت).

115- *الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، (د. ط)، (د.ت).

116- *الكون*(مواضيع عن الفلك والكون من بحار وأرض وعن بدء خلق السموات والأرض) ، جمع واختيار، د. صالح المسند،(د، م)، مكتبة الفلق ، (د، ط)، (د. ت).

117- *لسان العرب*، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل ابن منظور، بيروت، دار صادر، ط3 ،1414هـ.

118- *الماء في القرآن الكريم- دراسة موضوعية-* ، فتحي العبادسة، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة الإسلامية، غزة، 2002م.

119- *الماء في القرآن الكريم و العلم الحديث*، محمد عبدالغني عبدالعزيز سلامة، *مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، 2* (28)، 2010م، ص192 - 248.

120- *مباحث في إعجاز القرآن*، د. مصطفى مسلم، دمشق، دار القلم، ط3،2005م.

121- *مباحث في علوم القرآن*، مناع بن خليل القطان،(د. م)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط3، 20000م.

122- مجمل *اللغة*، ابن فارس، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة ، بيروت، 2005م.

123- مجموع *الفتاوى*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (د. ط)، 1995م

124- *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ.

125- مختار *الصحاح*، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، ط5، 1999م

126- *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*، عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي.. تحقيق: يوسف علي بديوي، ط1. بيروت، دار الكلم الطيب، 1998م.

127- *مسائل شرعية في الجينات البشرية*، عارف علي القرة داغي، (د.م)، IIUM Press، ط1، 1432هـ/2011م.

128- *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي،(د. م)، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ - 2001م.

129- *مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار*، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، تحقيق: مرزوق على ابراهيم، المنصورة، (د. ن)، ط1، 1991م

130- *المشترك اللفظي في الحقل القرآني*، عبد العال مكرم، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1417هـ.

131- *معالم السنن*، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، حلب، المطبعة العلمية، ط1، 1932م.

132- *معاني القرآن وإعرابه*، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، ط1، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

133- *المعجزات القرآنية ، د. هارون يحيى*، (د، م)، (د. ن) ، (د، ط)، 2013.

134- *المعجزة الخالدة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم براهين ساطعة وأدلة قاطعة*، د. علي الصلابي،(د.ط)، لبنان، دار المعرفة، ط1، 2013م.

135- *المعجزة الخالدة*، د. حسن ضياء الدين عتر،(د. م)، دار الدراسات الإسلامية، ط2، 1415هـ- 1995م.

136- *المعجم الأوسط*، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد - أبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة، دار الحرمين،(د. ط)، 1995م.

137- معجم *اللغة العربية المعاصرة*، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط1، (د.ت).

138- معجم *لغة الفقهاء*، محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي،(د. م)، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1988م.

139- معجم *مقاييس اللغة* ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (د.ط)، بيروت، دار الفكر، (1399هـ - 1979م).

140- *مفاتيح الغيب* = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3 ،1420هـ.

141- *المفردات في غريب القرآن*، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق- بيروت، دار القلم، الدار الشامية، ط1، 1412هـ.

142- *المقدمات الأساسية في علوم القرآن*، عبد الله بن يوسف العنزي، ليدز – بريطانيا، ط1، 2001م.

143- *مقدمة في أصول التفسير*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، بيروت- لبنان، دار مكتبة الحياة، (د. ط)، 1980م.

144- *من آيات الإعجاز العلمي الأرض في القرآن الكريم*، أ. د. زغلول راغب النجار، بيروت- لبنان، دار المعرفة، ط1، 1426هـ- 2005م.

145- *من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن الكريم*، أ. د. زغلول راغب النجار، بيروت -لبنان، دار المعرفة، ط4، 1428هـ- 2007م.

146- *مناهل العرفان في علوم القرآن*، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، (د. م)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، (د.ت).

147- *المنتخب في تفسير القرآن الكريم*، لجنة من علماء الأزهر، القاهرة، مؤسسة الأهرام، ط1، 1995م

148- *المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار بيروت، إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ.

149- *منهج النقد في علوم الحديث*، د. نور الدين عتر، سورية، دار الفكر، ط1، 1981م.

150- موسوعة *الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة*، يوسف الحاج أحمد، (د. م)، ابن حجر، ط2، 1424هـ- 2003م.

151- موسوعة *الإعجاز العلمي في القرآن والسنة*، د. محمد راتب النابلسي، بترقيم الشاملة آليا ،(د، م)، (د.ن) ، (د، ط)، (د، ت).

152- *موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور*، أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، المدينة النبوية، دار المآثر، ط1 ، 1999م

153- *الموسوعة العلمية في الاعجاز القرآني*، د. سمير عبد الحليم، بيروت- لبنان، مكتبة الأحباب، (د.")، 1421هـ- 2000م.

154- *الموسوعة القرآنية المتخصصة*، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، مصر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، (د. ط)، 2002م.

155- *الموسوعة الميسرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة*، جمع وترتيب: شحاته صقر، الاسكندرية، دار الخلفاء الراشدين،(د، ط)، (د، ت).

156- *النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم*، محمد عبد الله دراز، (د. م)، دار القلم للنشر والتوزيع،(د. ط)، 2005م

157- *النبوات*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الرياض، أضواء السلف، ط1، 2000م.

158- *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على بن أبي بكر البقاعي، دار القاهرة، الكتاب الإسلامي، (د. ط)، (د.ت).

159- *نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة المسنين*، آمال صادق، فؤاد أبو حطب،(د.م)، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4،(د.ت).

160- *والنجم اذا هوى*، م. عبد الدايم الكحيل، تاريخ الاطلاع: 2012/8/24م، الموقع: من أسرار الإعجاز العلمي، http://www.kaheel7.com، 2010م.

161- *وأنزلنا من السماء ماء طهوراً*، د. زغلول النجار، تاريخ الاطلاع: 2002/6/3م،الموقع: موقع الدكتور زغلول النجار، https://www.znaggar.com، 2002م.

162- *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد البرمكي الإربلي، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، (د. ط)، (د.ت).

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾	166	162، 186
الأنعام		
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ... ﴾	1	111، 155، 157
﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ كَذلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ ... ﴾	125	102
الأعراف		
﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾	54	151
﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ...﴾	146	46
يونس		
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ... ﴾	5	110، 111
هود		
﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ .. ﴾	13	24
﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾	80	26
الرعد		
﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَـٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ	2	107

طرف الآية	رقمها	الصفحة
الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ... ﴾		
إبراهيم		
﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَـوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾	48	86
الحجر		
﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا ... ﴾	14، 15	156
﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾	17	99
﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ ...﴾	22	127
النحل		
الإسراء		
﴿إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾	9	33
﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾	44 .	167
﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا ... ﴾	88	1، 24، 27
الكهف		
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ ... ﴾	54	33
الأنبياء		

الصفحة	رقمها	طرف الآية
86، 87، 89	30	﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَـوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾
99، 100	32	﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾
86، 92	104	﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾
		الحج
193، 207	5	﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ ... ﴾
99	65	﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ ... ﴾
		المؤمنون
171، 170	18	﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَاب* بِهِۦ...﴾
		النور
157، 181	40	﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ ...﴾
130، 133، 134	43	﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾
		الفرقان
33، 162	6	﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَـوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾
175	22	﴿وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً﴾

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿..وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾	48	161، 168
، قال ثم قرأ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ .. ﴾	50	170
﴿وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴾	53	39، 175، 176، 178
الشعراء		
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾	7- 8	196
النمل		
﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾	88	136، 138، 138
﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	93	145، 158
الروم		
﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ * فِى أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ *فِى ... ﴾	**2 - 5**	**142**
لقمان		
﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾	20	49
سبأ		
﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِى... ﴾	6	192

الصفحة	رقمها	طرف الآية
37، 84	3، 4	﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾
150	4، 5	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾
		القمر
49	49	﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾
		الرحمن
175	19	﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾
178	19- 21	﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ ءَالَآءِ ... ﴾
25	64	﴿مُدْهامَّتانِ ﴾
		الواقعة
116	75، 76	﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾
		الحديد
149	25	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ... ﴾
		الطلاق
179	12	﴿..أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾
		الملك
148	14	﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾
		الحاقة
126	38، 39	﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ *وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾

ثانياً: فهرس أطراف الأحاديث النبوية

م	طرف الحديث	مصدر الحديث	حكم الحديث	الصفحة
1.	أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِي فَقَالَ: "خَلَقَ اللهُ ﷻ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، ...	صحيح مسلم	صحيح	37
2.	إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ النَّسَمَةَ، فَجَامَعَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ، ...	المعجم الأوسط للطبراني	حسن	65، 72
3.	إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً ...	صحيح مسلم	صحيح	64، 76
4.	أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلاَمًا أَسْوَدَ،...	صحيح البخاري	صحيح	67
5.	حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ	صحيح البخاري	صحيح	39
6.	اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل	مسند الامام أحمد	صحيح	43
7.	وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج	صحيح البخاري	صحيح	56

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم